الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République algérienne démocratique et populaire

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أكلي محند أولحاج

- البويرة -

Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

Université Akli Mohand Olhaj - bouira -

Tasdawit Akli MuḥendUlḥağ -Tubirett -

جامعة البويرة

قسم التاريخ

محاضرات في مقياس
النشاط الفلاحي في الغرب الإسلامي

موجهة للسنة أولى ماستر تاريخ الغرب الإسلامي في العصر وسيط

من إعداد الأستاذة:

د./ أزرار ليلة

السنة الجامعية 2021 م/2022 م.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

البويرة في: 21-03-2022

مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي للكلية

بتاريخ 26/ 10/ 2021

بناءا على تقارير الخبرة الايجابية الخاصة بالمطبوعة البيداغوجية

الموسومة : محاضرات في مقياس النشاط الفلاحي في الغرب الاسلامي

موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص تاريخ الغرب الاسلامي في

العصر الوسيط

للدكتور(ة) ليلة ازرار من قسم التاريخ

صادق المجلس العلمي على المطبوعة

رئيس المجلس العلمي

عنوان الماستر: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

السداسي: الأول

اسم الوحدة: وحدات التعليم الأساسية

اسم المادة: النشاط الفلاحي

الرصيد: 04

المعامل: 02

أهداف التعليم: (*ذكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر*)

- تحصيل هذه المادة يمكن الطالب من كسب معارف في التاريخ الزراعي

المعارف المسبقة المطلوبة: (وصف *تفصيلي للمعارف المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر*).

- تهدف هذه المادة إلى تعميق معارف الطلبة بالتاريخ الاقتصادي للغرب الإسلامي، لا سيما ما تعلق منه بالنشاط الفلاحي والرعوي الذي تنوع في أنماطه بين المغرب والأندلس.

محتوى المادة: (إجبارية تحديد المحتوى المفصل لكل مادة مع الإشارة إلى العمل الشخصي للطالب)

- وضعية الأرض وأشكال الملكية
- الضرائب: الخراج والعشر.
- ـ المناخ والثروة المائية وتقنيات الري.
- الإنتاج الزراعي والنشاط الرعوي
- المجال الرعوي.
- طرق وأساليب وتقنيات الزراعة. أنواع المزروعات.
- الكوارث الطبيعية والمشاكل السياسية والأمنية المؤثرة في النشاط الزراعي.
- النشاط الرعوي: طرق ممارسته، مجالاته، القبائل الرعوية.

طريقة التقييم: مراقبة مستمرة، امتحان....إلخ (يُترك الترجيح للسلطة التقديرية لفريق التكوين)

- **امتحان كتابي في نهاية السداسي.**

مقدمة

شكلت الفلاحة أحد أهم القطاعات التي قام عليها الاقتصاد في العالم الإسلامي عامة وفي المغرب الإسلامي والأندلس خاصة، فالزراعة هي أقدم حرفة عرفها الإنسان منذ القدم إذ مثلت أحد الميادين المهمة التي برع فيها مسلمو الأندلس والمغرب الإسلامي في ممارستها. و تعتبر الأرض والماء من أهم أركان ومقومات النشاط الزراعي، كون الزراعة تقوم علي إثارة التربة واستصلاحها، أما الماء فهو جوهر وأساس الزراعة والنشاط الفلاحي، حيث شهدت الزراعة في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس خلال العصر الوسيط ازدهارا وانتشارا واسعا وذلك لارتباط الأرض بالماء، ويكمن ذلك في حاجة الزراعة والمزروعات للماء والسقي، ولا يتم ذلك إلا باستخدام طرق وتقنيات مختلفة لهذا الغرض، وذلك حسب ما تطلبه طبيعة الأرض والمزروعات والمغروسات، الأمر الذي دفع الإنسان إلي ابتكار وسائل مختلفة مساعدة في عمليات الحرث والغرس والسقي . كما أن بلاد المغرب والأندلس عملتا على تنظيم هذه الأراضي وفق ملكيات متنوعة، وأخضعتها إلى أنظمه مختلفة، حيث وضعت لها سياسة رشيدة وعادلة، راعت فيها الدولة تحقيق العدالة، وعليه أصبحت الضريبة لا تقتصر علي كونها مصدرا إراديا للدولة فقط، بل تعدي ذلك إلي أن أصبح لها وظيفة اجتماعية واقتصادية.

عملت بلاد المغرب الإسلامي والأندلس في تطوير الفلاحة من خلال إحياء أراضي الموات واستصلاحها واستنباط المياه الجوفية في باطن الأرض، وإقامة المنشئات المائية علي الينابيع والأنهار ومد قنوات الري، كما استفادوا من تجاربهم الشخصية في علم الفلاحة إضافة إلي ممارستهم للنشاط الفلاحي بشغف، والموقف الإيجابي للمجتمع المغربي الأندلسي من ممارسة الزراعة ،كما اعتنوا بمختلف أنواع المزروعات الاستهلاكية والصناعية والخضروات والأعشاب والنباتات واستعمالاتهما في الأغذية والأدوية، وهذا التنوع أدي إلي الحصول علي إنتاج زراعي متنوع وثروة زراعية في مختلف المحاصيل.

لم يقتصر النشاط الفلاحي عند سكان بلاد المغرب والأندلس على المجال الزراعي فقط بل تعدي ذلك إلى المجال الحيواني، حيث اهتموا بالمجال الرعوي، وبتربية الحيوانات بمختلف أنواعها واستغلالها في حياتهم اليومية، كما كان لهم مجموعات من القبائل الرعوية التي اهتمت بالمجال الرعوي وبرعي الحيوانات.

ومن الطبيعي أن النشاط الفلاحي اصطدم بمجموعة من العوائق والعوامل التي سببت له اضطراب في النشاط الزراعي خاصة الإنتاج الزراعي والمحاصيل الزراعية، كتعرضها للكوارث الطبيعية التي تهدمها وتتلف منتجاتها الزراعية وتهلكها، إضافة إلى العامل البشري االذي هل دور في إتلاف المحاصيل الزراعية وهلاكها بفعل الحروب والفتن التي قام بها.

وفي هذا السياق يندرج هذا العمل المتواضع في شكل مطبوعة تحت عنوان النشاط الفلاحي في الغرب الإسلامي (بلاد المغرب والأندلس)، والتي تتضمن محاضرات موجهة لطلبة السنة أولى ماستر في مقياس النشاط الفلاحي في الغرب الإسلامي

وتحقيقا لهذا المسعى وزعنا محتوي المطبوعة على أربعة محاور وكل محور قسم إلي ثلاث أو أربعة محاضرات، حيث يتحدث المحور الأول علي وضعية الأرض وأشكال الملكية، وفيه تطرقنا في المحاضرة الأولي إلي مفهوم الفلاحة، وفي المحاضرة الثانية وضعية الأرض، وفي المحاضرة الثالثة أشكال الملكية، وفي المحاضرة الرابعة تناولنا الضرائب.

أما المحور الثاني فيندرج فيه المناخ والثروة المائية في بلاد الغرب الإسلامي، حيث قسمناه إلي ثلاث محاضرات، ففي المحاضرة الخامسة تحدثنا عن المناخ، والمحاضرة السادسة عن الثروة المائية، أما في المحاضرة السابعة فتطرقنا إلي تقنيات الري.

بينما المحور الثالث تناولنا فيه الزراعة في الغرب الإسلامي، في أربع محاضرات، فالمحاضرة الثامنة تتحدث عن طرق وأساليب وتقنية الزراعة، أما المحاضرة التاسعة ففيها تكلمنا عن أنواع المزروعات، بينما المحاضرة العاشرة تكلمنا عن الإنتاج الزراعي، وفي المحاضرة الحادية عشرة الكوارث الطبيعية والمشاكل السياسية والأمنية علي الإنتاج الزراعي.

وفي المحور الأخير وجهنا النظر إلي النشاط الرعوي في الغرب الإسلامي، ويتضمن محاضرتين ففي الأولي تناولنا طرق ممارسة النشاط الرعوي ومجالاته، والمحاضرة الثانية تناولنا القبائل الرعوية وتربية الحيوانات.

والشكر لله العلي القدير الذي وفقني على انجاز هذا العمل المتواضع.

والله ولي التوفيق.

المحور الأول:

وضعية الأرض وأشكال الملكية.

المحاضرة الأولى

مفهوم الفلاحة.

المحاضرة الثانية

وضعية الأرض.

المحاضرة الثالثة

أشكال الملكية.

المحاضرة الرابعة

الضرائب.

المحاضرة الأولى

مفهوم الفلاحة

عمل الإنسان مند القدم على خدمة الأرض لتأمين معاشه، وكان سكان المغرب الإسلامي والأندلس يعتمدون بشكل كبير على الفلاحة، حيث ساعدت طبيعة هذه البلاد نفسها على الازدهار، فهي تمتاز بخصوبة تربتها وتنوعها؛ وذلك لوقوعها في المنطقة المعتدلة الدافئة، وساهمت هذه الطبيعة على مر العهود في بناء اقتصاد المنطقة. فما هو تعريف الفلاحة؟

أ- لغة: أجمع علماء اللغة على ذكر معاني متعددة للفظ الفلاحة، فالفلاحة بالفتح، والفلاحة بالكسر، فهي مشتقة من الفعل فلح وجمعها فلوح، والفلح والفلاحة من معانيه، الشق والمكر والنجش، وقد تطرق الكثير من هؤلاء العلماء إلى تعريفها في كثير من المعاجم العربية ونذكر منها:

خليل بن أحمد الفراهدي في معجمه **"العين"** فيقول: **"فلح الفلاح، والفلح لغة البقاء في الخير وفلاح الدهر بقاءه، وحي علي الفلاح أي هلم على بقاء الخير. والفلح أي الشق في الشفة في وسطها "**. والفلاحون يعني الزراعون. والفلاح يعني المكاري **"وإنما قيل له فلاح تشبيها بالأكار".**[1]

أما **أبا بكر محمد بن الحسن** المعروف **بابن دريد الأزدي** فتعريفه كان أكثر وضوحا حيث يقول: **"...وفلحت الشيء أفلحه فلحا إذا شققته أو قطعته "**. وسمي الأكار فلاحا، لأنه يشق الأرض. وهو أول من استخدم لفظة "الفلاحة " من المعجميين القدماء.[2]

وزاد دلالة **"الفلاحة "** توضيحا وتقريبا **أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري** إذ قال: **"سمي الفلاح لأنه يفلح الأرض ويشقها، والفلح بمعني الشق في الشفة السفلي"**. وقال أيضا: **"أفلحت الأرض إذ شققتها للحرث"**[3].

---

[1]- **الفراهدي الخليل بن أحمد** (ت175ه-797م): العين ، ج.3، تح.مهدي المخزومي، بغداد، دار النشر 1980م، ص.205

[2]- **ابن العوام أبي زكرياء يحيي بن محمد الاشبيلي**: الفلاحة الأندلسية، ج.1، تح: أنور أبو سويلم وآخرون، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني (1433ه-2012م) ،ط2، عمان الأردن، ص 26.

[3]- **أحمد الأزهري:** تهذيب اللغة، تح: أحمد مختار عمر، صاحي عبد الباقي، عالم الكتب، ط1988،2م،مج2، ص436.

أما **إسماعيل بن حماد الجوهري** فهو أول من ضبط لفظة الفلاحة عندما قال بالكسر أي بكسر الفاء بقوله**: "وفلحت الأرض أي شققتها للحرث، ومنه سمي الأكار فلاحا. والفلاحة(بالكسر) الحراثة".**

وعرفها **نشوان بن سعيد الحميري** علي أنها الزراعة، حيث يقول**: "الفلاحة بالحاء الزراعة.** ويوافقه الرأي قسطاس بن لوقا البعلبكي فهو لم يستخدم لفظة الفلاحة ولا الفلاحين وإنما استخدم مصطلح الزراعة والمزارعين وما يؤكد ذلك قوله **:"هذا كتاب قسطوس الفيلسوف الرومي في الزراعة، وما يتعلق بها، مما لا يستغني عنه المزارعون وغيرهم من الناس عن علمه".**[1]

وقد فسرها ووضحها **ابن منظور المصري** في كتابه **"لسان العرب"** حيث قال: **"والفلح مصدر فلحت الأرض إذ شققتها للزراعة، والفلاح، الأكار وإنما قيل له فلاح لأنه يفلح الأرض أي يشقها، وحرفته الفلاحة ...".**[2]

ومادة فلح تمتاز عند **الفيومي** بأنها قصيرة و لكنها مكثفة فيقول :**"فلحت الأرض فلحا من باب نفع، أي شققتها للحرث، والفلح والشق، والجمع فلوح مثل :فلس، فلوس :والأكار فلاح، والصناعة فلاحة، بالكسر وفلحت الحديد فلحا أيضا شققته وقطعته، وأفلح الرجل بالألف: فاز وظفر"**[3]وعرفها **مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابدي** بقوله :**"الفلاحة: الحراثة والفلاح: الملاح. والأكار، والمكاري"**[4].

---

[1]- **ابن العوام أبي زكرياء**: المصدر السابق ، ص28.

[2]- **ابن منظور أبوا لفضل جمال الدين بن مكرم**: لسان العرب، تح: يوسف خياط، دار صار1956م، بيروت، مج2، ص548.

[3]- **ابن العوام أبي زكريا** :المصدر السابق ، ص 30.

[4]- **الفيروز أبادي**: القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث، أش، حمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، 2005، ص 72.

أما **محمد مرتضي الحسيني الزبيدي** فعرف الفلح علي أنه الشق والقطع، وفلح الأرض للزراعة أي شقها للحرث، والفلاح بمعني الأكار لأنه يفلح الأرض أي يشقها، وحرفته الفلاحة، وأفلح بالشيء عاش به، ويعتبر أول من ضبط لفظة **"الفلاحة"** بالفتح و بالكسر أيضا[1].

ويذكر **ابن سيدة** في مفهومه للفلاحة، على أنها الحرث وتشقيق الأرض للزرع، فلحت الأرض أي شققتها للزرع، إذ قال**: "الفلاحة محركة، الفلاح من الأرض الذي أشتق للزرع"[2]،**

وابن العوام قدم دلالات جديدة للفظة الفلاحة، فلم يكتفي بما وقفت عنده المعاجم القديمة ألا وهي:- فلاحة: حقل مزروعة، حقل ضيعة.

- فلاحة: محصول ريع، غلة.

- فلاحة الحيوانات: تربية الحيوانات[3]

وقال المعلم **البطرس البستاني :"فلح الرجل الأرض، يفلحها فلحا أي شقها، والفلاحة: الحراثة وصناعة الفلاح، والفلاح : الملاح والحراث، ومصطلح السمكاري يطلق عند أهل المدن علي من يسكن الجبال و الأرياف"[4].**

ويذكر **المعجم الوسيط** الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة على أن الفلاحة: هي القيام بشؤون الأرض الزراعية من حرث وري وزرع ونحو ذلك[5].

أما **معجم ألفاظ الحياة العامة** في الأردن الذي أصدره **مجمع اللغة العربية الأردني** فقد ورد فيه: فلاحة العمل في المزرعة من نكش وعزق وزراعة وسقاية، والفلاح يقوم بأعمال

1- **الزبيدي**: لحن العوام، تح: رمضان عبد التوات، مكتبة الخانجي، القاهرة،2000م،ص14.

2- **ابن سيدة أبو الحسن علي بن إسماعيل**(ت 150ه-1066م): المخصص، ج10، دار الكتب العلمية، لبنان،ص150.

3- **ابن العوام أبي زكرياء**: المصدر السابق، ص. ص 32،31.

4- **البستاني:** محيط المحيط، ص. 70.

5- **مصطفي إبراهيم وآخرون**: معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، د.ط ،د. ت، ص 700.

الفلاحة من حرث وبذر وحصاد، ويأخذ مقابل ذلك ربع المحصول، وباقي الغلة يأخذها مالك الأرض[1].

وقد ارتبط مفهوم **"الفلاحة"** بالزراعة ويظهر ذلك من خلال قوله تعالي:**"** فَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64)**"[2].**

وجاء أيضا ذكر الأشجار بأسمائها مثل النخل و الزيتون كما هو موضح في الآية الكريمة، قال تعالي:" وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(99)[3].

وبناء على ذلك نجد **الرسول صلى الله عليه وسلم** شجع علي ممارسة الزراعة ويظهر ذلك من خلال قوله **:"ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"**، وقال أيضا**: "من أحيي أرضا ميتة فهي له"[4].**

ومن خلال الأقوال الكريمة فإننا نستنتج أنها تحث علي الفلاحة والزراعة والغرس، والاستفادة من المحاصيل الزراعية بالرغم من عدم ذكر مصطلح الفلاحة بحد ذاته، إلا أنها استخدمت معاني أخري كالزرع والزراعة وأسماء أخري.

ب- اصطلاحا:أما في التعريف الاصطلاحي لمفهوم الفلاحة فقد تعددت مفاهيمها، وذلك راجع لأهميتها من جهة، وتقنياتها من جهة أخري، واعتبرت علم من العلوم، ولعل **الجاحظ** (ت 225ه) كان من الأوائل الذين أشاروا إلي ذلك عندما قال أن **"الفلاحة"** علم يعلم لأبناء الرعية، واعتبرها

1- **حسن الهنائي**: المنجد في اللغة، تح: أحمد مختار عمر، صاحب عبد الباقي، عالم الكتب،ط2، د.م.ن، 1988م، مج2، ص436.

2- **سورة الواقعة**، الآية، 63_64.

3- **سورة الأنعام**، آية 99.

4- **البيهقي**: السنن الكبرى، كتاب المزارعة، تح: محمد عبد القادر عطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.3، 2003، ج6،ص227.

مهنة كغيرها من المهن كالتجارة والحدادة والخياطة، وربط مفهومها بالزرع والغرس والإقامة في الأرض وخدمتها، ويعتبر البراعة في الفلاحة موهبة من المواهب التي يمكن تعزيزها بالتعلم[1].

أما **ابن حزم** فقد اعتبرها صراحة علما مثل باقي العلوم التي تدرس ويظهر ذلك من خلال قوله: **"وعند التحقيق وصحة النظر، فكل ما علم فهو علم فيدخل في ذلك علم التجارة والخياطة والحياكة وتدبير السفن وفلاحة الأرض وتدبير الشجر والبناء وغير ذلك".**

وعرفها **ابن عبدون** بقوله: **"الفلاحة هي العمران ومنها العيش كله والصلاح جله"[2].**

ومنه يتبين لنا أن الفلاحة حسب رأيه هي معرفة أنواع الأراضي الزراعية وما يصلح منها لزراعة كل نوع من المحاصيل الزراعية، وإصلاح الأراضي من خلال الحراثة والتغذي والتسميد بعد التعرف علي أنواع الأسمدة ووقت إضافتها، ومعرفة مياه السقي الموافقة لكل نوع من المزروعات.

أما **ابن وحشية** فقد أشاع هذه اللفظة، وأصبحت في تسميات الكتب التي تناولت **"الفلاحة"** ودلالتها عنده مرتبطة بزراعة الأشجار والنباتات المختلفة، مع مراعاة اختلاف البلدان والمناخات، فهي مرتبطة

بالأرض والتربة[3].

و**"الفلاحة"** عند **ابن بصال** هي صناعة فمعناها عنده أشمل وأوسع من معني الزراعة التي تشمل العناية بالأرض والنبات فهي تمتد لتشمل، المياه وخزن الثمار ومقاومة الآفات الزراعية وكل هذه الأعمال يباشرها الفلاحون[4].

1- **الجاحظ (ت685ه-909م):** الحيوان، تحقيق يحي الشامي، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، ط3، 1990م، ص 100.

2- **ابن عبدون النجيبي**: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة و المحتسب، تح: أليفيبروفانسال، مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة 1955م، ص5.

3- **ابن وحشية**: الفلاحة النبطية، ج1، تح: أحمد توفيق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ص35.

4- **ابن بصال: كتاب** الفلاحة، تر: خوسي ماريا مياس بييكروسا ومحمد عزيمان، مطبعة كريمادس، تطوان المغرب1955 م، ص67.

أما **عند الملك عمر بن رسول** فعرفها علي أنها الزراعة وإصلاح الأرض وما يتعلق من ذلك من أعمال، وبالنسبة **للأفضل عباس بن علي بن داوود الرسول** فإن لفظة "الفلاحة" عنده بمعني الزراعة والغرس والعناية بالأرض حيث يقول**:" وقد شجعني ما تفضل الله به علي من مطالعة الكتب المدونة في الفلاحات والأفعال المجربة في الأوقات المروية عن الثقات في معرفة زراعة الأشجار المثمرات...."**[1].

فجلي عنده أن الفلاح هو الزراع و**"الفلاحة"** هي الزراعة ولا فرق بينهما.

وأبرز **محمد بن محمد الغزي** الدمشقي أن **"الفلاحة"** تتركز علي إصلاح الأرض وعلاجها، وزراعة النبات فيها وحرثها وتسميدها وسقيها، وجر المياه إليها، ومنه حصر مصطلح **"الفلاحة"** في موضوع الأرض و ا لزرع والغرس والنبات والمياه والسماد وما يتعلق بالزراعة[2].

وتطرق **ابن خلدون** لتعريفها في مفهومين ففي المفهوم الأول عرفها علي أنها أم الصنائع، بقوله: **"وهذه الصنعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب والقيام بإثارة الأرض لها و إزراعها وعلاج نباتها، وتعهده بالسقي والتنمية إلي بلوغ غايته ثم حصاد سنبله، واستخراج حبه من غلافه".**

أما في المفهوم الثاني فقد جعلها تالية لعلم الطب وسابقة علي علم السحر والطلسمات، ويتضح ذلك من خلال قوله:**" هي من فروع الطبيعيات، وهي النظر في النبات من حيث تنميته ونشأته بالسقي والعلاج وتعهده بمثل ذلك".** وعليه فإن ممارسة الفلاحة يستوجب أن يكون الفلاح عارفا بأنواع التربة وما يصلح لها من نبات وعارفا بالبذور، الجيد من الرديء، وبالزمن المناسب لكل نوع من الزروع، وكذا الهواء والمناخ والماء ومقدار السقي لكل نوع من النبات، وذلك عن طريق التعلم[3].

1- **الملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن رسول(1296م)**:ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، تح: عبد الله محمد علي المجاهد، دار الفكر، دمشق، 1987م، ص.ص.13-14

2- **ابن العوام أبي زكرياء**: المصدر السابق، ص 68.

3- **ابن خلدون**: المقدمة، دار الفكر، لبنان، 2001م، ص509.

كما عرفها **طاش كبري** علي أنها علم من يتم من خلالها التعرف علي كيفية تدبير النبات من أول نشأته إلي منتهي كماله، وإصلاح الأرض من المعفنات بالسماد ونحوه وحمايتها أوقات البرد ومراعاة الأهوية، وتختلف قوانين الفلاحة باختلاف الأقاليم، واعتبارها ضرورية للإنسان في معاشه [1]...

أما المؤرخ **ابن العوام الاشبيلي** فقد عرفها من خلال قوله: **"ومعني فلاحة الأرض هو إصلاحها وغراسة الأشجار فيها وتركيب ما يصلح التركيب منها، وزراعة الحبوب المعتاد زراعتها فيها وإمداده بما ينفعه وعلاج ذلك بما يدفع بمشيئة الله الآفات عنه، ومعرفة جيد الأرض ووسطها والدون منها وهذا هو الأصل الذي لا يستغني عنه ومعرفة ما يصلح أن يزرع ويغرس ...ومعرفة الوقت المختص بزراعة كل صنف منها، معرفة أنواع المياه التي تصلح للسقي لكل نوع منها...ومعرفة الزبول وإصلاحها ...وكيفية العمل في اختزان الحبوب وفواكه الأشجار "[2].**

كما أضاف إلي ذلك تعريف فلاحة الحيوانات، ومن خلال قوله يتبين لنا أن **"الفلاحة"** تتمثل بمعرفة أنواع الأراضي الزراعية وما يصلح منها لزراعة كل نوع من المحاصيل الزراعية، وإصلاح هذه الأراضي من خلال الحراثة والتعديل والتسميد بعد التعرف علي أنواع الأسمدة ووقت إضافتها، ومعرفة أنواع مياه السقي الموافقة لكل نوع من المزروعات أو المغروسات.

ثم معرفة زراعة الحبوب وغراسة الأشجار والوقت المناسب لذلك[4]، ومعرفة طرائق التركيب وخدمة النباتات، ومعالجة الأمراض والآفات الزراعية التي تصيبها، ومعرفة كيفية جني المحاصيل الزراعية واختزانها، وهو بذلك تعريف شامل لجميع جوانب العملية الزراعية[3].

1- **طاش كبري زاده أحمد بن مصطفي(ت968ه-1560م):**كتاب مفتاح السعادة ومصطلح السيادة،ج2، ط2، حيدر أباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية،1977م، ص350.

2- **ابن العوام أبي زكرياء** ، المصدر السابق،ص6.

3- **ابن العوام أبي زكرياء**: نفسه، ص8.

أما **ابن ليون** قد بين أن **"الفلاحة"** أو الزراعة مبنية علي أساس معرفة أربعة أركان أساسية وتتمثل بالأرض من حيث أنواعها المختلفة وما تتطلبه من عمل لإصلاحها وتهيئتها، ومعرفة مياه السقي و أنواعها الموافقة للنبات وأوقات السقي وعدد مراته، وكيفية جلب المياه وإيصالها للحقول، ومعرفة أنواع السماد الموافقة لكل نوع من المحاصيل، فضلا عن ركن العمل الذي يتمثل بخدمة النبات واختيار العاملين والوكلاء في المزرعة[1].

أرجعت الآراء ظهور الزراعة بإفريقية إلي الفترة الممتدة مابين نهاية العصر الحجري الحديث، وفترة ارتياد البحارة الفنقيين للسواحل الإفريقية وذلك بسبب صعوبة إثبات وجودها في فترات أسبق.

إذن الفلاحة مرتبطة بالإنتاج الزراعي والحيواني على حد سواء، وما يترتب على الفلاح من عمليات التغذية أو التصنيع بمختلف أشكاله، وبالتالي يمكن القول بأن الفلاحة هي نشاط إقتصادي بالأساس، وهذا النشاط يستهدف النباتات والحيوانات.

1-**ابن ليون التجيني**: اختصارات من كتاب الفلاحة-نص أندلسي العصر المرابطي، دراسة وتحقيق: أحمد الطاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،ط2، 1422ه-2001م، ص33.

المحاضرة الثانية

وضعية الأرض.

إن للأرض أهمية كبيرة في النشاط الفلاحي، حيث تقوم عليها مختلف الأنشطة الزراعية، ويعد القطاع الزراعي قطاعا حيويا هاما، له مكانة هامة في النشاط الاقتصادي، وذلك لما يوفره من مدخلات لبقية القطاعات الاقتصادية الأخرى، حيث تحدد مساهمة هذا القطاع بتحديد العلاقة بين الأرض باعتبارها موردا هاما وركيزة أساسية يقوم عليها القطاع، وفي هذا الإطار لابد من تحديد وضعية الأرض.

أولا- وضعية الأرض بالمغرب:

تنوعت الأراضي الزراعية في الغرب الإسلامي بتنوع تضاريس المنطقة، فتواجدت في السهول والهضاب، وعلى السفوح ومنحدرات الجبال، وعلى ضفاف الأودية والأنهار وحول نقاط الماء، وفي المناطق الصحراوية[1] .

مما جعل الأراضي الريفية المغرب أوسطية متنوعة بين أراضي خصبة وأراضي متوسطة الخصوبة، وأراضي غير صالحة للزراعة، وذلك راجع لاختلاف مناطقها، ونجد فيها التربة السوداء وهي أجود الأراضي[2]، تتواجد على ضفاف الأنهار والسهول تزرع فيها حاجيات السكان[3]، كما توجد التربة الحجرية فهي صعبة الاستغلال وهزيلة وقليلة الفائدة، إذ لا ينبت فيها

1- - **يوسف نكادي**: خصوصيات وتحولات المجال الريفي في بلاد المغرب خلال القرن الخامس هجري، مقال في المجال البدوي المغربي ، الخصوصيات والتحولات، تنسيق: حليمة بنكرعي وآخرون، منشورات مجموعات في تاريخ البوادي المغربية سلسلة ندوات ومناظرات رقم 3، ط3، مطبعة مكتبة دار السلام ، الرباط، 2007م، ص19.

2- **مؤلف مجهول**: مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، تحقيق ودراسة: محمد عيسي صالحيه، إحسان صدقي العمد، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1984م، ص 107.

3- **الحسن الوزان**: وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، ط.2، ج2.، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م، ص12. أنظر أيضا: **مارمول كاربخال**: كتاب إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج. 2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984م، ص.239.

سوي القليل من الشعير والدخن، وهذا النوع يكون غالبا في الجبال، إضافة إلي التربة الرملية فيوجد ما هو صالح للزراعة إذا سقيت وسمدت بالأسمدة[1].

علي عكس **مارمول كاربخال** الذي يري أن هذه الأراضي رديئة للغاية، وقلما يجد أهلها أرضا ليزرعوها، وعلى كل فإن التربة تنشأ وتتكون بتأثير عوامل مختلفة بعضها مرتبطة بمكونات التربة، وبعضها مرتبطة بعوامل مناخية، كدرجة الحرارة والرطوبة وكميات التساقط[2]..

ومما تقدم فالأرض هي أهم ما قامت عليه الزراعة ، وكانت في أرياف المغرب الإسلامي أنواع من الأراضي من حيث الملكية[3]، والتي سنتطرق لها في أشكال الملكيات، ومنه فقد عملت الدولة الإسلامية علي وضع تنظيمات إدارية تخص معاملة أراضي البلاد المفتوحة في المغرب الإسلامي وأهلها، مع مراعاة بعض الفروق التي تفرضها خصوصية هذه البلاد، خاصة أن حروبهم أثناء الفتح كانت موجهة ضد الروم، ومن معهم من الأفارقة ومن حالفهم من ملوك وأمراء البربر، أما باقي سكان المغرب فقد أسلموا علي أيدي الفاتحين ولاذوا بالفرار[4]، وعلى إثر ذلك أثير الجدل حول فتح هذه البلاد صلحا أم عنوة؟

اهتم الفقهاء منذ وقت مبكر بمحاولة معرفة ذلك والسبب يرجع إلى نوعية الضرائب التي يمكن أن تفرض علي ملاك هذه الأراضي وتصرف لبيت المال[5]، ويرتبط السؤال عن نوعية هذه الأرض بالتطورات السياسية للمنطقة، وقد كان انتقال الحكم من عصبية إلي عصبية مصاحبا

1- **الحسن الوزان**: المصدر السابق، ص324.ص133

2- **مارمول كاربخال:** المصدر السابق، ص 163.

3- **محمد حجاج الطويل**: الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، رسالة ماجستير، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1988م، ص66.

4- **الونشريسي أبو العباس:** المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج6، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1401ه-1981م، ص ص133-134.

5- **محمد حجي**: نظرات في النوازل الفقهية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،ط.1 ، 1999م، ص 150.

معه اقتسام جديد للمجال وظهور مستفيدون جدد من العصبية الحاكمة، ومتضررون من المتغلبين القدامى فكانوا يحاولون رفض الوضع الجديد[1].

واختلفت أراء المؤرخين أيضا حول ذلك فمنهم من قال افتتحت عنوة ومنها من قال صلحا كما جاء في مقال **يخلف حاج عبد القادر** في مجلة العصور الجديدة، حيث ذكر بعض منهم، أمثال **محمد بن مرزوق** الذي رد علي هذا الجدل بقوله:" **اختلفت فيها فقيل عنوية وقيل صلحية، وقيل التفصيل بين السهل والجبل، وقيل بالوقف...**" وأما بلاد الصامدة و أرض مراكش فعلي رأي **ابن عبد الحكم** ليس فيها صلح ولا عنوة فإن أربابها أسلم عليها[2] .

أما إفريقية فقد دانت **لحسان بن النعمان،** أين نظم شؤون الخراج وملكيات الأراضي الزراعية، حيث دون الدواوين ووضع الخراج على عجم إفريقية وعلى من أقام معهم على النصرانية من البربر وعامتهم من البرنس إلا قليلا من البتر[3]، وقال **الداودي** في رواية عن **سحنون بن سعيد التنوخي:" كشفت عن أمرها فما ثبت فيها عندي أمر...**".

أي لا يعلم حقيقتها ما إذا كانت افتتحت عنوة أو صلحا وأضاف قائلا**:" أن تجري على ما تواطأت عليه القرون في أمرها، وتقر بأرض مالكيها، إلا ما تواترت الأخبار أنه اغتصب أو جلي عنه أهله"[4]** وهذا ما أشار إليه أيضا **يخلف حاج عبد القادر** في مقاله ملكيات الأراضي الزراعية في الغرب الإسلامي المنشور في مجلة العصور الجديدة.

1- **محمد فتحة**: النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 12م-15م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1986م، ص 335.

2- **يخلف حاج عبد القادر**: ملكية الأراضي الزراعية في الغرب الإسلامي، مقال منشور في مجلة العصور الجديدة، مصنفةج، المجلد 9، العدد 3، نوفمبر، 1441ه- 2019م، ص 88. أنضر أيضا: **ابن عبد الحكم:** فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1415 ه-1995م، ص229.

3- **يخلف حاج عبد القادر**: المرجع نفسه، ص 74.

4- **الداودي أحمد نصر**: الأموال ، تحقيق رضا محمد سالم شحادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1429ه-2008م، ص228. أنضر أيضا: **يخلف حاج عبد القادر**: المرجع السابق، ص 89.

أما **البلاذري** فينقل إلينا رواية عن **الواقدي** مفادها أن الفتوحات في بلاد المغرب وصلت إلي طنجة في ولاية موسي بن نصير علي افريقية بقوله:" **وانتهت خيله إلي السوس الأقصى فوطأهم وسبي منهم وأدوا إليه الطاعة وقبض عاملهم منهم الصدقة"**[1].

وهذا ما يؤكده **الرقيق القيرواني** بقوله**:" وخرج موسي من إفريقية غازيا إلى طنجة، فوجد البربر قد هربوا إلى الغرب خوفا من العرب، فتبعهم وقتلهم قتلا فاحشا، وسبا منهم سبيا كثيرا، حتى بلغ السوس الأدنى لا يدافعه أحد، فلما رأي البربر ما نزل بهم استأمنوا وأطاعوا فولي عليهم واليا واستعمل مولاه طارقا على طنجة وما ولاها"**[2]**،**

ووفق الأقوال المؤرخين فإن أرض المغرب أهلها أسلموا عليها، وأن الأراضي التي أخذت عنوة هي التي كانت بيد الروم المقاتلين وأرض الصوافي التي تركها أهلها[3].

ويخبرنا **ابن عذاري** عن ذلك بقوله:" **إن عمر بن عبد الله المرادي، عامل طنجة وما ولاها، أساء في السيرة وتعدي في الصدقات والعشر، وأراد تخميس البربر وزعم أنهم فيء المسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل من قبله، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يجب الإسلام، فكان فعله الذميم سببا لنقص البلاد وخروج الفتن العظيمة"**[4]، ومنه فإن **حسان بن النعمان** وضع الخراج على الأراضي الزراعية وتركها بيد أصحابها، وبالنسبة للأراضي التي لم يعلم عنها فتحها بالصلح أو العنوية فهي لمن وجدت في يده وإن لم يعلم كيف انتقلت إليها حيازتها، باستثناء ما أغتصب بالقوة أو ما أجلي عنه أهله، فصار في حكم أرض الصواف، كما جاء في مقال **يخلف حاج عبد القادر.**

1- فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، 1988م، ص 228.

2- **الرقيق القيرواني**: قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م، ص34.

3- **يحي أبو المعاطي محمد عباسي**: الملكية الزراعية وأثارها في المغرب الإسلامي والأندلس، 238-488ه_852-1095م، دراسة تاريخية مقارنة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، 2000م، ج1، ص 4.

4- **إليفي بروفانسال**: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س.كولان، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م، ج2، ص52.

ثانيا: وضعية الأرض في الأندلس.

تحيط بالأندلس مياه البحر من ثلاث جهات، من الشرق تحدها مياه الروم أو البحر الشامي، ومن الجنوب تحدها بحر الزقاق[1]، ومن الغرب والشمال الغربي مياه بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)، ومن الشمال تحدها مياه بحر الإنقليشين، وجبل البرت يفصل بين الأندلس والأرض الكبيرة، ويحد الأندلس عند الركن الشرقي[2]، تمتد مساحتها من كنيسة الغراب التي على البحر المظلم إلى الجبل المسمى بهيكل الزهرة، إذ يبلغ طولها ألف ميل ومائة ميل، وعرضها يمتد من كنيسة شنت ياقوب التي علي أنف بحر الإنقليشين إلى مدينة المرية التي علي بحر الشام ستمائة ميل.

إن أرض الأندلس عبارة عن هضبة تنتشر عليها المرتفعات والجبال تطل علي السواحل الأندلسية في بعض الأحيان، مما أثر علي ضيق السهول الساحلية، وتحيط بها عدة سلاسل جبلية، وبين تلك الجبال تنتشر بعض الوديان الخصبة التي تجري فيها الأنهار، ولهذا نجد تنوع في أشكال سطح الأرض في الأندلس، مما جعل أرضها تمتاز بالخصب حتى وصفها **ابن الغالب** بقوله:" **الأندلس شامية في طيب أرضها ومياهها، بما فيه من اعتدالها واستوائها هوازية في عظيم جبايتها، عدنية في منافع سواحلها، صينية في جواهر معادنها، هندية في عطرها وطيبها**[3]".

إضافة إلي قول **الزهري**: **"هي أبرك بقاع الأرض ولأكثرها نسلا...ومن بركتها أنه لا يمشي الإنسان فيها فرسخين دون ماء ولا يمشي ثلاثة فراسخ إلا وجد فيها الخبز والزيت"[4]،**

1-**يخلف حاج عبد القادر**: المرجع السابق، ص 76. أنضر أيضا: **الإدريسي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني**: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مج2،عالم الكتب، بيروت،ط.1، 1989م، ص535.

2- **ابن غالب محمد بن أيوب الغرناطي الأندلسي**: نص أندلسي جديدة قطعة من كتاب فرصة الأنفس في تاريخ الأندلس، تح: لطفي عبد البديع، مطبعة مصر، القاهرة، 1956م، ص12.

3-**حسين مؤنس**: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط1، دار المستقبل، القاهرة، 1980م، ص229.

4- **الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر**: كتاب الجغرافية ، تح: محمد حاج صادق، مج21، مجلة الدراسات الشرقية، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق، 1968م، ص80.

ونتيجة لوجود الأراضي الخصبة وتوافر مياه السقي شجع الفلاحين الأندلسيين علي استغلال الأراضي في الزراعة بمختلف أنواع المحاصيل[1].

بدأت اسبانيا مرحلة جديدة في تاريخها بعد الفتح العربي الإسلامي لها، خاصة فيما يتعلق بالزراعة وملكية الأراضي، باعتبار الأندلس من البلاد الزراعية فعملت في النضر والاهتمام في كيفية التعامل مع أراضيها، فجاء الإسلام بما صحح ورفع ما كان سائدا فيها من أنضمه رومانية حيث أعقب الفتح الإسلامي للأندلس توزيعا أفضل للأراضي[2].واختلفت ملكية الأرض فيها إذ أصبحت علي نوعين الأول استولت عليها الدولة مثل أراضي الكنيسة والتي تركها أصحابها وفروا إلي بلدان أخري وتعد ملكا للدولة، حيث احتفظت بخمسها والباقي وزع علي الجند العرب المسلمين، وأما الثاني فهي الأراضي التي تركت لأصحابها الأصليين علي أن يؤدوا الخراج عنها وهذا يتوقف علي مقدرة الأرض الإنتاجية، وهذان النوعان من ملكية الأراضي في الأندلس جاء وفقا لأحكام الفقه الإسلامي وأوضاع فتح الأراضي بالأندلس من حيث الفتح عنوة وقهرا أم صلحا، فبعضها فتح عنوة والبعض الآخر فهي أراضي الصلح إذ دخلوها من غير حرب[3].

فمنذ بداية فتحها وقع اضطراب في مسألة الخراج وتوزيع الأرض، ولم يتمكن ولاة الأندلس من تجاوز ذلك مما أثبت عجزهم عن إخضاع أرض شبه الجزيرة وعقارها لقواعد الشريعة الإسلامية للأرضيين والعقارات في البلاد المفتوحة[4]، والسؤال يطرح نفسه: هل ملكية الأرض في الأندلس خضعت لقانون الشريعة الإسلامية؟

1- **المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني**: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج1، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ص ص 128.129.

2- **حسين مؤنس**: فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، العصر الحديث للنشر والتوزيع، دار المناهل، بيروت، ط1، 2002م، ص623.624.

3- **العذري أحمد بن عمر بن أنس**: نصوص عن الأندلس من كتاب (ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبساتين في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك)، تح: عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1965م، ص 95.

4- - **يخلف حاج عبد القادر**: المرجع السابق، ص 78.

اختلفت الآراء بخصوص ملكية الأرض في الأندلس فهناك من رأى أنها كانت تخضع للضوابط الشرعية أمثال **الغساني** الذي روى عن **محمد بن مزين** نقلا عن **محمد بن موسي الرازي**، حيث ذكر أنه حين تم افتتاح الأندلس قسمها **موسى بن نصير** بين الجيوش الذين دخلوها كما قسم متاعها وسائر مغانمها، وأخرج من أرضها ورباعها الخمس، كما أخرجه من سبيها واختار من خيار السبي وصغاره مئة ألف وحماهم إلي أمير المؤمنين **الوليد بن عبد الملك**، وترك سائر الخمس من كبل وسبي وخوش الرقيق، في الخمس من الأرضين يعمرونها ليثلث مال المسلمين، وهم أهل البسائط ويعرفون بالأخماس وأولادهم بنو الأخمس وسائر النصارى الذين كانوا في المعاقل المنيعة والجبال الشامخة، فأقرهم علي أموالهم ودينهم بأداء الجزية، وبقوا علي ما حيز من أموالهم بأرض الشمال لأنهم صالحوا على جزء منها مع أداء الجزية في أرض الثمرة والزرع[1].

إضافة إلي قوله**:" فلم يبقي بالأندلس بلدة دخلها المسلمون بأسيافهم، وأصبحت ملكا لهم، إلا وقسم موسي بن نصير بينهم أراضيها إلا ثلاثة بلاد، وهي "شنترين" و"قلنبرية" في الغرب و"شيه" في الشرق، وسائر البلاد خمست وقسمت بمحضر التابعين الذين كانوا معهم وهم حنش الصنعاني والحبلى وابن رباح، ثم توارث الأراضي الأبناء عن الآباء. والذي ذكره الناس والعلماء من أرض الصلح والعنوة بالأندلس فإنما هو مال الخمس. هو أرض العنوة، وما صولحوا عليه فهو حال الشمل من أرض وشجر لسائر أموال الناس"**[2].

ومنه نستخلص أن تقسيم الأرض كان منضما وفقا لما يقتضيه للنص الشرعي في قوله تعالي**:"** ومنه نستخلص أن تقسيم الأرض كان منضما وفقا لما يقتضيه للنص الشرعي في قوله تعالي**:"** وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ

1- **يخلف حاج عبد القادر**: المرجع نفسه، ص 78. أنضر أيضا: **الغساني الأندلسي محمد**: رحلة الوزير في إفتتاك الأسير 1690م-1691م، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، ط1، 2002م، ص ص 139.140.

2- **يخلف حاج عبد القادر**: المرجع السابق، ص 78.

وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ **"**[1].

وخلافا على ذلك هناك من أبطل ملكية الأرض شرعا أمثال **الداوودي أحمد بن نصر** بأن**:" أرض الأندلس طعن فيها بعض الناس وزعم أنها أو أكثرها فتحت عنوة، وأنها لم تخمس ولم تقسم، غير أن كل قوم وثبوا على طائفة منها بغير إقطاع من الإمام ولم تترك لمن يأتي من المسلمين"**[2].

وأوجب رد هذه الأرض للدولة لينتفع بها المسلمون، كما قام **ابن حزم** بتحليل نظام ملكية الأرض بدقة فقال: **"هذا مع ما لم نزل نسمعه سماع استفاضة توجب العلم الضروري، أن الأندلس لم تخمس وتقسم كما فعل رسول الله صلي الله عليه وسلم فيما فتح، ولا استطيب أنفس المستفتحين، وأقرت لجميع المسلمين، كما فعل عمر رضي الله عنه فيما فتح، لكن نفذ الحكم فيها بأن لكل يد ما أخذت، ووقعت فيها غلبة بعد غلبة، ثم دخل البربر والأفارقة فغلبوا علي كثير من القرى دون قسمة، ثم دخل الشاميون في طالعة بلج بن بشر بن عياض القشيري فأخرجوا أكثر العرب والبربر المعروفين بالبلدين عما كان بأيديهم، كما ترون الآن من فعل البربر المعروفين بالبلدين عما كان بأيديهم، كما ترون الآن من فعل البربر، ولا فرق،...ما تشاهدون من استيلاء البربر المتغلبين علي ما بأيديهم إلا القليل التافه، ومشي في بلاد المتغلبين يقينا ...ظلم بظلم"**[3].

ومن هذا القول يبين لنا **ابنحزم** أنه لم تتبع في الأندلس إجراءات الرسول صلي الله عليه وسلم في الأراضي حين اعتبرها غنيمة وخمسها، وأن الأرض تركت من دون قرار قانوني عام، فخضعت لمنطق الغلبة والقوة حيث غلب عليها المقاتلة من عرب وبربر وتملكوها وفق مبدأ **"**لكل يد ما أخذت**"**، والمعتمد عندما انتصر على محمد بن سعيد بن هارون صاحب شنتمرية

1- سورة الأنفال: الآية 41.

-2**يخلف حاج عبد القادر**: المرجع السابق، ص 78.

-3**رسائل ابن حزم الأندلسي**: تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 1981م، ج3، ص175.176.

الغرب، أصبحت أرضها وضياعها بيد ابنه محمد بن عباد، وقد نحا ملوك الطوائف جميعهم نحو بني عباد فضغطوا على أهل القرى والضياع حتى تخلوا عنها[1].

مما سبق نستنتج أن الأرض تعتبر المصدر الطبيعي للحياة البشرية، فأصل خلق الإنسان يعود في المقام الأول إلي الأرض، ولذلك خضعت الأراضي المفتوحة ببلاد المغرب الإسلامي والأندلس لتنظيمات إدارية وضعتها الدولة الإسلامية، ووضعيتها فلم تكن مستقرة علي حال معينة طيلة العصر الوسيط، وذلك يعود إلي تغير الدول وما صاحبها في تغير في السلطات، وما ترتب عنها من تغير في الأحوال السياسية، وما ألت إليه من نتائج علي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

1- **ابن الأبار**: الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م، ج2، ص18.

المحاضرة الثالثة

أشكال الملكية

تعتبر الملكية أشمل من الحيازة فهي عملية دائمة ومستمرة تتيح للمالك مختلف أوجه التصرف القانوني في الشيء المملوك، وقد اختلفت أنواع الملكيات الزراعية في بلاد الغرب الإسلامي وذلك باختلاف النظام الاقتصادي السائد، وقد عرفت بلاد المغرب الإسلامي والأندلس أشكال مختلفة في الملكيات الزراعية.

أولا: تعريف الملكية.

أ- لغة: نسبة إلى الملك، وهو مثلث الميم، أي يجوز في ميمه الكسر والفتح والضم، إلا أن معظم اللغويين يستعملون الملك بكسر الميم في ملك الأشياء، وبالضم في ملك السلطنة والوصف من الأول: مالك وجمعه الملاك، والوصف من الثاني: بالضم "ملك" بفتح الميم وكسر اللام، وجمعه ملوك[1].

ب- اصطلاحا :عرفه القرافي فقال:" **هو حكم شرعي مقدر في العين أو في المنفعة يقتضي تمكين من يضاف إليه من الانتفاع بالملوك وبالعوض عنه"**[2]، وعرفه ابن تيمية بأنه "القدرة الشرعية علي التصرف في الرقبة"[3]، كما عرفه أحد المعاصرين بأنه "اختصاص حاجز شرعا يسوغ صاحبه التصرف إلا لمانع"[4]، فمعني كونه حاجزا أنه يحجز غير المالك عن الانتفاع و التصرف دون إذن المالك، أما المانع الذي يمنع المالك عن التصرف هو نقص الأهلية كما في

1- **يخلف حاج عبد القادر**: المرجع السابق، ص 75.

2- **القرافي أبو العباس شهاب الدين**: أنوار البروق في أنواء الفروق، عالم الكتب، بيروت، ج3، ص213.

3- **ابن تيمية تقي الدين أبو العباس**: القواعد النورانية الفقهية ، حققه وخرج أحاديثه أحمد بن محمد الخليل، دار ابن الجوزي، الرياض، ط1، 2001م، ص300.

4- **يخلف حاج عبد القادر**: المرجع السابق، ص 75. أنضر أيضا: **مصطفي أحمد الزقا**: المدخل الفقهي العام، دار القلم، دمشق، ط1، 1998م، ج1، ص333.

الصغير، حيث يتصرف عنه وليه، وحق الغير كما هو الحال للراهن في ماله المرهون، والمدين المحجور عليه في ماله[1].

ثانيا: أشكال الملكيات الزراعية.

إن تحديد **أنواع** الملكيات الزراعية وأشكالها وتمييزها من الأمور المبهمة التي تواجه الباحث ، فقد انقسمت الملكية الزراعية في المغرب الإسلامي والأندلس خلال العصر الوسيط من حيث المساحة إلى ثلاث أقسام، ملكيات زراعية شاسعة ومتوسطة وصغيرة، أما من حيث النوع فقد انقسمت إلي عدة ملكيات، وسنتطرق أولا إلي أنواعها من حيث المساحة وهي كالتالي:

1- أصناف ملكيات الأراضي الزراعية من حيث المساحة:

- ملكيات زراعية شاسعة:تشمل الضياع والقرى وأنصاف القرى والإقطاعات الكبيرة، ومن الملكيات الزراعية ما أثبتته احدي النوازل من أن حدود إحدى القرى بجميع جبهاتها كانت تعود لأحد الأشخاص مالا وملكا[2].ومعظم هذه الملكيات ألت إلى الأمراء وقادة الجيش والفقهاء، بالإضافة إلى موظفي الدولة وأشراف القبائل وبعض البيوت الكبرى[3].

وقد تفنن الأندلسيون في تزيين المنيات وهي الحديقة الواسعة أو العزبة، وجلها كانت بقرطبة، ومنها المنية المنسوبة إلى أبي الحكم بن القرشية، التي كانت على النهر الكبير[4]، ومنية كنتش التي كانت **للأمير محمد**، والناعورة اللتان كانتا للخليفة المستنصر بالله[5]، وألت معظم هذه

1- **ابن رشد القرطبي**: فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1987م، ج2، ص 1261.1262.

2- **إبراهيم القادري بوتشيش** :أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة (250-316ه)، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الإسلامي، مطابع منشورات عكاظ، الرباط، 1992م، ص 81.

3- **ابن حيان**: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح: عبد الرحمان علي الحجي ، دار الثقافة، بيروت، 1965م، ص 43.

4- **يخلف حاج عبد القادر**: المرجع السابق، ص80 .

5- **يحي أبو المعاطي**: المرجع السابق، ص 28.

الملكيات عموما إلي الأمراء وقادة الجند والفقهاء، بالإضافة إلي موظفي الدولة وأشراف القبائل وبعض البيوتات الكبرى.

- **ملكيات زراعية متوسطة:** تشمل البساتين والجنان والكرم، ومنها ما كان تحف للمدن في الغرب الإسلامي، كمدينة **قسنطينة** التي يخترقها واد، تحيط به أراضي خصبة، وتوجد في السهل علي طول الوادي بساتين في غاية الجمال، وكانت مدينة **فاس** كثيرة البساتين والمزروعات، وقيل عن بلنسية أنها على نهر جار ينتفع به، ويسقي المزارع وعليه بساتين وجنات[1].

- **ملكيات زراعية صغيرة:**شملت الفدادين والحقول والمجاشر[2]، وكانت أكثر الملكيات انتشارا، حيث امتلكها عامة الفلاحين وصغار الملاك. كعبد الوارث **بن سفيان بن جبرون بن سليمان،** المعروف بالحبيب، من أهل قرطبة، وكان شيخا صالحا عفيفا يعيش من ضيعة ورثها عن أبيه[3]، وكان محمد بن عبد الله بن أحمد البكري، يطعم ويضيف، ويهادي ويتحف بفاكهة جنة له بمرسية كانت معظم ماله[4].

2- أقسام ملكية الأرض:

انقسمت ملكية الأرض في الدولة الإسلامية إلي "ملكية عين" و"ملكية منفعة"، فأما **ملكية العين** فتسمي بملك ذات الشيء كملك العقار المنقول من الأموال أو الأعيان مما له منفعة لم يحرمها الشرع كالميتة والخنزير، أما **ملكية المنفعة** فهي امتلاك حق الانتفاع من الشيء المملوك

1- **يخلف حاج عبد القادر:** المرجع السابق، ص 80 81.

2- **يخلف حاج عبد القادر:** المرجع السابق، ص 81. أنضر أيضا: **يحيي أبو المعاطي**: المرجع السابق، ص 23.

3- **ابن شكوال:** كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1423ه-2003م، ص 308.

4- **يخلف حاج عبد القادر:** المرجع السابق، ص 81

فقط، مع المحافظة علي عين يستفاد منه كسكني الدور بالإعارة أو الإجارة، وسادت هذه الأخيرة حفاظا على الأرض من التآكل بالتوارث، وضمانا لبقاء الأرض لينتفع بها المسلمون[1].

3- أصناف ملكيات الأراضي الزراعية من حيث النوع:

أقطعت الدولة في المغرب الإسلامي على قبائلها وقواد جندها إقطاعات زراعية كرواتب لهم، فالأول **"إقطاع تمليك"** فكان لشيوخ الموحدين الكبار أرضا يزرعونها ويأخذون عشر ما طلع فيها، وأما الشيوخ الصغار فكل واحد منهم يأخذ من الحرث خمسة أزواج من البقر، أما الإقطاع الثاني فهو **"إقطاع المنفعة"** الذي انتهجته، فمن خلاله يكون للمنتفع حق الانتفاع بالأرض وغلتها دون تملكها، أي أن الإنسان الذي تمنح له هذه الأرض لا يمكنه التصرف فيها أو بيعها[2].

وقد عدل الخليفة **عبد المؤمن** عن مواجهة وملاحقة القبائل بعد الثورات التي أقيمت في وجه الدولة، فأكد على احترام الملكية الخاصة وعدم التعرض لها، مما دفع القبائل الثائرة للعودة لأراضيها وفلاحتها، إضافة إلي **"إقطاع التأليف"** الذي أقطعه **عبد المؤمن** لإخوة **المهدي عيسى وعبدالعزيز** وأشياعها، وأقام الموحدين ديوانا لإدارة الأراضي الزراعية سمي ب "دوان المختص"، وعليه فإن بلاد المغرب شهدت ازدهارا زراعيا واسعا. ومثال ذلك الأراضي الزراعية التي استغلها الموحدون استغلالا منظما[3].

أما ملكية الأراضي الزراعية في المغرب الإسلامي والأندلس خلال العصور الوسطى من حيث النوع وكيفية استغلالها وبحسب حيازتها أو الانتفاع بها فقد قسمت إلي عدة أنواع كما يلي:

1- **يحي أبو المعاطي:** المرجع السابق، ص 4.

2- **كمال أبو السيد مصطفي**: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996م، ص63.

3- **محمود مفلح البكر**: تقاليد الفلاحة في التراث الشعبي، منشورات الهيئة العامة السوري للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2013م، ص 33.

1- أراضي الموات: ويصطلح عليها أيضا بأراضي الجزاء وأراضي البور، فهي أراضي زراعية معطلة لعلة ما، ومهملة وكثيرة الشجر، وتركت لسنوات بدون زراعة ودون تركيب ودون حراثة فنمت فيها النبتات البرية بكثافة، وهي قابلة للإصلاح الزراعي، وعند زرعها من جديد تحتاج أن تشق أولا، أي حراثة تمهيدية قبل حراثة الزرع، وغالبا ما تعطي غلة جيدة[1]، ولاحق لأحد فيها، حيث يقطعها السلطان لمن يحييها ويزرعها بجهوده ووسائله الخاصة، لقول الرسول صلي الله عليه وسلم: **"من أحيا أرضا مواتا فهي له"**، والسلطان بدوره يلتزم بدفع أجرة معينة مقابل الانتفاع بها، ويعتبرها الإمام **مالك** أنها الأرض التي ليس لها مالك وليس فيها ماء أو عمارة، والموات عند **الشافعي** كل ما لم يكن عامرا ولا حريما لعامر فهو موات وإن كان متصلا بعامر، وقال **أبو الحنفية** الموات ما بعد من العامر ولم يبلغه الماء[2]، وعلي رأي **ابن حنبل** انه ليس في هذه الأرض بعد إحيائها سوي العشر وإن كانت من بلاد الخراج[3].

2- أراضي الصلح: هي الأرض التي صالح عنها أصحابها بجزية تفرض عليهم[4]، فمن أسلم منهم رفع الجزية علي رأسه وعن أرضه لتصبح أرضه أرض عشر[5].

3- أراضي العنوة: هي الأراضي التي استولي عليها الفاتحون بالقوة أي "عنوة وقهرا"، وحارب أصحابها من أجلها فانتصروا عليهم، واختلفت أراء العلماء بشأنها، حيث خير **أبوحنفية** الإمام بين أمرين، إن شاء خمسها وقسم أربعة أخماسها، وإن شاء جعلها فيئا كما فعل **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه في أرض السواد[6].أما غيره فيري وقف الأرض علي المسلمين مقابل

1- **الماوردي أبو الحسن**: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد المبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت،ط.1، 1989م، ص187.

2- **أحمد بن حنبل**: الاستخراج لأحكام الخراج ، دار الكتب العلمية، بيروت،ط.1 1405ه-1985م، ص76.

3- **أبو يوسف الأنصاري**: الخراج، تح: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، طبعة جديدة مضبوطة محققة ومفهرسة، المكتبة الأزهرية للتراث، ص72.

4- **ابن ادم القرشي**: الخراج، تح: حسين مؤنس، دار الشروق بيروت، ط.1، 1987م، ص61.

5- **يخلف حاج عبد القادر:** المرجع السابق، ص.81.

6- **يخلف حاج عبد القادر:** المرجع نفسه، ص 81.

جزية معلومة تؤخذ منه كل عام ولا تسقط بإسلام أربابها، أو بانتقالها إلى يد مسلم[1]، أما الفريق الثالث فيري أن أرض العنوة غنيمة للمسلمين، وتعامل علي أساس أنها أرض عشر، ولا يجوز أن يوضع عليها خراج، إلي أن تستطاب أنفس الفاتحين فتوقف حينئذ علي المسلمين[2].

4-أراضي الإقطاع:

الإقطاع لغة: هو تمليك أرض، أو إعطاء قطعة من الأرض.

اصطلاحا: جعل بعض الأراضي مختصة ببعض الأشخاص، أو تسويغ الإمام من مال الله لمن يراه أهلا لذلك، وأكثر ما يستعمل الأرض، فإما أن يملكه إياه فيعمره أو يجعل له عليه مدة.

أما أراضي الإقطاع فهي أراضي الموات التي يجعلها الإمام مختصة ببعض الأشخاص معدنا كانت أو أرضا[3]، وتتفرع إلى ثلاث أنواع، **"إقطاع الإحياء"** حيث يتصرف فيها المقطع تصرف المالك، و**"إقطاع الاستغلال"** وفيها يستغل المقطع الأرض ويبقي الأصل للمسلمين، وللإمام الحق أن يسترده للمصلحة، و**"إقطاع الإرفاق"** فالمقطع ينتفع به دون أن يملك رقبته، ويكون خاص بأماكن البيع والشراء[4].

وعرفت بلاد المغرب إقطاع الأرض حول الحواضر والمدن الجديدة، ونجد أول إقطاع منح للقبائل بعد فتح افريقية القيروان وما حولها، وإقليم "تاهرت" و "سجلماسة" و"فاس" ثم مراكش، والإقطاع العسكري وإقطاع الجنود الذي يمنح للقادة والجنود المرتزقة لحماية الثغور، والأسر الحاكمة في الدولة المرابطية الذين أصبحوا يشكلون طائفة الحشم وطائفة الداخليين[5].

1- **ابن قدامي المقدسي**: المغني، ج3، مكتبة القاهرة، 1968م، ص22.

2- **الشافعي محمد بن إدريس :**الأم، دار المعرفة بيروت، 1990م، ج.1 نص 191.192.

3- **الشوكاني محمد بن علي**: نيل الأوطار، تح: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط1، 1413ه-1993م، ج.1ص371.372.

4- **ابن سمالك العاملي**: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010م، ص84.85.

5- **يخلف حاج عبد القادر:** المرجع السابق، ص 82.

وقد عرفت الأندلس إقطاعات الأمراء والجند التي تمثل أبرز أراضي الإقطاع في كل العهود التي مرت بها الأندلس من الفتح إلى فترات متأخرة من الوجود الإسلامي بالجزيرة الأندلسية، وكان معظم الإقطاع العسكري متواجد في الثغور، لعدم تحكم الدولة في توجيهه، فتحول من إقطاع استغلال إلي إقطاع تمليك، فضلا عن إقطاع الكور المجندة الذي يعد مظهرا من مظاهر النمط الإقطاعي، إضافة إلي اقطاعات الفقهاء والجهاز الإداري (موظفو الدولة كالكتاب والحجاب والوزراء) واقطاعات أشراف القبائل، واقطاعات البيوت الكبرى التي توارثت أبا عن جد.

5-أراضي الأميرية: اصطلح عليها "بالمستخلصات"، يستأجرها الأمير لمجموعة من المزارعين والأقنان مقابل نصيب معين من المحصول، وقد استحدث الأمراء وضيفة تسند لشخص يسهر على رعاية هذه الأراضي نظرا لشاسعة مساحات هذه الممتلكات وما كانت تتطلبه من إدارة دقيقة ومحكمة، واستحدث الأمراء لهذا الغرض وضيفة أسندت لشخص يسهر على رعايتها سمته المصادر بصاحب الضياع[1].

6- أراضي الظهيرة: يصطلح عليها أيضا بأراضي الانتفاع وهي الأراضي التي لا ملك في رقبتها وإنما يوجد فيها انتفاع، وإذا أقطعت لشخص معين وتوفي اقتطعت لغيره فهي لا تورث عنه، إذ هي مجرد منفعة لصاحب الإقطاع دون توريث وفي هذا الصدد أورد **الونشريسي** مسألة فقهية وجاء فيها **"وسئل ابن عرفة عن الأراضي التي تقطع للأخر وغيرهم من الناس هل تملك ملكا تاما أم لا "** فأجاب **"وإنما إقطاعها هو إقطاع انتفاع لا ملك"**[2]، وتطلق على كل براءة سلطانية، كما كان الشأن في عهد الخلفاء الموحدين، والمنتفعون ينقسمون إلى ثلاث أصناف كبار رجال البلاد والحكومة، ثم الفقراء ورجال الدين، ثم الشخصيات السياسية التي لا تنتمي إلى للسلك الإداري[3].

1- **إبراهيم القادري بوتشيش**: المرجع السابق، ص83.

2- **يخلف حاج عبد القادر:** المرجع السابق، ص 83.

3- **روبار برنشفيك**: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م،ج2، تر: حماد الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988م، ص190.

7-أراضي الأوقاف أو الأحباس.

الوقف لغة: هو الحبس والمنع مشتق من الفعل وقف، ويقال وقفت الشيء إذا حبسته، فهو محبوس وحبيس واحتسبه وحبسه أمسكه عن وجهه والحبس ضد التخلية[1].

اصطلاحا: هو إعطاء منافع على سبيل التأبيد، وهي تلك الأراضي التي وقفها وحبسها أصحابها في أعمال البر والخير و المنفعة بغية مرضاة الله، وحسب الإمام **الشافعي** فهي الصدقات المحرمات الموقوفات علي قوم بأعيانهم[2].

أما **ابن عبد البر** فقد فصل في ذلك بقوله:**" أن يتصدق الإنسان المالك لأمره بما شاء من ريعه ونخله وكرمه وسائر عقاره، لتجري غلات ذلك وخراجه ومنافعه في السبيل الذي سبلها فيه مما يقرب إلي الله عز وجل ويكون الأصل موقوفا لا يباع ولا يوهب ولا يورث أبدا ما بقي شيء منه"[3]**.

وقد ساهمت في الحياة الاقتصادية بقوة خاصة في منطقة المغرب الإسلامي وهذا ما يمكن استنتاجه من خلال الأراضي الزراعية الواسعة التي كانت ضمن أملاك الأحباس[4]، ونجد في الأحباس نوعين:

1- الحبس الخيري (العام): يكون في أبواب البر كالغزو والجهاد والحج والمقابر، وبناء المساجد والمقابر والمدارس والمستشفيات وخدمتها، وتكون على الفقراء والمساكين وغير ذلك يشرف عليها صاحب الأحباس[5].

1- **السرخسي محمد بن أحمد** :المبسوط ، ج12، دار المعرفة بيروت، 1414ه-1993م، ص 28.
2- **يخلف حاج عبد القادر:** المرجع السابق، ص 83.

3- **ابن عبد البر النمري القرطبي**: الكافي في فقه أهل المدينة، تح :محمد بن أحيد ملد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط.2،ج.2 ، 1400ه-1980م، ص. 12.

4- **عبيد بوداوود**: الوقف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع هجري ودوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص 39.40.

5- **الخصاف أبو بكر**: كتاب أحكام الأوقاف، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص32.33.

2-الحبس الأهلي (الخاص): يكون على الأسرة وذريتها إلى أن ينقرضوا[1].و يكون الحبس منقول كالكتب والثياب والأثاث والأسلحة وغيرها، أو عقاري كالأرض والدور والبساتين والحمامات والحوانيت والضياع وغيرها[2]، ومن المؤكد أن أغلب الأراضي المحبسة لم يجر تحبيسها لصالح الجماعة الإسلامية بل لصالح الأفراد[3].

وأغلب النوازل تذكر أن الأملاك الزراعية المحبسة في الأندلس والمغرب كانت أرضا زراعية، فقد كان لعبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون الغرناطي "أرض وزيتون بقرية بيرة من طوق غرناطة، فحبس جميع ذلك علي على مسجد قرطبة"[4]، وأحبس أهل مدينة بلش القريبة من مالقة على مسجدهم حبس كثير.[5]

وقد حبس رجلا من تلمسان ربعا من أملاكه على ثلاثة من أولاده بالعدل عليهم وعلى ذريتهم من بعدهم، ومن انقرض منهم رجع نصيبه إلى عقبه، ومن انقرض من غير عقب رجع نصيبه إلى أخويه أو عقبهم[6]

8- الأرض الموظفة: هي الأرض التي فرضت عليها الدولة ضريبة، ولا يلزم المشتري دفعها، إلا من يوم الشراء.

9- الأراضي القانونية: هي أراضي يقطعها ولاة الأمر لأفراد مقابل خدمات قدموها للدولة، وتكون ملكية خاصة لهؤلاء الأفراد، يحق لهم بيعها وتوارثها، وذلك ما ذكره **الونشريسي** عند حديثه عن ارض القانون عندما سئل الفقيه **بن مرزوق** عن بيع ارض القانون فأجابه بقوله:" **العادة جرت ببيع الأرض القانونية بالمغرب وإرثها، والظاهر من حالها أنها مملوكة، ولا يجبر**

1- - **يخلف حاج عبد القادر:** المرجع السابق، ص 83.

2- **وهبة الزحيلي**: الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي، دار الفكر دمشق، ط2، 1417ه-1996م، ص140.

3- **يخلف حاج عبد القادر:** المرجع السابق، ص83.

4- **ابن الخطيب**: الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ج3، ص 421.

5- **يخلف حاج عبد القادر:** المرجع السابق، ص84.

6- **كمال أبو السيد مصطفي**: المرجع السابق، ص63.

الورثة علي بيع ما ورثوه من كتب الفقه أو غيره ولو لم يكونوا لها أهلا في الحال"، كذلك نجد الموحدين يقطعون قبائلهم وقواد جنودهم الإقطاعات الزراعية كرواتب لهم، أما إقطاع المنفعة فهو للمنفعة من الأرض وغلتها، دون تملكها[1].

10- أرض الصوافي: يطلق هذا المصطلح علي الأرض الخاصة بالدولة في الإسلام، يستخلصها السلطان لخاصته وقيل أنها في الأساس أراضي الأسر الحاكمة السابقة وأراضي بعض النبلاء، ومن قتل أو أثناء الحرب، وأراضي البريد، وكل مغيض ماء أي الأراضي التي مياه المستنقعات، وكل أرض من دون مالك بعد الفتح مباشرة[2].

وكذا الأرض التي مات عنها أهلها ولا وارث لها، وتعرف بالمواريث الشرعية[3]، ومنه فإن كل أرض لم تكن ملكا لأحد جعلت من الصوافي، ثم صارت خالصة لبيت المال، وينسب للخليفة استغلالها أو أن يقطع منها[4].

وتذكر المصادر أن الصوافي في الأندلس كانت واسعة، حيث بلغت ضياع **أولاد الملك غيطشة** مجتمعة ثلاثة ألاف ضيعة[5]، إضافة إلى ضياع التاج **الملك لذريق** العائلية والملكية، وكانت أوسع من ملكية غيره، خاصة في كورة قرطبة التي أطلق عليها اسم بلاط لذريق، وينطبق

1- **يخلف حاج عبد القادر:** المرجع السابق، ص84.

2- **أبو يوسف الأنصاري**: المرجع السابق، ص72.

3- **يخلف حاج عبد القادر:** المرجع السابق، ص84.

4- **عبد العزيز الدوري**: نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية، مجلة المجتمع العلمي العراقي، بغداد، المجلد 20، 1970م، ص8.

5- **يخلف حاج عبد القادر:** المرجع السابق، ص84.

هذا علي الأملاك الواسعة للنبلاء الذين جلوا عنها[1]، أو قتلوا أثناء الحرب[2]، ومن بين هؤلاء النبلاء منهم من أقدم موسي بن نصير علي إعدامهم لعلاقتهم بفرار أوبة أخ غيطشة[3].

وأما تدمير صاحب أوريولة فقد حاصر مغيث الرومي حاميتها المكونة من قرابة خمسمائة رجل مدة ثلاثة أشهر، وكانت متحصنة بكنيسة خارج أسوار المدينة تدعي سان أسيكلو، فلما عجزت عن الصمود وحاول حاكمها الفرار عنها إلي طليطلة أسره المسلمين، و أبيدت الحامية بكاملها لنقضه العهد، وكان من قبل عقد الصلح مع نفسه وعلي أهل بلده، واعتبرت أراضيهم صواف خالصة، وذكر أن العرب استقروا بالمفاوز، وكانوا رفقة البربر كلما مروا بقوم منهم بموضع استحسنوه حطوا به ونزلوه قاطنين، فاتسع نطاق الإسلام بأرض الأندلس[4].

ومنه يفهم أنه حدثت تجاوزات من المقاتلة باستيلائهم علي الأراضي في فترة الفتوح، فلما كانت ولاية **الحر بن عبد الرحمان الثقفي** من (أوت 716م إلى مارس- أبريل 719م)، أعاد بعض الضياع التي استولي عليها العرب إلى أصحابها السابقين على اعتبار أنها صواف، ويفترض أنها أراض فر عنها ملاكها ثم عادوا إليها بعد استتاب الوضع راضيين بدفع خراجها[5].

11- الأراضي الخراجية: الخراج هو مال يؤخذ علي الأراضي الزراعية التي أصبحت ملكا للمسلمين نتيجة الحروب، وهذه الأراضي اختلف المسلمون في تقسيمها فبعضهم اعتبرها غنيمة كالأموال تقسم بين الغانمين علي أن يأخذ الخمس منها، أما البعض الآخر فرأي أن تجعل هذه الأراضي فيئيا ، فلا يخمسها ولا يقسمها وتكون موقونة علي المسلمين عامة.

1- **مؤلف مجهول**: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمراءها رحمهم الله والحروب التي كانت واقعة بينهم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1989م، ص 20.21.

2- **عبد الواحد ذنون طه**: الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ط1، 2004م، ص 151.152.

3- **عبد العزيزا لدوري وغيداء خزنة كاتبي**: الفتح والأرض في الأندلس في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 72، السنة 31، جوان 2007م، ص 51-67.

4- **يخلف حاج عبد القادر:** المرجع السابق، ص84.

5- **عبد العزيز الدوري وغيداء خزنة كاتبي:** المرجع السابق، ص 55---77.

وحسب أراء الباحثين والمؤرخين أن أراضي الأندلس لم تخمس ولم تقسم وأقرت ملكيتها لجميع المسلمين، كما كان الأمر في عهد الخليفة **عمر بن الخطاب**، والرأي الآخر يري أن كل قوم وثب علي طائفة منها من غير إقطاع من الإمام ولم تترك لمن يأتي من المسلمين، ومن يتبرأ من ملكية الأراضي في مصالح المسلمين له أن يؤدي كرائه إلي المساكين، وهذا الرأي ينطلق من عمل الوالي **السمح بن مالك الخولاني** علي العمل لتكميل تخميس الأندلس، والذي بدأه **موسى بن نصير** ولم يكمله بسبب أن أراضي الأندلس لم تخمس، والسمح **بن مالك الخولاني** لم يوفق بإكمال تخميس الأراضي كونه كان مجبرا علي تركها ويعقب بعد ذلك وفاته، كما عمل علي توزيع الأراضي، وهذا أدي إلي الإخلال حول النظر والحزم بملكية الأراضي في الأندلس، مما أدي إلي اعتبارها أنها لم تخمس أو لم تجر عليها أحكام الشريعة الإسلامية.

وظل مبدأ الغلبة والقوة هو المسيطر. وعندما عمت الفوضى استولي القادة وكبار الإقطاعيين علي الأراضي المخمسة، مما أدي إلي قيام الثورات مما دفع إلي محاولات القضاء عليها والعمل علي تنظيم الملكية، وعمل الخليفة عبد الرحمان الناصر علي إعادة مسح الأراضي وتنظيمها[1].

وعموما فإن ملكية الأرض في الأندلس لم تعرف الاستقرار، وضلت خاضعة لمنطق الغلبة، الذي سهل عملية غصب الأراضي والاستحواذ عليها من أيدي مالكيها، وأصبح قانون الأرض يخضع لمبدأ "لكل يد ما أخذت"، ولم تكن بلاد المغرب بمنأى عن ما كان يحدث في الأندلس من ظلم الغلبة وقهر الجيوش، وتغير الملكية من سيد إلى أخر.

ومن خلال ما قلناه نستخلص أن ملكية الأرض في الدولة الإسلامية انقسمت إلي ملكية عين وملكية منفعة، وان الأرض خضعت للتنظيمات الإدارية التي وضعتها الدولة الإسلامية، ووضعت الخراج علي الأرض الزراعية في بلاد المغرب وتركت بيد أصحابها، أما الأرض التي يجهل خبرها فهي لمن وجدت في يده باستثناء ما اخذ بالقوة فصار من الصوافي، أما وضعية الأرض وأشكال تملكها في بلاد الأندلس والغرب الإسلامي فهي قاطبة إذ لم تستقر علي

1- **بيداء محمود حسن حميد القيسي**: الزراعة والري في الأندلس في عصري الإمارة والخلافة (138 ه-422 ه 756م-1030م) ، رسالة ماجستير، التاريخ الإسلامي، جامعة بغداد، 2005م، ص 220.

حال معينة طيلة العصر الوسيط، بسبب تغير الدول وتبدل في السلاطين، وما ترتب عنه من تغير في الأحوال السياسية، وما ألت إليه من نتائج علي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية إضافة إلي مسألة حيازة العقار.

وانقسمت الملكيات الزراعية بحسب المساحات المستغلة إلي ملكيات زراعية شاسعة عادة ما كان أصحابها من الحكام والخاصة، وملكيات متوسطة إضافة إلي الملكيات الصغيرة التي كانت أكثر انتشارا، وأطلق علي أصناف ملكية الأرض مصطلحات كثيرة ، والأكثر تداولا كانت أرض الصوافي وأرض الموات، كما شملت أرض الصلح وأرض العنوة، وكان منها أراضي الإقطاع والأراضي الأميرية وأراضي الأوقاف والحبوس.

المحاضرة الرابعة

الضرائب

يعتبر النظام الضريبي أداة من أدوات السياسة المالية والاقتصادية التي من خلالها يتم تحقيق أهداف المجتمع، وقد اقترنت الضريبة بالسلطة السيادية للدولة منذ أقدم العصور وتطور مفهومها بتطور مفهوم الدولة، حيث يقع على عاتق الدولة ضمان العيش الكريم لكل فرد يعيش في رعايتها، وقد اختلفت الأنظمة الضريبية من دولة لآخري، ومن عصر لأخر، وفي الإسلام يقوم على أسس ومبادئ تختلف عن أي فكر مالي أخر، وله خصائصه المختلفة والخاصة به، والتي تستند إلى أسسها الشرعية من القرآن الكريم والسنة، أو اجتهاد علماء الفكر الإسلامي، وقبل أن نتطرق إلى الضرائب في بلاد المغرب والأندلس علينا أن نتعرف على مفهوم الضريبة أولا.

أولا: الضرائب في بلاد المغرب

أ: ماهية الخراج والعشور.

1- تعريف الخراج لغة واصطلاحا:

- لغة: الخراج مشتق من الفعل الثلاثي "خرج"، والخراج اسم لما يخرج، وأصله في قوله تعاليفس سورة الكهف الأية"94":" **قالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا** "، لم تكن هناك سابقة واضحة للخراج، بمعنى ضريبة الأرض في فترة الرسالة، إذ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرر أن الأراضي العربية التي أسلم عليها أهلها في الجزيرة لا تدفع إلا العشر، فالرسول صلى الله عليه وسلم ترك الأرض لأهلها، ولم يتدخل في ملكيتها سوءا أسلم أهلها عليها أو دخلوا في الصلح، وبقوا على دينهم فتركها الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، ووضع الخراج على كل من كانت بيده أرض، وجاء في كتب التفسير أن الخراج والخرج شيء واحد بمعني الأجر، وروي عن النبي(ص) قوله **:"الخراج**

بالضمان"، والمقصود هنا المبيع إذا كان له دخل وغلة، وفي معاجم اللغة "الخراج غلة العبد والأمة"، وورد أيضا بمعني الرزق والجعل والعطاء[1].

- اصطلاحا: شيء يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم، وهو أيضا ما يوضع من ضرائب على الأرض أو على محصولاتها، مقابل استغلال الزارع لها، وهو أقدم أنواع الضرائب، وقيل الخراج هو الإتاوة تؤخذ من أموال الناس، أما في الفقه الإسلامي فقد ربط مفهوم الخراج مع الأراضي التي فتحت عنوة، كالسواد والأراضي الريفية في الشام ومصر، والذي أصبح أهم إيرادات بيت المال فيما بعد[2].و استعمل العرب الخراج بمعنيين: الأول بمعني ضريبة الأرض، والثاني هو استمرار لبعض المفاهيم الإدارية الموروثة، في حين أن ما يدفعه الفرد يطلق عليه عادة اسم جزية، ويبدو أن كلمة خراج قرآنية، بمعني أجرة، استعملت هنا علي الأرض لتعني ما يدفعه الزارع مقابل استغلاله الأرض.

ودعم حق الملكية العامة على هذا النوع من الأراضي بعدد من الأحكام الشرعية المعروفة، منها منع **عمر رضيا لله عنه** بيع أرض الخراج، فقد اتفق معظم العلماء والمفكرين المسلمين والمستشرقين على أن الأرض الخراجية تبقى خراجية وإن زرعها مسلم بعد ذلك أو أسلم زارعها، لأن الضريبة تعلقت بالأرض من حال الابتداء فهي مرتبطة بها. وغير مرتبطة بالزراع، والأرض الخراجية لا يبيعها زارعها لأنها ملك الدولة الإسلامية ولا يسقط الخراج عنها وان تولى زراعتها مسلم، ومن أجاز من علماء المسلمين والصحابة بيعها، فإنما كان ذلك بمعنى بيع حق الاستفادة من عقد المزارعة مع الدولة[3].

1- **محمد إسماعيل محمد إسماعيل**: الخراج في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (23ه-13ه_ 634م-643م)، دراسة تحليلية في الجذور والتطور، رسالة الماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية بنابل، فلسطين، 2011م، ص 22.21.

2- **غيداء خزنة كاتبي**: الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث هجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1997م، ص104.

3- **غيداء خزنة كاتبي**: المرجع نفسه، ص105.

2- أنواع الخراج:

- **خراج الوظيفة:** يسمي أيضا هذا النوع خراج المقاطعة وخراج المساحة، لأن الإمام ينظر إلي مساحة الأرض ونوع ما يزرع عند توظيف الخراج عليها، وهو أن يكون الواجب شيئا في الذمة يتعلق بالتمكن من الزراعة حتى لو لم يقع الزرع بالفعل فيجب الخراج على ملك الأرض، وتتعلق فريضة خراج الوظيفة بالتمكن من الانتفاع بالأرض، مما يقتضي تأكيد حق المالك في التمكن من أرضه، ويتميز هذا النوع من الخراج بوجوب دفعه بمجرد تمكين المالك من أرضه بغض النضر عن استغلاله له لهذه الأرض.

- **الخراج الصلحي:** هو الخراج الذي يوضع على الأرض التي صولح عليها أهلها على أن تكون الأرض لهم، ويقرون عليها بخراج معلوم، حيث قال **الباجي:" فما صالحوا على بقائه بأيديهم من أموال فهو مال صلح، أرضا كان أو غيره"[1].**

- **خراج العنوة:** هو الخراج الذي يوضع على الأرض التي افتتحت عنوة بعد أن وقفها الإمام علي جميع المسلمين، ويدخل في هذا النوع الخراج الذي يوضع على الأرض التي جلا عنها أهلها خوفا وفزعا من المسلمين، وكذا الخراج الذي يوضع على الأرض التي صولح أهلها علي أن تكون للمسلمين ويقرون عليها بخراج معلوم.

- **خراج المقاسمة**: هو أن يكون الواجب جزءا شائعا من الخارج من الأرض، كالربع والخمس وما أشبه ذلك، وهذا النوع من الخراج يتعلق بالخارج من الأرض لا يجب الخراج، وتتميز هذه الضريبة بأنها تتكرر بالتكرار الناتج في الأرض، بعكس خراج الوظيفة الذي يؤخذ مرة واحدة في السنة. ومن شروط وجوب دفع الخراج:

- أن يكون المكلف من آهل الذمة أو أسلم بعد دفعه الخراج.

- بقاء الأراضي في يد الذمي والتصرف فيها.

- أن تكون الأرض زراعية أو تكون ذات دخل كافي.

1- **القاضي أبو يوسف**: كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، ب .ط، ب .ت، ص 28.27.

*** ومن خصائصه :**

- أنها ضريبة مباشرة تفرض على الأرض المنتجة ولا تفرض على الأرض غير الصالحة للاستغلال.

- أنها ضريبة شخصية حيث تراعي ظروف الكلف الشخصية والقدرة المالية فيجب أن تتناسب ضريبة الخراج مع القدرة الاحتمالية للأرض.

- أنها ضريبة إقليمية أي تفرض على ارض ضمن حدود الدولة الإسلامية.

- أنها ضريبة عامة تفرض على ارض الذمي سوءا أسلم أو لا، كان رجلا أو امرأة، أو صبي أو حر أو عبد[1].

وحددت الجزية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما كان يراعي في وضعها مصالح أهل الذمة وأحوالهم المادية، ونجد أن المسلمين فرضوا أول الأمر جزية نقدية مع بعض المواد الغذائية للقوت في الشام، وفي دمشق وضع كل رأس دينار وجريب من الحنطة عن كل جريب أرض، وكذلك خل وزيت لقوت المسلمين، أما في مصر فقد ذكر **البلاذري** في رواية **عبد الله عمرو بن العاص** أنه وضع على كل حالم دينار، إلا أن يكون فقيرا، وفرضها **عمرو بن العاص** على الرجال فقط، وقد يكون مبلغ الدينارين هو المعدل الوسيط للضريبة التي دفعها المكلف بمصر، واستثنى الرهبان من دفع الجزية كما ورد أدى الماوردي[2].

- الجزية: جاء ذكر الجزية صريحا في القران الكريم في سورة التوبة الآية "29" الكريمة **"** قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ **".**

الجزية تعني ما فرضه العرب المسلمين على أهل البلاد المفتوحة، والتي نظمت العلاقة بينهم وبين أهلها عقود الصلح والأمان التي كان يعطيها العرب لهم، وهذه الضريبة الأكثر شيوعا

1- **مجلة العلوم الإنسانية**: الخراج والعشور وإمكانية تطبيقه، لعدد 48، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص 700.
2- **مجلة العلوم الإنسانية**، المرجع نفسه، ص 709-710.

في عهود الصلح مع أهالي البلاد المفتوحة فيما بعد ولا تؤخذ الجزية من الأعمى والمقعد، ولا الشيخ الكبير الذي لا يستطيع العمل، ولا المحتاج الذي لا يقدر على شيء.

3- مفهوم العشور.

- لغة: الجزء من عشرة أجزاء، ومشتق من الفعل عشر ويجمع العشر على عشور وأعشار، ويقال عشر فلان عشرا، اخذ واحدا من عشرة.

- اصطلاحا: هو اسم مأخوذ من المسلم في زكاة الأرض العشرية، والعشر يتفق مع خراج المقاسمة في أنهما يجبان في الخارج من الأرض الزراعية، ويختلفان في محلهما، فمحل العشر الأرض العشرية التي يملكها مسلم، ومحل الخراج الأرض الخراجية، وهي ضريبة على تجار أهل الحرب على بضاعتهم المملوكة لهم، يدخلون بها بلاد المسلمين، وهي قائمة على مبدأ المعاملة بالمثل، لأنه اعتقد أن في ذلك مصلحة المسلمين، فكان عمرو أول عاشر في الإسلام[1].و لا تفرض إلا إذا بلغ المال نصابا كاملا، وتؤخذ من العفو (الزيادة)، وتؤخذ أيضا على الأموال الصافية بعد خصم الديون، فلو أن ذميا ادعى أن عليه دينا فلا يؤخذ منه شيء ولو استغرق دينه كله.

ضف إلى ذلك يؤخذ العشر من تجار أهل الحرب من كل ما مروا به على العاشر، وكان للتجارة وبلغت قيمته مائتي درهم فصاعدا، وان كانت القيمة اقل من مائتي درهم لم يؤخذ منه شيء، ولا يؤخذ منه إلا مرة في الحول، أما مقدار جباية العشور فهو متدرج حسب المكلفين، إذ جعلوه ثلاث طبقات مع أن التسمية العامة هي العشور، فالمسلمون يدفعون ربع العشر وهذا ما ربط العشر بالزكاة بالنسبة لهم وعلى آهل الذمة نصف العشر وأهل الحرب العشر.

4- أصول النظام الجبائي المغربي.

لقد كان النظام الجبائي المغربي موروثا بشكل ما عن نظام الجباية البيزنطي الذي يشمل على قسمين: ما يتعلق بالأرض وجبايته مزدوجة تتعلق بالمنتج الفلاحي وبالأشخاص، وكانت

1- الموسوعة الفقهية الكويتية، علي الموقع: الكتب، الموسوعة الفقهية الكويتية، أنواع الخراج-htt://www,al-emaµ ,com، تم الاطلاع في، 2021.02.24.

تدفع للدولة أو لكبار ملاك الأرض وتتعلق بالتجارة والصناعة، مثل ضريبة الملاحة، وكان الإمبراطور يشرف على كيفية جباية المال ويمثله إفريقية قائد إمبراطور له ممثلون بدوره.

كان بعض الأموال والأغذية يأخذ طريقه إلى القسطنطينية وتضاف إلى البعض الأخر مداخيل الكنيسة ويرسل إلى روما ويحتفظ بالباقي لدفع أجور الأعوان والنفقات المحلية، وعامة كانت الضرائب مشطة وكان الحصول عليها يتم بقسوة حتى أن بعض المؤرخين ردوا انهيار إفريقية أمام أول موجة فتح قادها العرب إلي ضيق أهلها بتعسف الإدارة البيزنطية.

لقد وجد حسان بن النعمان هذا النظام قائما، فصالح على الخراج وكتبه على عجم إفريقية وعلى من أقام معهم على دين النصرانية وكان ضريبة إجمالية تدفعها المجموعة وتبعث بها حين يحين وقتها، ومع ذلك لم يكن هذا النظام يختلف كثيرا عن نظيره في المشرق المتأثر بدوره بالموروث البيزنطي، ولكن هياكله الإدارية لم تتطور كثيرا لأن استقرار البلاد لم يتحقق إلا في عهد موسي بن نصير(88ه-96ه)، ولم يبلغ أوجه إلا في العهد الفاطمي.

5-الموارد الجبائية في بلاد المغرب.

يقسمها الباحث إلى موارد أولية شرعية وأخري مستحدثة، فمن الموارد الشرعية ما هو مفروض على غير المسلمين من غنائم وفيء، وقد أضحي مؤسسة شبه قارة تضمن موارد دائمة، فكانت كتائب الجند تغزو مناطق افريقية لتعود بالغنائم الكثيرة.

فما أخذه **عبد الله بن سعد بن أبي سرح** من الروم سنة 27هـ بلغ 300 قنطار من الذهب وبلغت هذه الغنائم أقصاها في عهدي **حسان بن النعمان** و**موسي بن نصير**، فكانت الأموال المغنومة من الأندلس وحدها وصلت إلى مائة وأربع عشرة عجلة أو مائة وثلاثين عجلة، وكان

السبي عنصرا تجاريا مربحا، وقد بلغ ذروته في عقبة بن نافع وفي فترة حسان بن **النعمان** الذي رجع إلى المشرق ومعه خمسة وثلاثون ألف أمازيغي[1].

أما في عهد موسي بن نصير فالأرقام المذكورة في المصادر أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة فقد بلغ سبيه من جهة زغوان عشرة ألاف رأس ومن هوارة وزناته وكتامة خمسة ألاف ومن صنهاجة مائة ألف رأس وسبى أبناءه من نواحي إفريقية مائتي ألف رأس، ثم دخل الأمازيغ في الإسلام في الفترة العباسية.

ومن الموارد الجبائية المستحدثة، أو المفروضة خارج نطاق الشرع، العشور التي تفرض على التجارة، ورغم أنها لم تكن تلقي القبول عند بعض رجال الدين وكان يشار إليها بكونها غير شرعية، فقد أصبحت ضريبة رسمية للدولة، ولا تجود المصادر بمقاديرها في العهد الأغلبي.

أما في العهد الفاطمي، فكانت المركز (المراصد) تقام لاستخلاصها في أبواب المدن، وكانت جوازات المرور تسلم للتجار بعد أن تضبط الكميات والبضائع في سجلات ومناشير رسمية، واستهدفت التعشير المسلمين وغير المسلمين.

وابتكرت مكوس إضافية، منها ما تعلق بالأسواق والتنقل ومنها ما تعلق بالخبازين والجزارين وعامة الدكاكين، وطلب في العهد الفاطمي حق المرور بالمهدية بالنسبة إلى الحاج وأغرم علي المرور بالأبواب وفرضت في صقلية ضريبة البحر وشملت السفن الراسية في المدن، ومن طريف ما ابتكر أموال اللطف في صقلية أو التقرب في افريقية وهي أموال، على سبيل التطوع، لتقدم هدايا يتقرب بها الحاكم لأمير المؤمنين في الأعياد، ومن مؤلمه جباية الاستصفاء وتتعلق بالخصوم والمعارضين وتشبه عمليات المصادرة اليوم، هذا ما فعله **عقبة بن نافع بأبي المهاجر** مثلا، وما فعله **سليمان بن عبد الملك بموسي بن نصير** وأبنائه وما تحول إلى عادة مألوفة عند الفاطميين، ويجد الباحث في وصف الإدريسي لجبايات مراكش قبل الدولة

1- **إبراهيم جدله**: مدخل إلى دراسة السياسة المالية ببلاد المغرب من القرن الأول إلى القرن الخامس هجري، كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة ومجمع الأطرش لنشر وتوزيع الكتاب المشترك، تونس، 2009م، ص 100.

الموحدية نموذجا فأكثر الصنع في مراكش متقلبة عليها مال لازم مثل سوق الدخان والصابون...وكانت القبالة على شكل كل شيء يباع دق أو جل.

إن فرض الضرائب كانت سياسة تنتهجها الدول عند العجز علي الإنفاق عن متطلباتها، ولم تسلم أي طبقة اجتماعية عن فرض الضرائب، وان كانت توجد هنا بعض الحالات التي أعفيت منها لأسباب خاصة، وقد اعتنت الشريعة الإسلامية بالشؤون المالية عناية كبيرة حيث وضعت لها سياسة رشيدة عادلة راعت فيها تحقيق العدالة، وعليه أصبحت الضريبة لا تقتصر علي كونها مصدرا ايراديا للدولة فقط، بل تعدت ذلك بحيث أصبحت لها وضيفة اجتماعية واقتصادية، إضافة إلي وضيفتها المالية التقليدية إذ أصبحت أداة من أدوات اقتصادية التي يمكن من خلالها تحقيق التنمية الاقتصادية، ومعالجة التضخم والركود، ورفع مستوي المعيشة للمواطنين من أجل النهوض بالاقتصاد القومي عامة[1].

تطرقنا سابقا إلى النظام الضريبي في بلاد المغرب والتي يمكن أن تكون أيضا في بلاد الأندلس بطبيعة الحال، إذ يعتبر هذا الجانب مرآة تعكس نضام الدول من كل النواحي، وهو مصدر أساسي تعتمد عليه الدول في تسديد نفقاتها، وتسيير خدماتها وتأمين موارد دخلها، لذلك فان هذا العمل يهدف لدراسة وإظهار المكانة والأهمية للضرائب في الاقتصاد الأندلسي.

ثانيا: الضرائب في بلاد الأندلس.

لقد كلفت المدينة الإسلامية لعالمها حرية واسعة في ممارسة أعمالهم، ولم تتدخل إلا في بعض الصناعات المحدودة التي كان يتطلب ممارستها الحصول على إذن خاص، مثل إنشاء الحمامات، وصنع الأسلحة، وسك النقود، وتركيب الأدوية، والعمل في دور الطراز، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى أسباب تتعلق بالمصلحة العامة أو أمن الدولة، أما موارد الدولة الاقتصادية

1- **إبراهيم جدله:** المرجع نفسه، ص 101.

فكانت تقوم على ضرائب مشروعة وغير مشروعة تمول بها بيت المال، ومن أمثلة الضرائب المشروعة:

الأموال الخارجية التي تجبي من الأراضي الزراعية، وأموال الزكاة والجزية والمواريث الحشرية(أي مال من يموت دون وريث)، والعشور أو الأعشار وهي المال التي تجبي من تجار الفرنج الذين يفدون ببضائعهم إلى الموانئ الأندلسية فيدفعون عشر قيمتها، وقد انتقلت هذه التسمية إلى اللغة الإسبانية على شكل alixases، ثم ضريبة التعتيب وهي ضريبة جديدة فرضت في الأندلس في عهد المرابطين وكان الغرض منها ترميم الحصون والأسوار التي حول المدن الرئيسية ويقوم بسدادها أهل هذه المدن المنتفعة بها.

أما الخراج فهو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها، وهي الأرض التي صولح عليها المشركون من أرضهم، وهي على نوعان: أحدهما ما هرب عنه أصحابه، فخلص للمسلمين بغير قتال، فتصبح وقفا على مصالح المسلمين، ويضرب عليها الخراج ويكون أجرة تقر غلى الأبد وإن لم يقدر بمدة، والأخر ما أقام فيه أهله وصولحوا على إقراره في أيديهم بخراج يضرب عليهم، وهذا بدوره ينقسم إلي قسمين أحدها: أن ينزلوا عن ملك الأرض فتصبح وقفا على المسلمين، ويكون الخراج المضروب عليهم أجرة لا تسقط إلا بإسلامهم، والأخر: أن يستبقوها على أملاكهم ولا ينزلوا عن رقابها ويصالحوا عليها بخراج[1].

والحديث عن الخراج بالأندلس يتطلب تتبع عملية الفتح، والإجراء الذي قام به **موسي بن نصير** ومن أتي بعده من الولاة، وعندما تعرض أحد الباحثين للحديث عن الخراج في الأندلس، ذكر بأن عقدة العقد في تاريخ عصر الولاة هي ناحية الخراج، ثم ناقش هذه القضية باستفاضة، وخلص إلى أن **موسي بن نصير** قد قام بتخميس الأراضي الواقعة جنوب الواد الكبير، فجعل أربعة أخماس تلك الأراضي بأيدي القبائل المشتركة في عملي الفتح، والخمس ملكا للدولة، وانسحب هذا الحكم علي الأراضي الواقعة بين الواد الكبير ووادي أنه، وما بين هذا النهر

1- الدور الاقتصادي في الأندلس، علي الموقع: .http://www.islamguideμ.com/kviμμor/iμdex2554 ، الإطلاع في: 2012.02.2

والمحيط الأطلسي، فيما عدا ثلاثة مدن وهي التي استسلم أهلها للمسلمين، وبذلك يجر عليها حكم العنوة[1].

وبذلك أصبحت أراضي الجنوب والغرب التي تقاسمها العرب إقطاعات، ملكا لأصحابها، يتوارثها الأبناء عن الآباء، وهو ما أيده الخليفة الوليد بن عبد الملك، حيث منح زعماء تلك القبائل سجلات بذلك، وعلى ضوء الدراسة الوافية التي قام بها الدكتور حسين مؤنس للناحية المالية ومسائل أراضي الخراج في الأندلس، يمكن القول بأن نصيب خزانة الدولة كانت ثلث خراج أراضي الخمس.

ومن أنواع الضرائب في الأندلس نجد:

- ضريبة على الرؤوس: فريضة فرضت على الأشخاص، فكان إلزاما على رب الأسرة أن يسدد ضريبة على كل فرد من أفراد الأسرة والتي كانت عبئا على الأفراد، حتى بعض المؤرخين قد وصفها بأنها جزية على الرؤوس أعظم من الجزية التي فرضت على آهل الذمة.

- ضريبة السخرة: ضريبة تلزم المواطن بالعمل في المشاريع العامة لفترة معينة مثل شق الطرق، بناء الجسور.

- ضريبة المكس (المكوس): ضريبة فرضها الموحدون على الطوائف المارة على البلاد للتجارة، فكانوا يوهمون الناس ويخوفونهم ويستحوذون على تجارتهم وأموالهم بتحجير المراسي ومنع التصرف فيها، وكانت هناك مكاتب جمركية في الموانئ لاستخلاص الرسوم.

- ضريبة القبالة: ضريبة اتصفت بالتعدي على حقوق الناس.

1- المرجع نفسه.

- ضريبة المعونة: ضريبة يفرضها الأمير على رعاياه للقيام بواجب الجهاد أن كان بيت المال خاليا من الأموال، ويبدوا أن المسلمون المغاربة كانوا يسمونها خراجا مضروبا على الأرض[1].

- ضريبة النوازل: بمعنى الخراج المضروب على الأرض، إذ تذكر رواية للتادلي وضيفة مثل ذلك على رعاة في قرية تاجنينت من تادلا[2].

- ضريبة الضيافة: تعود سابقة الضيافة والأرزاق و الطعام لفترة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو الذي ادخلها للضرورة التي أصبحت فيما بعد عسكرية، كما انه فرض المواد العينية لأسباب تموينية فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بحاجة الجند إلى التموين في بلاد غربية بعيدة عن المركز، و يذكر الطبري أن الضيافة ليست بديلا عن الجزية بل هي إضافة إلى الحد الأدنى من الجزية، وبعد أن بين كيفية الضيافة وما يقدم للناس من قبل المكلفين[3]، وتجمع الروايات على أن الكنائس كانت مراكز ضيافة ومأوى للجنود كما جاء عند ابن قيم.

ويتضح أيضا أن الضيافة فرضت لضرورة عسكرية، فقد يضطر الجند للراحة أثناء السير فكان على المدنيين تامين مأكلهم لفترة قصيرة، وهذه الضريبة فرضت من اجل الموظفين كالجباة ومضفي الساحة وغيرهم.

ضريبة مغرم الدور: ضريبة تفرض على أصحاب العقارات، وقد وردت الإشارة إليها في كتب النوازل وباستباحة أموال المسلمين بغير حق، وكانت تسمي في مملكة غرناطة ضريبة الفظ، وفرضت على الممتلكات و يدفعها الشخص نضير حماية الدولة[4].

1- - **سالمة أبو الناصر محمد**: الضرائب والمكوس في الأندلس منذ بداية عصر المرابطين حتى سقوط مملكة غرناطة (479ه-897ه 1086م-1492م)، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، ص 172.171.170.

2- **مجلة العلوم الإنسانية**، المرجع السابق، ص 711.

3-**مجلة أنسنة:** النظام المالي للدولتين المرابطين و الموحدين في المغرب الإسلامي، البحوث و الدراسات، العدد 6 ديسمبر 2012، ص201 .

4- **سالمة أبو الناصر محمد:** المرجع السابق، ص172.

- **ضريبة الإعفاء من الخدمة العسكرية:** ضريبة خاصة بالمسلمين كان يصل مقدارها حوالي: 267.21 دينار وهذا يعد تعويض نقدي عن مقدرة المسلم على المشاركة في الحروب، وكانت ثقيلة جدا[1].

- **ضريبة على التركات:** ضريبة فرضت بمناسبة انتقال رأس المال من المتوفى إلى ورثته أو إلى الموصي لهم.

ثالثا: أثار الضرائب على النواحي الاجتماعية والسياسية في بلاد المغرب والأندلس.

من خلال ما سبق وبصفة عامة، من الآثار المترتبة على الضرائب في المغرب الإسلامي والأندلس:

- ظاهرة احتكار السلع وغلاء أسعار المواد الغذائية بسبب الضرائب التي تفرضها الدولة، إضافة إلى تكاليف الزراعة.

- انتشار ظاهرة الرشوة وشراء المناصب، أو ما يمكن تسميته بقبالة الوظائف، وهذه الظاهرة انتشرت في مرحلة ضعف الدولة، وتعنى أن تتم المقايضة على منصب وابتزاز صاحبه.

- انتشار ظاهرة قطع الطرق التي نتجت عن الأزمة الاقتصادية التي ترتبت عن طريقة إدارة الدولة لموارد البلاد الاقتصادية، وما سببته من انزلاق فئة كبيرة لمستويات معيشية متدنية جعلت الكثير من الأشخاص يلجئون للممارسة مهنة قطع الطرق والتي كانت كنتيجة كي يهرب صاحبها من الملاحقات الضريبية[2].

ومجمل القول إن النظام الضرائبي في بلاد المغرب والأندلس لم يكن ليختلف كثيرا عن النظام الذي كان مطبقا في بقية البلاد الإسلامية لا من حيث طبيعته، ولا من حيث طريقة جمعه،

1- **سالمة أبو الناصر محمد:** المرجع نفسه، ص173.

2- **المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية**: الضرائب الزراعية في المغرب خلال القرن الرابع هجري –العاشر ميلادي بين الأنواع و الممارسات، 2716-7984: ISSN: المجلد 1، العدد 2، ديسمبر، 2019م، ص223.

ولا من حيث استغلاله لغايات نفعية و عسكرية، ونجد أن النظريات الاقتصادية عند المسلمين مقتنعة أن لا جباية دائمة و مضمونة إلا عل الفلاحين لان الخراج هو مادة عمران الخزائن.

المحور الثاني:

المناخ والثروة المائية في الغرب الإسلامي (المغرب والأندلس)

المحاضرة الخامسة

المناخ في الغرب الإسلامي (المغرب والأندلس).

المحاضرة السادسة

الثروة المائية (المغرب والأندلس).

المحاضرة السابعة

تقنيات الري في الغرب الإسلامي (المغرب والأندلس).

المحاضرة الخامسة

المناخ في الغرب الإسلامي

وصلت الدراسات السابقة إلى أن مناخ بلاد الغرب الإسلامي والتغيرات المناخية لا يكاد يتبدل طوال ألف سنة على الأقل، لذا فإنه بالرجوع إلى المعطيات الحديثة عن أحوال المناخ بالمنطقة مع العودة إلى ما أوردته كتب الرحالة والجغرافيين، أمكننا بلا شك تكوين فكرة عن طبيعة المناخ الذي كان سائدا ببلاد الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، وهذا ماتوصل إليه الباحثين من أن هذا المناخ بلغ مستواه الحالي في بداية الألفية الأولي قبل الميلاد تقريبا.

وهذا نفسه ما انتهي إليه أحدهم حيث قال:**" الخلاصة العامة التي تفرض نفسها هي أن المناخ في المغرب لم يتغير بالفعل منذ العصر القديم علي الأقل في خطوطه الأساسية"[1]**.

أولا: المناخ في بلاد المغرب.

من العوامل التي تؤثر في مناخ بلاد المغرب نجد :

أ- الموقع: يتحكم الضغط الأصوري[2] المرتفع في نظام تساقط الأمطار لبلاد المغرب الذي يمتد بين دائرتي عرض 30 و 40 درجة شمال خط الاستواء، حيث تتزحزح هذه المنطقة في فصل الشتاء نحو الجنوب مع حركة الشمس الظاهرية[3]، فالقسم الشمالي لبلاد المغرب أبرد من حوض البحر الأبيض متوسط، فبدوره يشكل منطقة ضغط منخفض تجلب إليها الرياح من منطقة الضغط

1- **-موسي هواري**: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين من القرن 1ه- 7م إلى القرن 7ه- 13م، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2016م_2017م، ص 90.

2- **الضغط الأصوري**: تسميها بعض المراجع منطقة الضغط المرتفع الأزوري بدل الأصوري نسبة إلى جزر الأزور أو الأصور بالمحيط الأطلسي الشمالي. أنظر **الديوري عز الدين** :الجفاف في المغرب قرن من ملاحظات الأرصاد الجوية السياسية المائية والأمن الغذائي في أفق بداية القرن الواحد والعشرين، الدورة الخريفية، 2000م، مطبوعات أكاديمية المملكة الغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2001م، ص 160.

3- **الظاهر نعيم:** جغرافية الوطن العربي، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 1418هـ/1999، ص90.

المرتفع الأصوري، وعند اصطدام هذه التيارات الهوائية باليابس تكسب برودة وتنقص قدرتها علي حمل بخار الماء، فيحدث التكاثف وتسقط الأمطار[1].

وتدخل المنطقة في المجال الشبه مداري في فصل الصيف، وذلك يعود لانفتاحها علي الصحراء الكبر[2]، وتنتج المنخفضات الجوية بسبب انحصارها في إقليم ضيق وسط المحيط الأطلسي وتتبع في سيرها الشرق إلي الغرب خطا يقع إلي الشمال من الخط الذي كانت سلكته في فصل الشتاء، وتهب منها الرياح نحو أوروبا، وليس نحو شمال إفريقيا فتختفي ظاهرة الأمطار[3]، وتهب الرياح القارية المدارية من الصحراء في نهاية الربيع وأوائل الصيف فتجلب معها الهواء الساخن الجاف إلى الجبال والسهول الساحلية، مما ينتج تغيرات في حالة الطقس العادية، وترتفع درجة الحرارة إلي ما بين 30 و40 درجة.

أما الرطوبة فتنخفض إلي ما يقارب 10 بالمائة ويمتلئ الجو بالأتربة والرمال، مما يؤدي إلى جفاف النبتات[4]، وتعرف تلك الرياح بالشرقي في بلاد المغرب الأقصى، و بالشهيلي والقبلي في كل من الجزائر والمغرب وليبيا[5]، إضافة إلى الرياح الغربية الغير منتظمة التي تسود المناخات المعتدلة وتتسبب في اختلاط كتل الهواء الدافئ بكتل الهواء البارد علي طول جبهة قطبية متحركة في تكوين زوابع واسعة تتحرك من الغرب إلي الشرق. وفي الصيف تصعد كتل الهوائية المدارية إلى مستوى شبه الجزيرة الإيبيرية وتطرد الأعاصير القادمة من الغرب إلى

1- **حليمي عبد القادر علي**: جغرافية الجزائر طبيعية بشرية اقتصادية، مطبعة الإنشاء، دمشق، سوريا، ط2، 1968م، ص ص 65.66.

2- **تروان جان فرنسوا وآخرون**: المغرب العربي الإنسان والمجال، تعريب علي التومي وآخرون، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص ص 53.54.

3- **حليمي عبد القادر**: المرجع السابق، ص ص 66.67.

4- **سعودي محمد عبد الغني**: الوطن العربي، مكتبة لأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، بدون تاريخ، ب ط، ص 46.

5- **تروان جان فرنسوا**: المرجع السابق، ص 54.

الشمال، فينتج جو هادئ ومنتظم ولا تنزل الأمطار لمدة ستة أشهر من الجفاف المطلق تحت شمس حارة. وفي الصيف يبقي البحر بارد نسبيا والجو هادئ وجميل مصحوب برياح تشبه أحيانا نسيم البحر دون هطول الأمطار، على العكس من ذلك في الشتاء أين يكون البحر دافئ ودرجة الحرارة أعلي من درجة حرارة الهواء[1].

ب-التضاريس.

تؤثر تضاريس بلاد المغرب في المناخ بشكل كبير، إذ تحصر السلاسل الجبلية تأشيرات المياه الأطلسية والمتوسطة من رطوبة واعتدال للحرارة في الشريط الساحلي، إذ يمنع الاضطرابات الجوية من الدخول إلى الجنوب في فصل الشتاء، فتسقط أكثر حمولتها على السواحل والمرتفعات، ويسمح امتدادها من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي بتوغل الرطوبة إلى الجنوب[2]، وتقوم جبال الأطلس المتوسط وسلسلة الريق بدور الحاجز المناخي مما يؤدي إلى ضعف التساقطات وندرتها في بعض الأقاليم، حيث لا يبلغ معدل سقوطها 200 مم في غالب الأحيان[3].

ج- المسطحات المائية.

تعد المياه الأطلسية والمتوسطية مصدر للرطوبة واعتدال الحرارة في بلاد المغرب، فالمناطق الساحلية تتأثر بالبحر حيث يدفئ درجة الحرارة في الشتاء[4]، ويلطفها في الصيف[5]، ولذلك فهي ألطف طقسا وأعدل مناخا من المناطق الداخلية التي تزداد بها الفوارق الحرارية اليومية والشهرية والسنوية، والمتوسطات الحرارية كلما ابتعدنا عن الساحل[6].

1- **موسي هواري:**ا لمرجع السابق، ص 91.

2- **سعودي محمد عبد الغني:** المرجع السابق، ص ص40.41.

3- **تروان جان فرنسوا**: المرجع السابق، ص ص69. 70.

4- نفسه: ص ص54.53.

5-**DES POIS JEANS** :LAFRIQUE BLANCHE ,PRESS UNIVERSITAIRES DE France, PARIS, 1949, P 7

6- **موسي هواري:** المرجع السابق، ص 139.

أما التيار الكناري البارد الذي يمر بسواحل المغرب الأطلسية فيتسبب في برودة الساحل ووجود ظاهر الضباب[1]، كما يجعل حرارة الساحل الأطلسي لبلاد المغرب أقل ببضع درجات من ساحل المتوسط، والوضع في الشتاء يكون معاكسا تقريبا، إذ تدفئ مياه البحر سواحل المنطقة[2].

د- الحرارة.

يكون الخريف أكثر حرارة من الربيع، وفي فصل الصيف تكون الحرارة في الجهات الداخلية أثناء النهار أقرب إلي حرارة الصحراء بسبب الجفاف الشديد وصفاء السماء، وتنخفض في الليل انخفاضا طفيفا، أما في الشتاء فتنخفض درجة الحرارة انخفاضا ملحوظا وهذا الانخفاض لا يعني البرد الشديد فهي تميل إلي الدفيء أثناء النهار وتتجه نحو البرود في الليل، وترتفع درجة حرارة النهار الصيف ارتفاعا كبير خاصة في الصحراء[3].

ه- الأقاليم المناخية.

اتفق أغلب الدارسين علي تقسيم المناخ إلي ثلاث أقاليم رئيسية ممتدة في شكل نطاقات من الشرق إلي الغرب ومرتبة من الشمال إلي الجنوب وهي كالتالي:

1- المناخ المعتدل: وهو مناخ البحر المتوسط الذي يسود المنطقة الشمالية الممتدة من البحر إلي السفوح الجنوبية لسلسلة الأطلس التلي، ويتميز هذا المناخ بشتاء لطيف على الساحل وأمطار في الخريف والشتاء والربيع، أما الصيف فهو حار وجاف، كما تزيد شدة البرد فيه كلما زاد الارتفاع حيث تشهد المرتفعات الجبلية تساقط الثلوج وانخفاض درجات الحرارة[4].

1- **المحيشي عبد القادر مصطفي وآخرون**: جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، ط1، 2000م، ص65.

2- **موسي هواري:** المرجع السابق، ص 139.

3- **موسي هواري:** المرجع السابق، ص 141.

4- **بن عميرة محمد**: الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2004م_2005م، ص100.

2- المناخ الشبه جاف أو مناخ الإستبس: ويسود المنطقة الداخلية الممتدة من السفوح الجنوبية للأطلس التلي إلى السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي، وتشمل السهول والهضاب الداخلية وأراضي الإستبس، ويعتبر مناخ هذه المنطقة انتقاليا بين مناخ البحر المتوسط في الشمال والمناخ الصحراوي في الجنوب، أما أمطاره فهي متذبذبة وغير منتظمة[1].

3- المناخ الصحراوي: يشمل المناطق الصحراوية الممتدة من غرب مصر إلى جنوب المغرب الأقصى في جنوب الأطلس الصحراوي، فهو يسود أكبر مساحة من بلاد المغرب، يتميز بالجفاف والارتفاع الشديد في درجات الحرارة مع بعض الانخفاض في بعض أشهر الشتاء، وخاصة أثناء الليل، ولا تزيد نسبة التساقط فيه عن 150 مم وهي أمطار متذبذبة وفجائية، كما لا تزيد الأيام الممطرة عن 25 يوم في المتوسط خلال السنة الكاملة كما ينعدم بهذه المنطقة الجليد والثلوج[2].

و- التساقط.

يتميز التساقط بصفة عامة في بلاد المغرب بالتذبذب وعدم الانتظام بين السنوات و الفصول بسب عدم خضوع الانخفاضات الإعصارية لنظام معين من حيث توالدها ومساراتها، وقربها أو بعدها عن البحر، ويؤدي تذبذب التساقط إلى حدوث كوارث تهدد حياة الإنسان والحيوان والنبات[3].

ثانيا: المناخ في بلاد الأندلس.

1- **جودة حسنين جودة:** الجغرافية المناخية والحيوية مع التطبيق على مناخ ونبتات قارات أوروبا وأسيا وإفريقيا ومناخ ونبتات العالم العربي، الفنية للطباعة والنشر، الإسكندرية، ب ط، 1999م، ص 492.

2- **سعيد البوزدي**: الخصوصيات المناخية للمغرب القديم ضمن كتاب أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا، مكتبة دار السلام، الرباط، ط1، 2007م، ص188. ص191.

3- **أبو مصطفي**: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين و الموحدين، الإسكندرية، ب ت، ب ط، ص 88.

يسود مناخ شبه الجزيرة الأيبيرية بحكم موقعه الجغرافي مناخ البحر المتوسط الذي يسود الجهات الشرقية والجنوبية منها[1]، ويجمع بين الشتاء الممطر، والصيف الحار الجاف، وطوال السنة يتأثر بمؤثرات المحيط الأطلسي بفعل الرياح الغربية[2]، أما الجهات الشمالية والشمالية الغربية يسودها مناخ غرب أوروبا[3]، وبسبب موقعه البحري فهو يتميز برطوبة هوائه[4]، والمناطق الشمالية معرضة للرياح الهوجاء والأمطار و البرد الشديد.

بينما المناطق الجنوبية فتمتاز بهبوب الرياح الحارة، في حين المناطق الواقعة في الوسط، فمناخها قاري، ومنه فإن مناخ الأندلس متنوع، وعلى الرغم من ذلك فهي وصفت من أنها جنة الدنيا، إذ تمتاز باعتدال الهواء وعذوبة المياه.

ومن العناصر المؤثرة في مناخ الأندلس نجد:

أ- درجة الحرارة: تعد احدي عناصر المناخ التي تؤثر في المحاصيل الزراعية[5]، وتتميز الأقسام الشمالية والشمالية الغربية بانخفاض درجات الحرارة، إذ تتراوح ما بين 45 و65 درجة[6].

أما المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية فتتفاوت فيها درجة الحرارة في فصل الصيف وانخفاضها في فصل الشتاء[7]، أما المناطق الداخلية فتتفاوت فيها درجة الحرارة بين الارتفاع والانخفاض[8].

1- **جيز ويلز وآخرون:** جغرافية العالم الإقليمية، تر: محمد حامد وآخرون، بيروت، 1964م،ج.1، ص 23.

2- **شريف إبراهيم:** أوروبا، دراسة إقليمية لدول أشباه الجزر الجنوبية، الإسكندرية، 1960م، ص 484.

3- **أبو مصطفي:** المرجع السابق، ص 88.

4- **كندرو**: مناخ القارات، تر: حسين طه النجم وآخرون، ج2، بغداد، 1968م، ص 107.

5- **النابلسي عبد الغني النقشبندي**: علم الملاحة في علم الفلاحة، مطبعة نهج الصواب، دمشق، 1299م، ص 63.

6- **كندرو:** المرجع السابق، ص ص 105.106

7- **جيز ويلز وآخرون:** المرجع السابق، ص 23.

8- **الجمل محمود جلال الدين**: أوروبا في مجرى التاريخ، القاهرة، 1969م، ب ط، ص 502.

ب- الرياح: تتميز رياح الأندلس باختلاف هبوبها[1]، فالمناطق الشمالية تهب عليها رياح غربية، أما المناطق الجنوبية فتتأثر بمناخ البحر متوسط ، وتهب الرياح الغربية محملة برطوبة المحيط الأطلسي، ويخف الضغط صيفا، إضافة إلى الرياح القبلية الجافة التي تسود المنطقة فتجعل الصيف جافا وحارا إذ تقل نسبة جفافها بمرورها على مياه البحر متوسط، وقد تصيب بعض شرق الأندلس بمطر صيفي، وتسمي هذه الرياح بالرياح الشرقية[2].

ج- التضاريس: هي احدى العوامل الطبيعية التي تؤثر في تحديد النشاط الزراعي، وتتكون التضاريس في الأندلس من الجبال والأودية والسهول والهضاب، وتتميز الأندلس بكونها هضبة يبلغ متوسط ارتفاعها عن مستوي سطح البحر ما يقرب من ستمائة متر[3].

نستنتج مما سبق أن المناخ من العوامل المهمة التي تؤثر على المحاصيل الزراعية بشكل مباشر، فتنوع المحاصيل الزراعية هو نتيجة فعلية لتنوع المناخ واختلافه، حيث هناك محاصيل زراعية تحتاج إلي درجة حرارة عالية في زراعتها بينما هناك محاصيل زراعية تحتاج إلي كميات كبيرة من الضوء أو درجات عالية من الرطوبة وكميات كبيرة من الماء، ويعد المناخ عاملا مؤثرا في العملية الزراعية والإنتاج الزراعي.

1- **ابن غالب**: فرحة الأنفس، المصدر السابق، ص 281.

2- **مؤنس حسين**: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1967م، ص 104.

3- **بيداء محمود حسن حميد القيسي**: المرجع السابق، ص 65.64.63.

المحاضرة 06

الثروة المائية ببلاد الغرب الإسلامي (المغرب والأندلس).

يعتبر الماء هو جوهر الوجود الإنساني والطبيعي على الأرض لقول الله تعالي في سورة الأنبياء آية "30":" **وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون"**، وقسم مهندسو الفكر الفلاحي المياه حسب الأهمية ونوع التربة، ووصلوا إلى أن أجود المياه للزرع والأشجار هي مياه الأمطار، ثم مياه الأنهار والعيون العذبة والآبار، كما بينوا طرق استنباط المياه وحفر الآبار، وابتكروا آلات لدفع وتوصيل المياه وتخزينها والانتفاع بها وقت الحاجة.

أولا: الثروة المائية ببلاد المغرب: من الموارد المائية ببلاد المغرب نجد.

أ: التساقط (الأمطار): تعد الأمطار أكثر أهمية من ناحية التأثير في الجريان المائي، فهي المصدر الأول للمياه ببلاد المغرب[1]، حيث بين ابن بصال أن المطر هو أفضل المياه وأحمدها، فيه يجود النبات وتقبله الأرض قبولا حسنا[2]، وقد شكلت الأمطار موارد أساسيا في تحريك عجلة الاقتصاد بالمغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، إذ تتوقف عليها مجالات إنتاجية عديدة وفي طليعتها الأنشطة الزراعية[3].

يتفاوت توزيعها الجغرافي وتدرجها من المحيط غربا إلي المناطق الشرقية، فقد تتأخر لأيام أو لأسابيع بل وقد تصل إلى سنة أو أكثر[4]، فتحدث الكوارث الطبيعية كالجفاف والمجاعة وغيرها، وقد أشار **ابن العوام** إلى أن الفلاحين بهذه البلاد قد تعودوا حرث أرضهم في أكتوبر

1- **أبو زيد سعيد ابن أوس الأنصاري**: كتاب المطر، نشر: لويس نشيخو اليسوعي، المكتبة الكاثوليكية، بيروت، 1905م، ص3.

2- **ابن بصال**: المصدر السابق، ص39.

3-**المقدسي**: المصدر السابق، ص233.

4- **عبد المالك ابن صاحب الصلاة**: المن بالإمامة، تح: عبد الهادي النازي، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1987م، ص311.

اثر نزول المطر[1]، وهذا ما أكده ابن بصال بقوله:" **إذا نزل الماء على الأرض أول أكتوبر على قدر ما تروى به كان ذلك أحسن"**[2].

تميزت أمطار منطقة الغرب الإسلامي بالتذبذب في التساقط ، والتفاوت بين منطقة وأخري، وان تساقط الأمطار فيها غير منتظم من سنة لأخرى وذلك بالمناطق المعتدلة، فعند نقص التساقط ينتج عن ذلك المجاعات والأوبئة وعند غزارتها كذلك تحدث أضرار جسيمة[3]، وتختلف كمية التساقط من الشمال الي الجنوب، فتكون أكثر غزارة في الشمال بينما تقل كلما اتجهنا نحو الجنوب، أما المغرب الأوسط فتهب عليه الرياح العكسية بأمطارها، فيبدأ نزول المطر في فصل الخريف ومطلع الشتاء ثم الربيع، فيشتد في نوفمبر وديسمبر، بينما في الصيف جاف، وهذه الأمطار تمد الأنهار بكمية كبيرة من المياه[4]، وعليه وجب مراعاة توزيع الأمطار في تربية المواشي.

وبالنسبة للمغرب الأقصى فان أمطاره أكثر غزارة من المغربين الأدنى والأوسط، وتزداد غزارتها في المناطق الساحلية وجهات أطلس الكبير والمتوسط وتقل نسبيا على السهول الغربية ونواحي فاس ومكناس وتازة، ثم تتضاءل كلما اتجهنا للجنوب[5].

ومما سبق نجد ان مياه الأمطار لعبت دورا حاسما في الزراعة ببلاد المغرب، خلال العصر الوسيط، فقد كان الفلاحون ينتفعون بسقوطها علي الحقول والبساتين، ويقوم البعض بجمعها وخزنها بمختلف الوسائل والطرق. ومن الموارد المائية نجد:

ب- الأنهار والأودية: رجع الإنسان المغربي إلى استغلال المياه الجارية بالأودية بمختلف أصنافها

1- **ابن العوام الاشبيلي**: المصدر السابق، ص522.

2-**ابن بصال**: المصدر السابق، ص 57.

3- **بيداء محمود حسن حميد القيسي:** المرجع السابق، ص35.

4- **يحي أبو المعاطي**: المرجع السابق، ص433.

5- **بيداء محمود حسن حميد القيسي:** المرجع السابق، ص36.

فبني لها سدود للخزن والتحويل والقنوات والسواقي والأنهار الاصطناعية، والمقاسم والبرك، كما بحث عن المياه الباطنية في العيون والآبار، وسعي لاستنباط المياه العذب من أعماق الأرض بأساليب وطرق متعددة[1]، وقد مثلت السلاسل الجبلية المغربية خزانا طبيعيا للمياه[2].

تعتبر أنهار المغرب أنهارا داخلية تنبع من داخل أرض المغرب، وقد أشارت كتب الجغرافيا والرحالات إلي وجود الكثير من الوديان والأنهار كما ذكرت لنا أسماء بعض الأنهار والوديان المشهورة ونذكر منها: نهر مجردة القريب من تونس المتواجد بالمغرب الأدنى، كذلك نهر زرود القريب من القيروان.

أما في المغرب الأوسط نجد نهر الشلف وهو أغزر الأنهار ماءا بفضل ثلوج جبال الونشريس، ونهر سهر الذي يقع عليه مدينة المسيلة، ونهر مينة جنوب تاهرت ونهر تاتش في شرقيها، وبالمغرب الأقصى اشتهر فيه نهر فاس ونهر سيبو اللذان يصبان في المحيط الأطلسي بنواحي سلا، ونهر أم الربيع، ونهر أبي الرقراق ونهر سوس.

إضافة إلي نهر ملوية الذي يصب بين الحدود الجزائرية ومدينة مليلة وهو الوحيد الذي يصب في المتوسط، كذلك نجد نهر سوق غمار الذي تزود سكان قسنطينة منه، ونهر الواد الكبير الذي يغدو إقليم الزاب حيث يرتفع منسوب مياهه كلما نزلت الأمطار وذابت الثلوج، إضافةإلي نهر مجردة الذي يتسبب ارتفاع نسبة المياه فيه بشكل يتسبب في توقيف المسافرين أيام عديدة، وهو من أهم مصادر مياه مدينة تبسة وما جاورها[3].

أما نهر البربر فقد زود الأربس التونسية وكان بمثابة نهر عبور المسافرين من مدينة عنابة إلى تونس، وقد كانت أنهار متعددة تزودت منها مختلف أقاليم بلاد المغرب الإسلامي منها

1- **محمد حسن**: الماء والتعمير ببلاد المغرب في العهدين القديم والوسيط، الندوة الدولية الثالثة، المنعقدة بالمكتبة الوطنية بتونس، 2007م، تونس، 2009م، ص11.

2- **العباس بن إبراهيم:** الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ، الرباط، المطبعة الملكية، 1974م،ج.1 ص83.

3-**بيداء محمود حسن حميد القيسي:** المرجع السابق، صص 38.39.

من كان غزير المياه ومنها من كان قليل المياه مثل نهر تنسيفث في إقليم مراكش، إضافة إلى نهر واد السوس وهو من أكبر أنهر بلاد المغرب إذ يتخذ منه السكان قنوات، يفيض في الشتاء ويقل ماءه في الصيف[1].إضافة إلى نهر أم الربيع كذلك هو نهر كبير زود بجسر، أما باقي أنهار المغرب الأقصى فتصب في المحيط الأطلسي، وهذه بعض النهار من بين عدد كبير[2].

عن للأنهار دور كبير فهي مصدر للمياه في بلاد المغرب، وقد شكلت علي العموم شبكة مائية تزودت منها الساكنة في كل الأحوال، وكانت متنوعة المنفعة إذ كان لها وقعها في الذاكرة الإنسانية، خاصة لما تتعدي منفعة النهر أو الواد مسألة الشرب و الري إلي المجال الاقتصادي[3].

وامتدت من الغرب إلى الشرق من بلاد المغرب ومن الشمال إلى الجنوب، وكانت مدن وقري بلاد المغرب قد تزودت من الأنهار كأحد المصادر المتنوعة من حاجاتها في الماء، وعليه فإن تعدد الشبكة النهرية للمغرب الإسلامي لا يدل علي أنها دائمة ومنتظمة الجريان على مدار السنة بقدر ما ينبغي التمييز بين الأنهار الموسمية الشرقية والجنوبية التي يضعف صبيبها وينخفض في الصيف، ويزيد منسوبها إبان الفترة الممطرة، ومعظم الأنهار تستسقي مياهها من الجبال الضخمة التي تمدها بمياه الثلوج، وهناك بعض الأنهار التي تستمد مياهها من تساقط الأمطار، وأخري من العيون والينابيع لتصبح أكثر فائدة موسم شح الأمطار[4].

إن الأنهار مثلت مصدرا رئيسيا من مصادر المياه العذبة علي سطح الأرض لقوله تعالي:**" ألم تري أن الله أنزل من السماء ماءا فسلكه ينابيع في الأرض"[5]**، لذا لجأ إليها الإنسان

1- **حسن الوزان**: المصدر السابق،ص33.

2- **ابن خلدون**: كتاب العبر، ج6، ص 119

3- **مؤلف مجهول**: الاستبصار في عجائب الأمطار، نشر: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص 60.54.

4- **بيداء محمود حسن حميد القيسي:** المرجع السابق، ص .48.47.46.39

5- **سورة الزمر**، الآية 21.

زارعا وشاربا وساقيا وأن التساقطات تغذي الأنهار والعيون من القدم[1]،بالإضافة إلى ربطها بين المناطق الساحلية والداخلية[2].

ج- العيون: تعتبر العيون هي أيضا من مصادر المياه في مختلف أقاليم ومدن وقرى بلاد المغرب الإسلامي، ولقد استغلت مياه العيون في تزويد الساكنة بما تحتاج إليه[3].

يقصد بالعيون المياه التي تنبع من الجبال أو المغارات أو بطون الأودية والأنهار، ومياه العيون مرتبطة بمياه الأمطار ذلك أن هذه الأخيرة تغور في جوف الأرض، ثم تخرج على شكل عيون، وقد ساهمت العيون في ري العديد من الأراضي الخصبة، حتى قيل فيها **:" هي موافقة لجميع الخضروات وأشجار الفاكهة، وكلنا نعلم مدي أهمية هذه المياه ومستوي عذوبتها في سقي المزروعات"**، وكانت العيون منتشرة بحق في أنحاء واسعة في بلاد المغرب الإسلامي، مما مكن الساكنة من استعمال مياهها في الزراعة، بالإضافة إلي الاستفادة منها في فلاحة الأرض، ومن هذه العيون نجد أن مدينة تهرت تنبعث حولها الأعين ولتلمسان ماء مجلوب من عيون، إضافة إلي مدينة أشير لها عينان هما عين سليمان وعين تلان بترع ، إضافة إلي العيون المنتشرة في المناطق الشمالية الساحلية والداخلية وكانت تستعمل غالبا للسقي والشرب.

لقد انتشرت العيون في أماكن كثيرة من المغرب منها برقة وطرابلس وسرت ، باجة و وخارجها وكان أهلها يستخدمونها للشرب ولسقي أراضيهم، وكذلك الامر في تاهرت ومتيجة

1- **محمد المجدوب**: الماء في تاريخ المغرب، سلسلة ندوات ومناظرات، جامعة الحسن الثاني، عين الشرق، رقم11، 1999م، ص18.

2- **بيداء محمود حسن حميد القيسي:** المرجع السابق، ص38.

3- **حسن الوزان:** المصدر السابق، ص 194.

ووهران، كما وجدت الكثير من العيون في الطريق بين سبتة وطنجة[1]، ولمدينة فاس عيون ومزارع كثيرة، وقصر الفلوس ماؤها من عين ماء جارية بها[2].

إن مياه العيون استخدمت لسد حاجيات الإنسان والنبات والحيوان، خاصة في المناطق الصحراوية التي يقل فيها المطر، كما ساهمت في تغذية الأنهار بالمياه بعد فصل الأمطار أو باستخدامها بديلا عنها في الزراعة والشرب، ومن الموارد المائية في تونس نجد.

د- الآبار: اهتدي الإنسان بسبب الحاجة الملحة للثروة المائية والجفاف الذي كان سائدا في عديد من المناطق، ولكي يؤمن الاستمرار في الحياة اهتدي إلى حفر الآبار، وهكذا استخدمت هذه المنشئات على اختلاف أشكالها ونجد منها:

الجب: وهي البئر التي لم تطو مياها.

القليب: قبل أن تطو بالحجارة وهي أبار قديمة النشأة.

الرس: بئر مطوية بالحجارة فلا ينقطع ماؤها لكثرتها.

الترع: وهي بئر قريبة العقر ينزع منها الماء.

إلي غير ذلك من مواصفات الآبار، وقد كانت من المصادر الهامة للري، ومنها ما كان مخصص للشرب حيث لم تخلوا أغلب المنازل في بلاد المغرب الإسلامي من بئر، وقد انتشرت الكثير من البار ببلاد المغرب خاصة في المناطق الشمالية الساحلية والداخلية وكانت تستخدم للري والسقي، كما ذكر المقدسي أن أهل صفاقس وسوسة وبنزرت والمهدية والقيروان كان شربهم من الآبار، كما أن أهل تلمسان وقفصة يستخدمون الآبار في شربهم وسقي أراضيهم[3].

1- **بيداء محمود حسن حميد القيسي:** المرجع السابق، ص.51.50.

2- **نوال بلمداني**: نظام الري في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين(4هـ- 5هـ/10م-11م)، رسالة دكتوراه، التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهرن، 2013م-2014م، ص 40.39.

3- **بيداء محمود حسن حميد القيسي:** المرجع السابق، ص 57.56.55.

ومن أنواع الآبار التي عرفت بلاد المغرب الفقارات والمعروفة في الجنوب التونسي وفي الجزائر، كما يوجد نظام مشابها لها في منطقتي تافيلالت ومراكش بجنوب المغرب الأقصى وهناك يسمونها الخطارة، والفجارة عبارة عن مجموعة من الآبار العميقة المتباعدة تربط بينها قنوات تحت الأرض، وتتسع أروقتها شخص صغير للسير فيها عندما تتطلب هذه القنوات صيانة أو تنظيف، والغرض من هذا النظام هو الإكثار من ماء الآبار وزيادة كميته بالاعتماد على أكثر من بئر.

واعتمد البعض الأخر على مياه السيول التي تدعم أودية السقي بكميات كبيرة من الماء حيث يستبقون وقت جريانها بإقامة حواجز وسدود لتوجيه مائه وتخزينه لأطول فترة ممكنة، واعتمد الفلاحون مياه الأنهار والوديان فاستخرجوها ونقلوها إلي حقولهم، كما صنعوا نفس الأمر مع العيون والآبار، وقد لعبت القنوات التي كانت تسمي القواديس ببعض أنحاء المغرب دورها نقل الماء وقسمته بين الفلاحين حيث شكلت العمود الفقري للسقي ببلاد المغرب، إذ ينقل الماء مهما كان مصدرهم المطر أو النهر أو من باطن الأرض[1].

ثانيا: الثروة المائية في الأندلس.

يعتبر الماء هو جوهر الوجود الإنساني والطبيعي علي الأرض لقوله تعالي:**" وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون"[2]**، وقسم مهندسو الفكر الفلاحي الأندلسي المياه حسب الأهمية ونوع التربة ووصلوا إلي أن أجود المياه للزرع والأشجار هي مياه الأمطار، ثم مياه الأنهار والعيون العذبة والآبار، كما بينوا طرق استنباط المياه وحفر الآبار وابتكروا آلات لرفع وتوصيل المياه وتخزينها والانتفاع بها وقت الحاجة[3]، ومن الموارد المائية في الأندلس نجد:

أ- مياه الأمطار: إن سقوط الأمطار في جوهره متقلب يتراوح بين متوسط سنوي قدره 23 بوصة، وبين معتدل يقل عن 15 بوصة، أي أن قسم الأندلس يعتمد علي سقي المساحات

1- **موسي هواري**، المرجع السابق، ص 182.

2- **سورة الأنبياء**، الآية 30.

3- **أبي زيد الأنصاري**: المرجع السابق، ص 19.

الزراعية الكبرى من الأمطار وتسمي الزراعة البعلية، فيما يعتمد القسم الثاني علي مياه الأنهار والعيون والآبار، واعتبرت الأمطار رغم قلة سقوطها في الأندلس أفضل مصادر المياه على الإطلاق[1]، ولكن تختلف درجة تساقطها من منطقة لأخرى نضرا لتنوع المناخ والتضاريس[2].

يبدأ نزول الأمطار أواخر شهر سبتمبر متكاثفا حتى شهر ديسمبر، ويرتفع بزيادة منسوب المياه في الأنهار والعيون[3]، وقد يتأخر سقوط الأمطار إلى آخر السنة، وفي شهر ديسمبر وجانفي فيقوم الأندلسيون بادخار مياه المطر في الجباب، ويحرصون على الاستفادة منها طوال العام[4].

تعتبر أمطار فصل الربيع خاصة شهر أفريل من أفضل أوقات الغيث كونها أمطار خير وبركة كم يقول المثل الأندلسي:**" مطر فبريل خير من ماء النيل"[5]**، فهي تساهم في إرواء الحرث والشجر وكثرة الإنتاج. كانت الثلوج المتراكمة على قمم الجبال بمثابة خزانات ضخمة للمياه، فهي تغذي عندما تذوب في الربيع والصيف المجاري المائية والأنهار التي تروي السهول والوديان، وتقوم أيضا بدور المياه العازلة إذ تغطي سطح الأرض، وتمنع توغل الصقيع فيها إلى أعماق كبيرة ويقيها من تأثير العنف، ولاكن تذبذب تساقط الأمطار من حين لأخر حتم علي الأندلسيين البحث عن مصدر بديل تجلي في مياه الأنهار[6].

1- **ابن بصال:** كتاب الفلاحة، المصدر السابق، ص 39.

2- **مصطفي الشهابي**: الأشجار والأنجم الثمرة، المطبعة الحديثة، دمشق، ط2، 1443ه- 1924م، ص 84.

3- **حسن محمد قرني:** المجتمع الريفي في الأندلس في عصر بني أمية (138ه- 422ه 756م- 1036م)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012م، ص45.

4- **بدر الدين قسوم**: نظام الري وتطوره في الأندلس، رسالة ماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، 2018م-2019م، ص 18.

5- **أبي يحي الزجالي**: أمثال العوام في الأندلس، تح: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الثقافة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، قسم2، ص 159.

6- **بدر الدين قسوم**: المرجع السابق، ص ص.19.20.

ب: الأنهار: تتفرع أنهار الأندلس إلى قسمين مختلفين فالأول تمثله الأنهار التي تنبع من الجبال الالتوائية في الأندلس، وكانبيرا التي تنحدر من خلال جليقية، إذ تتميز بقصرها ولها خصائص الأنهار العليا في قوة جريانها وشدة اندفاعها في البحر، وتدفقها مستمر طوال العام، فهي شديدة الانحدار، أما الثاني فمثله الأنهار التي تجري فوق هضبة الميزيتا قبل وصولها إلى السهل الساحلي وتسمي النمط الشجري، وتتميز بقلة سقوط الأمطار لذلك تعوض تلك المناطق بكميات كبيرة من المياه[1]، أما من حيث المصب فهي تنقسم إلى شقين:

-الشق الأول: أنهاره تصب في المحيط الأطلسي أهمها الواد الكبير الذي ينبع من جبل شقورة، وتقع عليه مدينتا قرطبة واشبيليا، ونهر يانة الذي تقع عليه مدينة مارده وبطليوس[2]، إضافة إلي نهر شنيل الهابط على مدينة غرناطة، ويقع في الواد الكبير، ونهر تاجة الهابط على مدينة طليطلة[3]ونهر دويرة منبعه من جبل البشارة يصب في المحيط عند مدينة البرتغال[4].

الشق الثاني: أنهاره تصب في البحر المتوسط، أهمها نهر ابره ويسمي النهر الكبير يصب عند مدينة طرطوشة وهو أطول أنهار الجزء الشرقي من الأندلس، ونهر شقورة ويسميه العرب نهر شقوة منبعه حيان ويمر بأريولة حيث يغذي أراضيها، وتصب فيه عدة روافد، وهو من أطول الأنهار النابعة من شبه الجزيرة الإيبيرية، إضافة إلى نهر مرسية فهو قسم من نهر اشبيلية ويصب في البحر الشامي عند مرسية[5].

1- **محمود حسين شهيب هياجنة**: الوضع الزراعي في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة المرابطين، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، 1410ه-1989م، ص 50.

2- **مؤلف مجهول:**ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا، المجلس الأعلى لأبحاث العلمية، مدريد، 1983م، ص59.

3- **أبي بكر الزهري**: كتاب الجغرافيا، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ب ط، ص 200.

4- **شيخ الربوة**: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب ط، ص115.

5- **بدر الدين قسوم**: المرجع السابق، ص ص 23.22..

هناك بعض الأنهار والروافد الصغيرة التي انتشرت في معظم أنحاء الأندلس كالجزيرة الخضراء التي يشقها نهر العسل، وهو حلو وعذب ومنه يشرب أهل المدينة، وواد أش التي ينحط نهرها من جبل شلير وهو في شرقها وهي على ضفته ، وهناك بعض المدن الأندلسية التي يتخللها بعض الأنهار مثل سرقسطة ورندة، تعدت وضيفة الأنهار من الإرواء والسقاية إلى الملاحة النهرية مثل نهر شقر الذي كانت تنقل عبره أخشاب الصنوبر من منطقة الواد الكبير فمثل معبرا من جنوب قرطبة إلى جهاتها الأربعة، ومنه فقد استعان الأندلسيين بمياه الأنهار لتأمين احتياجاتهم خاصة في المناطق التي تندر فيها المياه[1].

ج- الجداول: تتكون الجداول جراء نزول الأمطار والثلوج على الجبال فتصب في المغارات وتبقي مخزونة فيها في الشتاء، وإذا كان في أسافل الجبال منافذ ينزل الماء في تلك المنافذ، فيحصل منها جداول وينظم بعضها لبعض فتحدث الأنهار والأودية[2]، وكان للشبونة[3] بابا مشرفا على مرج فسيح يسقيه جدولان يصبان في البحر، وجداول مرسية التي تخرج من نهرها على مقربة من بلدة أشكابة قد نقر له في الأول في الجبل وهو حجر صلد وهذا الجدول هو الذي يسقي قبيلتي مرسية، وحفروا إزائه جدولا يسقي جوفي مرسية، ومعظم الجداول في الأندلس موسمية دائمة الجريان في الشتاء وناضبة صيفا ولذلك بحث الأندلسيين عن مصدر بديل كالعيون[4].

د- العيون: ذكرت العيون في القران الكريم في أكثر من موضع كقوله تعالي:**" عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا"[5]**، وقد استغلها الأندلسيين في الجانب الفلاحي والاجتماعي لبعد

1- **عماد الدين أبي الفداء**: تقويم البلدان، تصحيح: ريوند ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1830م، د. ط، ص 181.

2- **تواتية بودالية**: البيئة في الأندلس عصري الخلافة وملوك الطوائف، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة وهران، 1434هـ-1435هـ/2013م-2014م، ص100.

3- **لشبونة**: هي مدينة في الأندلس يقال لها لشبونة وهي متصلة بشنترين قرية من البحر المحيط يوجد على ساحلها العنبر.

4- **بدر الدين قسوم**: المرجع السابق، ص 24.

5- **سورة الإنسان**، الآية 6.

بعض المناطق عن مجاري الأنهار، وكانت العيون تستمد قوتها من الأمطار والثلوج المتساقطة عبر الأخاديد والجداول.

تنوعت أماكن العيون في توزيعها في الأندلس، فقد وصفت حيان بأنها كثيرة العيون وكثيرة المياه، كذلك مدينة شلب التي تنبعث منها عيون كثيرة[1].وكانت بناحية شقوة عين من ماء، فيرتوي عليها العدد الكبير من الدواب ولا ينقص من شربهم من الماء شيئا، وكانت مزارع الزعفران في أبدة تسقي من عين فيها[2]، كذلك يوجد بالقرب من غرناطة عين فإن طلعت الشمس فاضت تلك العين في يوم معلوم يقصدها الناس، وهناك بعض العيون حيك أنها شوفي الكثير من جراءها كالعين الموجودة بمدينة باغة حين قيل عنها إذا شرب منها من به حصى بريء منه، ووجدت بالأندلس أعين شديدة الملوحة لا تصلح للسقي كعين الشب (الزاج)، كما وجدت أيضا عين ماء بالقرب من قلعة رباح تجري بماء حامض كالخل الحادق.

تتأثر العيون هي أيضا بمختلف العوامل الطبيعية، فهي تضعف صيفا وتنقص بفعل الحرارة والجفاف وتزداد قوتها في موسم الشتاء.

ه: مياه الآبار: بسبب التنوع التضاريسي والتقلبات المناخية حتم على ضرورة البحث عن موارد مائية إضافية، لتعويض النقص الذي تحدثه القحوط المؤثرة سلبا على النشاط الزراعي بالأندلس، فابتكر الأندلسيون عدة وسائل وأساليب لاستخراج المياه من الأرض والجبال، وكان المياه من الأرض والجبال، وقد استخدمت أبار قرطبة في الشرب والزراعة وتميزت ببرودة ماءها، وكان بجزيرة أم حكيم بئر عميق كثيرة الماء وحلوة. واشتهرت مالقة بكثرة المياه الجوفية التي استغلوها في حفر الكثير من الآبار لري مزروعاتهم ومحاصيلهم البعيدة عن مصادر المياه، كما حفروا أبار في منازلهم وحصونهم، حيث وجد بأحدي حصون لشبونة بئر أزلية قديمة البنيان[3].

1- **بدر الدين قسوم**: المرجع السابق، ص 25.

2- **مؤلف مجهول**: ذكر بلاد الأندلس، المصدر السابق، ص 23.

3- **بدر الدين قسوم**: المرجع السابق، ص29.27.

إذن التساقطات المطرية لها أهمية عظمي في الحياة الاقتصادية والبشرية، باعتبارها العنصر الفعال الذي يحدد النطاقات النباتية سواء طبيعية كانت أم زراعية، خاصة أن النشاط الرعوي يرتكز على وجود الماء هذا الأخير الذي يساهم بدرجة كبيرة في توفير المراعي الضرورية لكل حيوان.

المحاضرة السابعة

تقنيات الري في الغرب الإسلامي

تعتبر الأمطار في بلاد المغرب والأندلس المصدر الرئيسي للمياه، وتبرز أهميته كونه العامل الرئيسي في نشوء الحضارات الزراعية في العالم ككل، فعندما تنقص الأمطار يتعذر القيام بالعمل الزراعي ما لم يعتمد على مصادر الري، ومن هنا ظهرت فكرة تخزين المياه ونقله عبر قنوات مختلفة إلى المناطق الزراعية البعيدة، حيث كان الفلاحون يعمدون إلى جمع مياه الأمطار في مواسم التساقط والاستفادة منها في السقي ولأغراض أخرى بأوقات الجفاف واعتمدوا في ذلك على تقنيات مختلفة.

أولا: تقنيات الري في بلاد المغرب

أ- تعريف الري وأهميته: هو الاستعمال الصناعي للمياه العذبة لتعويض غياب مياه الأمطار، أو عدم كفايتها لفلاحة الأرض، كونها من أهم العوامل المتحكمة في الإنتاج الزراعي، فالسقي والري ضروري للمزروعات[1]، وقد تميز نظام الري في بلاد المغرب الإسلامي بتنوعه ونظامه المحكم الذي أدي للحصول على إنتاج زراعي وفير[2]، حيث استفاد الإنسان منه نتيجة إتباع تقنيات مختلفة المتمثلة في:

1- تقنية الري بمياه الأمطار: عمد الفلاح إلي جمع مياه الأمطار في مواسم التساقط للاستفادة منها أوقات ندرة المياه، إذ نصبوا على سطوح المنازل الميازيب والتي سنفصل فيها فيما بعد،

1- **الهنتاني نجم الدين**: مياه الأمطار في المدينة في العصر الوسيط، أعمال الندوة الدولية الثالثة ، الماء والتعمير ببلاد المغرب في العهدين القديم والوسيط ، نوفمبر 2007، نشر: محمد حسن، المغربية للطبع والنشر، تونس، 2009م، ص.128.129. أنضر أيضا: **كمال أبو السيد مصطفي**: المرجع السابق، ص 63.

2- **ابن العوام الاشبيلي:** المصدر السابق، ص134.

فتنصب في نهاية أسطح المنازل لتتجمع فيها قطرات المطر، ثم تنقل إلى الأرض عبر قناة أو عبر السيلان المباشر نحو مواضع جمعه[1].

السقي بمياه الأمطار من أسهل طرق الري كونه لا يكلف الفلاح جهدا ولا وقتا، وهي من أفضل أنواع مياه السقي كون المطر مبارك ومطهر ينزل مباشرة من السماء، ويستبعد أن يكون هذا النوع من التخزين مخصصا للسقي كونه يحتاج لكميات كبيرة يصعب توفيرها عن طريق الميازيب،[2] كما عمد الفلاحين إلى إنشاء الخزانات الباطنية التي تتواجد في باطن الأرض وتسمي بالمواجل. ويحول الماء المجموع من أسطح المنازل إلى الخزانات الباطنية التي تنشأ تحت الأرض كالمواجل،[3] والماجل عبارة عن حفرة في الأرض عمودية مستطيلة الشكل، تتخذ شكل القارورة المستديرة القاعدة الضيقة الفم.

يخضع الماجل بعد حفره إلى التهيئة، فيبني القاع والجدران بالحجارة، وتطلي بالملاط لتصبح كتيمة تمنع تسرب الماء في الطبقات الأرضية المتصلة بها، ويحفر بعيدا عن الخنادق والمراحيض والآبار لتبقي نظيفة، وكانت هذه الخزانات منتشرة ومعروفة ببلاد المغرب منذ عهد الفنيقين، ومن بعدهم الرومان واستمر وجودها بعد الفتح الإسلامي للمغرب.[4]

أطلقت على الخزنات الباطنية عدة مصطلحات كالماجل والماجن والصهريج، وبئر المطر والحوض وغيرها من المصطلحات الأخرى وكانت جميعها تستخدم لتخزين مياه الأمطار،[5] ويتم استخراج الماء من المواجل وقت الحاجة إليها لاستعماله في الأغراض المختلفة خاصة لري

1- **ابن وحشية أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني**: الفلاحة النبطية، تحقيق: توفيق فهد، منشورات المعهد العلمي للدراسات العربية بدمشق، دمشق، 1993م، ص 202.

2-ابن العوام، كتاب الفلاحة، مدريد، طبعة 1802، ج.1، ص.134

3-مارمول، المصدر السابق، ج.3، ص.8.

4-هواري موسى، المرجع السابق، ص.153.

5-نفس المرجع، ص154.

المزروعات، ويتم استخراج مياهها بطريقة شبيهة بطريقة استخراج مياه الآبار أي باستعمال الدلاء وغيرها من الأوعية، وفي بعض الأحيان يتم الاستعانة ببعض الحيوانات لرفعها.

يعتبر المطر المصدر الأساسي للمياه العذبة، وهو العامل المهم لنمو النباتات بصفة عامة، وكلما توفرت المياه في المنطقة كانت السبب في ظهور حياة نباتية غنية، كما تعتبر الأمطار المتساقطة والثلوج الذائبة من أهم مصادر المياه التي تزود مجاري الأنهار.

كثيرا ما تعتمد الزراعة على الأمطار، فهي التي تحدد كميتها وفصل سقوطها ونوع المحصول الذي يمكن زراعته، كما أن سقوط المطر بقدر كاف يغني الفلاح عن عملية الري المتعبة والمكلفة، لذلك فإن انقطاعه أو انعدامه هو من المشاق والشدائد التي كان الفلاح يعانيها ببلاد المغرب الإسلامي، حيث اعتبرها الفقهاء من الجوائح التي تصيب الزراعة، نظرا لفترات الجفاف الطويلة التي كانت تمر بها بلاد المغرب الإسلامي من حين لآخر، خاصة في المناطق التي تحتاج حقولها إلي السقي، ولا يكون لها مصدرا للماء إلا المطر وهذا هو الأمر الذي دفع فلاحوا بلاد المغرب الإسلامي على ابتكار عدة طرق لجمع مياه الأمطار وتخزينها في مواسم التساقط للاستفادة منها في السقي والأغراض الأخرى خاصة أوقات الجفاف، وكان يشترط في الماء المجموع النظافة، فلا يجب أن يجمع في الأماكن الوسخة والقذرة[1]

كانت سطوح المنازل أفضل مكان يستعملونه لجمع ماء المطر إذ يقومون بتنظيفها بالكنس وإزالة كل الأوساخ فيها في فصل سقوط المطر، ثم تنصب عليها ميازيب فهي على شكل قنوات تتخذ من الخشب أو الطين المطبوخ،[2] وكانت تنصب في نهاية أسطح المنازل لتتجمع فيها قطرات المطر المتساقطة، ثم تنقل إلى الأرض عبر قناة أو عبر السيلان والتدفق المباشر على الأرض.

يجري ماء المطر المجموع في الميازيب صافيا طاهرا نقيا فيتدفق مباشرة على الأرض لينتقل عبر الجريان السطحي إلى مواضيع جمعه، أو يصب مباشرة في المواضع المخصصة

1-هواري موسى، المرجع السابق، ص 134.

2-ابن وحشة، المصدر السابق، ج.1 ،ص.202.

لتخزينه وهي كثيرة تختلف حسب حاجة صاحب الدار، وقد كان بعضهم يجمعها في الأواني والأوعية والقدور والقلل وغيرها من الأواني، وهذا النوع من التخزين نادرا ما يخصص

ويستعمل للسقي، كون السقي يحتاج إلى كميات كبيرة من الماء يصعب توفيرها بهذه الأوعية، وهذا ما دفع بالفلاحين إلى اتخاذ خزانات في باطن الأرض أين يحتفظون فيها بكميات كبيرة من الماء.

كما استغلوا سيول الأمطار في السقي حيث بعد سقوط الأمطار تتحول إلي ماء جار وسرعان ما يتخذ خيوط صغيرة تتجمع هي الأخرى مكونة سيولا تجري في الأودية وتسير مسافة طويلة تصل أحيانا إلي مناطق لم يسقط بها المطر فتجري في أوديتها الجافة،[1] فيقوم الفلاحون باستغلالها في سقي أراضيهم، فقد اعتمدت بعض المناطق ببلاد المغرب علي هذه السيول في سقي المحاصيل اعتمادا كبيرا، مثل فحص مزاق الواقع قرب القيروان، فهو فحص لم يكن يصيبه المطر، ولا كن الوديان كانت تأتي إليه من مناطق بعيدة، وكذلك الأقاليم الواقعة جنوبي جبال الأطلس الصحراوي في كل من تونس والجزائر، والتي ارتبطت الزراعة فيها بالأمطار المتساقطة علي هذه الجبال.[2]

كما اعتمدت مدينة سجلماسة الواقعة في منطقة قليلة التساقط على فيضان الواديين اللذين كان يخترقهما في الغرب وهما وادي زيز وواد غريس،[3] واختلفت طرق الاستفادة من مياه السيول بحسب خط جريانها وسرعة تدفقها، فهي تجري غالبا في الأودية والأنهار،[4] وكانت تستغل أكثر في السقي والري. تنتقل مياه السيول إلى السواقي والقنوات المعدة سلفا للري، فهي

---

[1]- صبري فارس الهيثي و حسن أبو سمور، جغرافيا الوطن العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن ، طبعة 1420هـ/1999م ،ص.78.

[2]- الحميري، الروض المعطار في خبر القطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، مطابع دار السراج، بيروت، لبنان،ط.2، 1980م،ص.542.

[3]-هواري موسى ، المرجع السابق، ص.159.

تدعمها وتزيد من ماءها، لتصل إلى البساتين والحقول دون عناء ويتم استغلال مياه السيول عن طريق التخزين الباطني الذي سبقت الإشارة إليه، وعن طريق التخزين السطحي في الأودية الجافة التي تقع في الحقول البعيدة عن التجمعات السكانية، ويتم هذا بإحداث بعض المنشئات قبل موسم التساقط، كالحفر والحواجز أو السدود لتعترض الماء فتحبسه أو تتحكم في اتجاه جريانه أو تحد من سرعته مما يسمح بترسيب حمولته الصلبة.

وكانت هذه المنشئات تحتاج إلى صيانة وتنظيف مستمرين كي لا تتهدم ولا تجرف، وتسبب أعمال الصيانة أحيانا بعض المشاكل إذا كان عدد المنتفعين منها كبير، حيث يرفض بعضهم المشاركة فيها.

لقد شكلت الأمطار المصدر الأساسي للمياه المخزنة والعامل الرئيسي في زيادة الغطاء النباتي، فكانت الزراعة في بلاد المغرب مرتكزة على مياه الأمطار، وكانوا يحددون وقت تساقط الأمطار ونوع المنتوج الذي يمكن زراعته في ذلك الفصل[1].

2- الري بمياه الأودية والأنهار: تعتبر مياه الأنهار من أهم المصادر المائية علي سطح الأرض كونها تتغذي من مياه الأمطار والينابيع والثلوج الذائبة، وهذا ما جعلها دائمة الجريان، إضافة إلي رتابتها مما سهل إمكانية استغلالها في مجال السقي والري، وهي ذات أهمية كبيرة لأنها تحافظ علي تنظيم الإنتاج والتحكم في وقت المياه وحجمها[2].وقد استفاد الإنسان المغربي من مياه الأنهار والأودية واستغلها في الري وأوصلها إلى البساط بوسائل متعددة، ويطهرون مجراها عند الحاجة إليها[3]، وكان السقي بمياه الأنهار في بلاد المغرب يتم بطرق عدة منها:

1- **هواري موسي**: المرجع نفسه، ص 160.

2- **بن وزدو الهادي وآخرون**: قانون المياه والتهيئة المائية بجنوب إفريقية في العصر الوسيط من خلال كتاب القسمة وأصول الأرضيين لأبي عباس أحمد بن محمد بن بكر الفرس طائي النفوس، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999م، ص227.

3- **خيرة سياب:** المياه ودورها الحضاري في بلاد المغرب الإسلامي (7-هـ10هـ/ 13_16م)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013م-2014م، ص32.31.

- **السواقي والقواديس**: التي تعد من أكثر وسائل الري انتشارا، وكان أهالي المغرب يتعاونون في تحمل نفقات خدمتها وتطهير مجراها عند الحاجة إليها في الري[1]، وتقوم بوظيفة نقل المياه وتوزيعه، وتبني هذه القنوات حفرها بالحجارة وتدوم فترة أطول وكان بعضها يمتد لمسافة بعيدة، وكانت تطلب صيانة مستمرة خاصة قبل نزول المطر، وهذه الطريقة من أسهل طرق الري وأقلها تكليف.

- **النواعير:** مفردها ناعورة وهي عبارة عن عجلة أو دولاب خشبي دوار مثبت على قضيب يرتكز على قائمتين ويدار بواسطة الحيوانات أو تيار النهر أحيانا وتحمل الناعورة كميزان لرفع الماء. ويذكر صاحب الاستبصار أن: "لمدينة بجاية نهرا كبيرا ...يقرب منها بنحو الميلين ...وعليه كثير من جناتهم وقد صنعت نواعير تسقى من النهر".[2]

- **الدواليب:** مفردها دولاب وهي تسمية فارسية تعني "دلو الماء" والدولاب عبارة عن عجلة مائية ذات مدار دائرة قاعدية، خزانة دوارة، ملفاف البئر عجلة ذات ريشة، طاحونة، يحركها الجمل أو الثور أو الحمار، والدولاب كان معروفا ببلاد المغرب منذ بداية القرن 4هـ- 10م، فمثله كمثل الناعورة لكنه أسرع [3]في الدوران واستعمل في بلاد المغرب والأندلس.

- **السانية:** جمعها السواني، تطلق هذه التسمية على الدواليب وأحيانا أطلقها أهل المغرب على قناة الري، وقد ذكر **الإدريسي** أن قصر اليهودية الواقع على بعد أحد عشرة ومائة ميل إلي الشرق من قصور حسان في منطقة طرابلس فيه زراعات علي مياه تستخرج بالسواني من الآبار[4].

3- الري بالمياه الجوفية (العيون والآبار):العين هي ينبوع الماء يجري فوق الأرض، والعين

1- **كمال أبو السيد مصطفي**: المرجع السابق، ص 59.

[2]- **مجهول** ،الاستبصار ،ص.1

[3]-**ابن العوام** ،المصدر السابق ،ج.1 ،ص.5.

4- **هواري موسي**: المرجع السابق، ص 169.168.167.

كانت معروفة في بلاد المغرب الإسلامي باسم الينابيع أو العنصر، وتعتمد العيون في مياهها علي الأنهار وطريقة السقي منها تكون سهلة علي الفلاح مقارنة بالمصادر الأخرى، إذ يعتبر الري منها سهل، كون الفلاح يكتفي عناء استخراج الماء ورفعه، ويتحكم في الماء عن طريق جمعه وتحويل مساره عن طريق الحقول والبساتين[1]، وقد تنشأ القنوات التي تنقل ماء العيون تحت الأرض، وكان يتم تقسيم ماء هذه العيون بالساعات ولا تجوز قسمته بالدلاء، وغالبا ما يجمع ماء العيون عن طريق إقامة خزائن من الحجارة.

والآبار هي المياه الموجودة في باطن الأرض، كما اعتمدوا أيضا عليها في الري والسقي، إذ تستخرج مياهها بطرق مختلفة، كالاستعانة بالدلو، ولا كن هذه الآبار لم تكن تخصص للري إلا في بعض الحالات النادرة حيث تكون المنطقة قليلة الماء مثل ودان الواقعة في الصحراء، كما أن الحقل الذي يسقي بالدلو يجب أن يكون صغيرا، لأن سقي حقل كبير بالدلو أمر مستحيل[2].

وكلاهما جزء من مياه الأمطار والثلوج الذائبة أو المياه المتسربة من الأنهار إلى باطن الأرض لتستقر فيه[3]، ويتم استغلالها عن طريق العيون التي تندفع من خلال هذه المياه إلى السطح، أو بطريقة حفر الآبار، وهذه الأخيرة مكلفة تحتاج الكثير من الجهد والمال والي آلات لرفع المياه[4].

تميز الري في بلاد المغرب بالتنوع، حيث استفاد الإنسان من مياه الأمطار والعيون والأودية وبنى السدود للتخزين والتحويل والقنوات والسواقي والمقاسم والبرك والآبار وسعي لاستنباط الماء العذب من أعماق الأرض بأساليب وطرق متعددة، كما اهتم بكيفية خزنه والحفاظ عليه، فأنشأ البرك والصهاريج والمواجل الكبرى.

1- **الزوكة محمد خميس**: جغرافية المياه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، بط، 1998م، ص 274.

2- **هواري موسي**: المرجع السابق، ص 179.178.

3- **محمد خميس**: جغرافية المياه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، بط، 1998م، ص104

4- **هارون علي أحمد**: جغرافية الزراعة، دار الفكر العربي، القاهرة، بط، 1420ه-2000م، ص 274.

لقد اعتمد في بلاد المغرب على نظام محكم للري للحصول على إنتاج زراعي وفير، نتيجة لتذبذب الأمطار وانعدامها في بعض الأحيان، إذ يري البعض أن ألف سنة تقريبا لا تكفي لتغيير مناخ منطقة ما، وعليه يمكن القول إن أمطار ذلك العصر هي إلى حد بعيد أمطار هذا الوقت، فقد تهطل غزيرة في أعوام وتبخل السماء بمطرها في أخرى فيكون القحط أو الجفاف، فكانت الحياة الاقتصادية تتأرجح وفق تأرجح الأمطار[1].

شكلت السلاسل الجبلية لبلاد المغرب من جهتها خزانا طبيعيا للمياه، حيث أفادت الإنسان في مواجهة الظروف الطبيعية القحطة كالجفاف وندرة المياه، حيث تحدثت النصوص عن معلومات مهمة عن تلقي الجبال تساقطات وثلوج تنزل في أماكن كثيرة من بلاد البربر، فنهر سبو الذي تسقي منه مدينة فاس منبعه من جبال صنهاجة، وهي منطقة لتوزيع المياه.

عمل المرابطون والموحدون علي توفير المياه بحسب مياه الأنهار والعيون، أو حفر المخازن من برك وصهاريج لحفظ مياه الأمطار، فبمدينة فاس مثلا أقام **المنصور الموحدي** عددا من المخازن الكبيرة، فطول مخزن بستان البحيرة لفاس مائتان وستة عشر دراعا، وهناك ما هو أطول من ذلك كما عمل المرابطون والموحدون علي الاستفادة من مياه الأنهار والعيون والآبار وتوصيلها إلي البسائط بوسائل متعددة، وكانت الروافع من السواقي تعد من أكثر وسائل الري انتشارا، حيث جري الفرق في بلاد المغرب علي أن أهالي يخدمون الساقية، عند الاحتياج إليها، بمعني التعاون في تحمل نفقات خدمتها، وتطهير مجراها عند الحاجة إليها في الري[2].

اشتهرت مدينة فاس، وغيرها من المدن ببلاد المغرب بانتشار السواقي[3]، حيث كان في كل زقاق ودار صغيرة أو كبيرة ساقية، فشهدت هذه المدينة خلال الحكم الموحدين جهودا كبيرة لتوفير المياه جلبت من أماكن توفيرها إلى مناطق الزراعة.

1- **كمال أبو السيد مصطفي**: المرجع السابق، ص 57.

2- **كمال أبو السيد مصطفي**: المرجع نفسه، ص 59.

3-**الفاسي أبو عمران**، فقه النوازل على المذهب المالكي فتاوي أبي عمران الفاسي، تح. محمد البركة، دار إفريقيا الشرق الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2010م،ص.156.

كما وجدت قناطر المياه التي كانت تتعرض هي أحيانا للتصدع والانهيار بسبب السيول، ولذلك كان ترميمها يتم على نفقة المنتفعين بها، إذا وجبت خدمتها من طرف المستفيدين منها فقط، خلال سنة الزرع تلك، إذا كان العرف جاريا في بلاد المغرب خلال تلك المرحلة على ذلك، فان كانت منفعتها راجعة إلى أهل الساقية عامة لكل من يسقي عليها في كل وقت بعد ذلك فالنفقة على الجميع، علي أصحاب الأرض المزروعة منها بقدر منفعتهم العاجلة والآجلة.

وقد كان الاعتماد كبيرا في بلاد المغرب علي مياه الأنهار والوديان والأعين والآبار، وهي إما آبار ارتوازية أو آبار تعتمد علي مياه الأمطار تسيح إليها من الطرق ومن سطوح المنازل، واشتهر منها أي من وسائل الري أيضا الدالية والسانية ذات الرحى والناعورة، ذكرها صاحب الاستبصار عند حديثه عن مدينة بجاية والتي كان لها نهر كبير يقرب منها بنحو الملين أو دونهما ، وعليه كثير من جناتهم، وقد صنعت عليه نواعير تسقي من أنهر[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أيضا استخدام الجبال والمواجل، حيث كانت مياه الأمطار تخزن بمختلف الأساليب ومنها تحويل مياه السيول عن طريق السواقي وإحداث مجاري مائية في سطوح المنازل، أو جلب المياه في قواديس أو سواني من أنهار وعيون إلى مختلف المناطق، ومما ذكر في ذلك نهر والذي هو نهر سطيف بتلمسان يصب في بركة عظيمة، ويسمع لوقوعه فيها خرير شديد علي مسافة، ثم ينشق منه بحكمة مدبرة إلى موضع يسمي المهراز، ثم ينصب في أنهار كثيرة، فيسقي هناك مزارع وأوجالا تسمي أولاجا الجنان وتلك المواضع من أجمل بقاع تلك البلاد[2].

ومما يذكر في ذلك أيضا نظام الفقارة والتي هي من التقنيات المائية التي اعتمدت في الريف خاصة، وهي تقنية وان اقترن ذكرها بالمناطق الجنوبية، إلا انه ذكر بوجوبها في وهران شبيهة بها من الأشغال المائية، والتي تتم في سراديب موجودة تحت الأرض لالتقاط وجلب

1- **كمال أبو السيد مصطفي**: المرجع نفسه، ص 59..

2- **الحميري**: المصدر السابق، ص 318.

المياه، تعرف باسم الفجارات وتتضمن علي مسافات متغيرة بعض الفتحات.

عمل الموحدون على استنباط المياه من باطن الأرض وتوصيلها من أماكن توفرها الي مناطق الزراعة، حيث قام المنصور ببناء القناطر والجياب للماء واتخذ عليها المنارات، كما أقام ابنه الناصر منشآت مائية في كل من تلمسان وقسنطينة وكان في قاعدة بلاد المغرب مدينة فاس، وهي مدينتان كبيرتان متفرقتان وبين المدينتين قناطر كثيرة، وتطرد فيها جداول ماء لا تحصي، تخترق كلتي المدينتين تسمي بالسواني لابد لكل دار من ديار المدينتين منها، وفيها عيون كثيرة لا تحصى عددا.

ومن المجهودات التي قام بها سكان بلاد المغرب الإسلامي في مجال الري هو جر المياه من المنحدرات الجبلية بعد تنقيتها من الحجارة والأشجار، مثلما حدث في سهول بني راشد نواحي تلمسان المشتهرة بكثرة قنواتها التي تمتد مياهها من الوادي ، وتتشعب تلك القنوات لتروي المزارع والبساتين خارج المدينة، خاصة وأن كامل الريف التلمساني كان متوفرا علي قنوات وأنابيب وموشي بصهاريج متفاوتة العمق لكون أن تلمسان فيها .

ومما يذكر في ذلك أيضا الصهريج الكبير الذي كان بمراكش والذي سهل عملية توزيع المياه علي الشوارع، والصهريج هو بركة عظيمة عليها سور وباب يصب فيها النهر الثاني الداخلإلي مراكش، وفيها يوزع بقياس معلوم علي الناس، ثم ينحدر بقية الماء في نهر يشق المدينة من جهة أخري في وسط الأسواق وما يمر، وفيها برك تصب فيها المياه.

مما سبق فإن الأمطار ببلاد المغرب هي المصدر الرئيسي للري حيث كان الفلاح ينتفع بسقوطها علي الحول والبساتين، ويقومون بجمعها في الأواني أو في الخزانات الباطنية، كما اعتمدوا علي مياه الأنهار والوديان فاستخرجوها ونقلوها لحقولهم، نفس الشيء فعلوه مع ماء العيون والآبار، وقد لعبت القواديس دورا هاما في نقل الماء وقسمته بين الفلاحين[1].

1- **كمال أبو السيد مصطفي**: المرجع السابق، ص 60.

ثانيا: تقنيات الري في الأندلس.

تنوعت مصادر وطرق الري في الأندلس، فقد استطاع العرب في الأندلس تأسيس قاعدة علمية تكنولوجية قوية لأنظمة الري إذ أصبحت منهلا للحضارات العالمية خاصة الحضارة الأوروبية الزراعية التي استمدت الكثير من مقوماتها من الحضارة العربية الإسلامية، ولا تزال تعمل بها إلي يومنا هذا، ومن بين التقنيات التي اعتمدها الأندلسيين في الري نجد:

1- الناعورة: استخدمت لسقي الحقول[1]،وهي من الآلات المائية التي تركب علي الأنهار[2]،أو الجداول الدائمة الجريان أو علي قنوات الري الرئيسية[3]، وتتكون من دولاب دائري مصنوع من الخشب قائم بشكل عمودي علي منسوب الماء وحوله أوعية فخارية، مربوط بشكل منظم بحبال قوية علي طول دائرته وسمي بالناعورة لصوت يخرج منه، ويدور هذا الدولاب بقوة تيار الماء فيسمي بالناعور المائي[4].

انتشر استخدام الناعورة بكثرة في الأندلس إذ نصبت في مرسية علي نهر شاقورة، وفي طليطلة، واستخدمت لسقي البساتين وحقول القطن،وتسقي النواعير أراضي زراعية واسعة فهي تمثل أحد سمات أنظمة الري الكبيرة، ويعود الفضل للعرب في إدخال النواعير إلي الأندلس.

2- الدولاب: يشبه الناعورة لاكنه أكثر تعقيدا وهو علي نوعين الأول يديره ثور أو جمل أو حصان والثاني يديره ثوران، فيدور الدولاب بالاعتماد علي حركة الحيوان الذي يحرك الدولاب المربوط ببكرة مسننة تدور بفعل حركة الدولاب الأفقي فتعمل الأوعية المحمولة علي الدولاب

1- **البكري عادل**: أساليب استخدام النواعير عند العرب، ندوة النواعير عند العرب، مركز احياء التراث العلمي العربي، بغداد، 1990م، ص49

2- **متز أدم**: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مج2، دار الكتاب العربي، بيروت، ب ت، ص 338.

3- **غليك توماس**: التكنولوجيا الهيدرولية في الأندلس، منشور ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تر: صلاح جرار، ج2، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999م، ص 1357.

4- **بيداء محمود حسن**: المرجع السابق، ص 110.

علي رفع المياه من مجري النهر أو الساقية المخصصة لأغراض الري، وتستطيع الدواليب العمل في الصيف ليلا ونهارا بسبب قلة الأمطار.

أما في الشتاء فإنها تعمل في النهار فقط، لاعتمادها علي الحيوان، ويستخدم الناعور لرفع المياه إذا كان علي مسافة قريبة من سطح الأرض، كما يستخدم بالريفي الأراضي الزراعية المرتفعة وفي وديان الأنهار، وهي من أكثر أنماط الري شيوعا في الأندلس[1]، ومن النواعير التي كان لها أثر كبير في الزراعة ناعورة طليطلة علي نهر تاجة، ونواعير بلنسية والنواعير الموجودة علي الجداول المرتفعة من نهر مرسية، والتي تسقي جنانها، فضلا عن النواعير الموجودة بقرطبة التي تصعد الماء من الواد الكبير إلي بساتين قرطبة فتسقيها[2].

3- الدالية: تصنع من القصب وتغلف من الداخل والخارج، تختلف بحسب حجم دولابها وطول زرنوقها، وهي عبارة عن جذع طويل يركب تركيب مرق الأرز تحمل ماءا كثيرا، تحتاج سبعة رجال لتشغيلها، اثنان منهم لتحريك الدالية وواحد غراف لملء الدلاء وتفريغها، وتعد من الآلات الرافعة للماء، ويمكن استخدام الحيوانات في سقايتها للماء، وتستعمل أكثر لسقاية الأراضي المزروعة، واستعملها الفلاحون لرفع المياه من مجري النهر إلي مستوي الأراضي الزراعية.

4- السانية: وهي عبارة عن دولاب تربط به الدلاء التي بواسطتها يتم إخراج الماء من البئر ويسمي الحبل الذي يرفع به الماء من البئر الرشا، ويسقي أهل قسطلة بساتينهم بالسواني، والسانية تشبه الناعورة إلا أنها أقل حجما منه[3].

5- الخطارة: هي من آلات رفع المياه وهي نوع من الدواليب الخفاف استعمله الأندلسيون في أعمال الري في الأودية والأنهار، وهي ضمن أنظمة الري الصغيرة لأن الفلاح يديرها بمساعدة

1- **بروفانسال ليفي**: الأندلس، دائرة المعارف الإسلامية، إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، مج5، مطبعة الشعب، القاهرة، 1933م، ص 310.

2- **بيداء محمود حسن**: المرجع السابق، ص 112.

3- **بيداء محمود حسن**: المرجع نفسه، ص 114.113.112.

أفراد أسرته، إذ تقوم بسقي أراضي زراعية صغيرة الساحة[1].

6- الري بالعيون:حيث يوجد في إقليم سرقسطة بالأندلس عين تنبعث بماء غزيرة.

7- الري بالتنقيط:تتمثل في وضع جرة أو جرتين من الفخار قرب جذور الشجرة مليئتان بالماء ويبدأ الماء بالنزول تدريجيا ليغذي هذه الشجرة مدة شهرين في فصل الجفاف، مما يؤدي إلي توفير مياه الري، لا كنها تسقي الأشجار بكميات قليلة جدا من الماء، لا كنها كافية لنموها، كما أنه بهذه الطريقة يمكن استخدام الماء المالح لري المزروعات، كونه يحافظ على الرطوبة في منطقة الجذور.

8- الري بالندي: يتم من خلال سقي الزرعة مرة واحدة بعد أن يجمع حولها الحصى الأملس الذي لا يتسرب الماء به بصعوبة، فإذا تساقط الندي بالليل لا تشربه الأرض بل يتسرب للأسفل عند الجذور فتمتصه النبات[2].

9- الري بالصهاريج: تبني في جوف الأرض وتغطي فتحاتها بغطاء من الرخام وتستخدم للاستفادة من سيول الأمطار وخزنها واستخدامها للسقي.

10- القنوات المائية: عمد الأندلسيين إلي استغلال مياه القنوات لاستعمالها في سقي الغروس، وانشئوا قنوات الري وطوروها وأصلحوا مساقي المياه الرومانية وأعادوا صيانتها[3].

11- السدود: بني الأندلسيون السدود ليحصروا الماء ويوفروا من كمياتها مايلزم لري الأراضي[4]، وزودتهذه السدود بقانتين واحدة لدي الحقول والأخرى لسقي سكان المدن، وقد كان لقرطبة أكبر سد إسلامي بني من الحجارة المصرية.

1- **الرفاعي أنور**: النظم الإسلامية، دار الفكر، بيروت،1973م، ص 248.

2- **بيداء محمود حسن**: المرجع السابق، صص115.114.

3- **دورثي لودر**: اسبانيا شعبها وأرضها، تر: طارق فودة، مؤسسة فرانكلين للطباعة، القاهرة، نيويورك، 1965م،ص 47.

4-**فليب داي طرازي**: عصر العرب الذهبي، مؤسسة هناوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2004م، ب ط، ص 18.

12- الري بالجرار: هو من أحد الأساليب التي لجأ إليها الفلاح الأندلسي لغرض الزراعة في المناطق التي تقل فيها المياه حيث كانوا يسقون بها الأشجار[1].

من خلال ما سبق فإن فلاحوا بلاد الغرب الإسلامي سوءا بلاد المغرب أو الأندلس قد بذلوا جهودا كبيرة في سبيل إيصال المياه إلي بساتينهم وحقولهم ومزارعهم، فقد أقاموا نظما محكمة للسقي وابتكروا أكثر من طريقة لري مزروعاتهم، وقد حققوا انجازات عظيمة في هندسة قنوات السقي وإدارتها وطوروا نظم الري التي وجدوها قديمة وحسنوها، إذ تجمعت لديهم خبرات كثيرة في مجال ري الأراضي الزراعية.

1- **بيداء محمود حسن**: المرجع السابق، ص. 117.

المحور الثالث:

الزراعة في الغرب الإسلامي.

المحاضرة الثامنة

طرق وأساليب وتقنية الزراعة في الغرب الإسلامي.

المحاضرة التاسعة

أنواع المزروعات في الغرب الإسلامي.

المحاضرة العاشرة

الإنتاج الزراعي.

المحاضرة الحادية عشرة

الكوارث الطبيعية والمشاكل السياسية والأمنية في الإنتاج الزراعي.

المحاضرة 8

طرق وأساليب وتقنيات الزراعة في بلاد الغرب الإسلامي.

اهتم سكان بلاد المغرب بممارسة الفلاحة وعملياتها المختلفة خاصة الزراعة، إذ عملوا على تهيئة الأرض وغرسها، وإيجاد تقنيات مختلفة للزراعة، وحتى العمل علي جني المحاصيل الزراعية وتخزينها، وهذا ما سنطرق له في هذه المحاضرة أي، أهم التقنيات التي اعتمدوها سكان بلاد الغرب الإسلامي.

أولا: طرق وأساليب وتقنيات الزراعة في بلاد المغرب.

أ- تقنيات الزراعة في المغرب الإسلامي.

1- تقنية التسميد: سمد الأرض أي زبلها، وتسميد الأرض هو أن يجعل فيها السماد، والسماد تراب قوي يتكون من الرماد أو الزبل أو مجتمعة معا، ويطرح في أصول الزرع والخضر ليجود نباته[1]، وهي أحد الخطوات المهمة في العملية الزراعية كونه يزيد من طيب الأرض ويصلحها، كما يقويها ويدفع عنها العوارض المختلفة مثل الرياح أو البرد والحر، وفرط الري، ولا تصلح الزراعة إلا به، وقد استخدمت أنواع مختلفة من السماد، كالفضلات بأنواعها واعتبرت فضلات الطيور من أجود السماد وأكثر فائدة للعديد من المزروعات باستثناء فضلات طيور الماء كالبط والإوز، كونها تهلك الأرض وتحرق النبات، إضافة إلي فضلات البشر و روث الحمير فهي جيدة لجميع الغرس[2]، وبعدها يأتي الماعز والضأن وزبل الأبقار. وأضعفها أرواث الخيل والبغال لكن إذا خلطت بأنواع أخري تصبح جيدة، واستثنيت زبل الخنازير كونه يهلك كل ما دني منه، كذلك يستخدمون الرماد والتبن (هو ما يؤخذ من العيدان والأوراق والأصول والثمار ثم يجفف ويسحق ويستعمل كسماد)[3]، وكانوا يشترون الزبل من الإسطبلات ويجعلونه أكداسا

1- - **النوري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب**: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قمحية وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424ه-2004م، ج10، ص48.

2- **ابن العوام الاشبيلي**: المصدر السابق، ص 100.

3- **ابن وحشية:** المصدر السابق، ص ص 364.363.

ويجففونه ثم يستخدمونه، وهناك من يقومون بحرقها إذ يعطي نتائج جيدة، بالإضافة إلي الاستفادة من الزبل كوقود وشاع أيضا السماد المركب الناتج من خلط مواد مختلفة ويكون الزبل أساسها بالإضافة إلي الرماد وغيره، وهذه أهم أنواع السماد المستخدمة ببلاد المغرب في العصر الوسيط فهي الوسيلة الأساسية التي اعتمدها الفلاحون لإصلاح الأرض ورفع إنتاجها، وقد اختلفت طرق استعمال السماد حسب النبات المراد تسميده.

إن الفلاحين ببلاد المغرب قد تعودوا استعمال السماد وعرفوا فائدته واختلفت أنواعه باختلاف مناطق بلاد المغرب وتعدد النباتات المزروعة والمغروسة، واجتهدوا في جمعه وتحضيره بغية الحصول على أحسن استغلال[1].

2- تقنية الحرث:

- تعريف الحرث لغة: هو العمل في الأرض زرعا أو غرسا[2].

- اصطلاحا: هو قلب الأرض للزرع[3]، وإثارتها للأقوات والحبوب، ويكون الحرث برد الأرض أعلى الأرض أسفلها مرة أو عدة مرات، ويعتبر خطوة أساسية لا تستغني عنه الأرض خاصة إذا أريد زراعتها أو غراستها، وكلما طيبت الأرض بالحرث كرر ذلك عليها، والإكثار من القلب يغني عن التسميد حيث يصبح حرث الأرض أهون علي الفلاح من تسميدها كاملة.

وكان الحرث يتم في فصل الخريف مع بداية الدورة الزراعية، والأراضي التي لم تزرع من قبل أو المهملة فتقلب مرات متفرقات في فصول مختلفة، أما الأرض العادية فتقلي في شهر

1- **يوسف نكادي**: المرجع السابق، ص 240.

2- **ابن منضور محمد**: المصدر السابق، ص 134.

3- **البرزلي**: فتاوى البرزلي المعروف بجامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م، ص.31-32.

يناير مستمرا إلى منتصف مارس ويعاد حرثها في أبريل، وتحرث مرة أخيرة في شهر جويلية، أما الأرض الرقيقة فتحرث عند الاعتدال الخريفي، والصلبة والجبلية فتقلب في فصل الصيف، أما الرملية والسوداء والبيضاء اليابسة فتحرث في فصل الشتاء.

اعتمد فلاحوا بلاد المغرب الإسلامي على عدة أنواع من الحرث كالكسر أو الشق الذي تكون خطوطه متقربة ومتعمقة، والفتح الذي تكون خطوطه متباعدة ومفتوحة، وهناك نوع أخر كحرث الزريعة فهو الحرث الخاص بزراعة الحبوب والبقول ويصل عدد مرات قلب الأرض ببلاد المغرب في الموسم الواحد إلي ثلاث أو أربع مرات[1].

بعد عملية الحرث تأتي خطوة تنقية الأرض من الحجارة ثم دق كتل التراب الصلبة كونه مضر بالنبات، وتتم هذه العملية أثناء الحرث، واستعملت لهذا الغرض آلات مختلفة كالفؤوس والمجردة واتبعوا أيضا طريقة إدخال ما أمكن من الحيوانات كالبقر والغنم إلى الأرض المحروثة لتدوسها حتى يتفتت ترابها بعد ذلك تصبح الأرض جاهزة لبذر الحبوب والنباتات الأخرى كاللفت والبصل فينشئون لها أحواض تحدد بتراب مرتفع لمنع خروج الماء منها عند السقي، كذلك الأرض التي تغرس فيها الأشجار تحتاج لتهيئة خاصة من قلب وتزبيل وحفر[2].

***)- الأدوات المستعملة في الزراعة في بلاد المغرب:** استعمل المزارعون المغاربة منذ القدم العديد من الوسائل والأدوات في العمل الزراعي من بينها:

- **الفأس**: وذلك من أجل تقليب الأراضي الزراعية، فهي مهمة وهي الوسيلة الأنسب لقلب الأرض الحجرية، الجبلية، والأرض الجافة.[3]

- **المحراث**: وهو من الوسائل التي أتقن المغاربة استخدامها في إعداد الأراضي الزراعية

1- **هواري موسي**: المرجع السابق، ص.ص. 67.66.65.

2- **ابن العوام الاشبيلي**: المصدر السابق، ص.ص. 62.61.

[3]-**ابن وحشية**، المصدر السابق، ج.2 ،ص.334.

للزراعة. والذي يعتبر الوسيلة الأولي بعد الفأس استخداما، كان يصنع من الخشب كما أنه يوجد أيضا من يصنعه من الحديد، وكان يستعمل المحراث على الحيوانات من أجل جره[1].

- الوسائل الأخرى: اعتمد أهل المغرب في العمل الزراعي المجردة التي تستعمل لكسر الطوب، وهي مثل المحراث وتقوم بعدل الأرض، واستعملوا المجراف والمناجل في الحصاد، وقطع أغصان الأشجار[2].

3- تقنية البذر: ويقصد به نثر الحب وزرعه[3]، وهي المرحلة التالية بعد الحرث، وكان الفلاحون يختارون أجود أنواع البذور لزرعها وكانوا يخضعونها لتجريب، وذلك بزرع جزء يسير منها قبل المغامرة بها كلها لتفادي الخسارة، كأن تنقع كمية منها في الماء يوما أو ليلة ثم تزرع وتزبل وتسقي[4]، ويصعب وضع جدول زمني للأعمال الفلاحية عامة والبذر خاصة لتباين الأقاليم المناخية والنباتية، ويرون أن أفضل أيام البذر هو اليوم الدافئ وأسوئها هي الأيام التي تهب فيها الرياح الباردة، والبذر يكون علي ثلاث دفعات متباعدة زمنيا لضمن نجاة ثلث المحصول في حال إصابة الزرع بمصيبة[5]، والبذر يتم عن طريق إلقاء البذور يدويا في الأرض المعدة لذلك.

وفي بعض الأنواع كالفول والحمص والجلبانة توضع كل حبة في حفرة صغيرة ويفصل بين كل حفرة وأخري شبر، أما القمح والشعير فتنثر على الأرض، ولا يكون إلا بعد تمطير الأرض، وتساعد هذه العملية في تغطية البذور أيضا وكانوا يصحبون البذر بذكر الله حتى يسلم الزرع وتزيد الغلة، وكانوا يخصصون كل أرض بنوع معين من البذور.

1- **الطنغري:** المصدر السابق، ص ص 268.267.

2- **ابن منضور محمد بن مكرم الإفريقي المصري:** المصدر السابق، ص 50.

3- **ابن العوام الاشبيلي**: المصدر السابق، ص 49.

4- **هواري موسي**: المرجع السابق، ص 68.

5- **ابن وحشية:** المصدر السابق، ص 69.

4- تقنية غرس الأشجار: تتشابه العوامل المتحكمة في غراسة الأشجار بالعوامل المتحكمة في البذر، وتختلف عملية الغرس من بلد إلى آخر بسبب العوامل المناخية ونوعية التربة، وتوفير مياه السقي،[1] حيث يعد اختيار الأرض شرطا أساسيا لنجاح عملية الغرس، وقد حرص الفلاحون على اختيار أفضل الأشجار ليغرسوا من أغصانها للإكثار منها ويختارونها مرحلة ظهور الثمار وطرق الغرس متعددة منها:

أ- غرس النوامي: هو الأسهل كونه لا يكلف الفلاح جهدا ولا مالا، ويعتمد على الأغصان النباتية في أصل الشجر كالنخل والسفرجل والتفاح وغيرها،[2] فيعمد الغارس إلى إنشاء حفر على هيئة السواقي أو القنوات ويضع فيها الفروع ثم يغطيها بالتراب ويخرج طرف الفرع ثم يتركها على حالها مدة عامين، ثم ينقلها إلى المكان الذي يريد غرسها فيه.

ب - غرس العيدان: تتم عن طريق قطع الغصن من الشجرة دون إيذائها وغرسها سريعا بعد القطع،[3] وان أخرها فعليه وضعها في الماء أو دفنها في الأرض الرطبة، وتختلف طرق غرس الأغصان بحسب نوع الشجرة.

ج- غرس عن طريق النوى(النواة): يكون باختيار النواة الحديثة الجيدة السليمة مأخوذة من ثمر ناضج وتلقي في الأرض المراد غرسها مباشرة، أو يغرسها في أماكن يسهل رعايتها كالأواني الطينية أو قدور أو جرار وغيرها،[4] لينقلها صاحبها فيما بعد إلى أي موضع شاء بشرط أن ينقلها بعروقها كلها مع مراعاة نوعية الماء الذي يسقي به، وكانوا ينضمون غرس الأشجار وفق قواعد معروفة كغرسها وفق خطوط مستقيمة،[5] وترك المسافة بينهما وسميت بعملية التفريج بين الأشجار، إضافة إلى غرس الأشجار مع ما يشاكلها أي يشابهه.

5- تقنية العناية بالزروع والغروس: يتم العناية بالغروس والزروع من خلال حراسة وحماية

---

[1]-**ابن العوام**، المصدر السابق، ج.1، ص.165-166.
[2]-**ابن بصال**، المصدر السابق، ص.61.
[3]- **أبو الخير الشجار الأندلسي**، كتاب الفلاحة، نشره التهامي الناصري الجعفري، المطبعة الجديدة، فاس، المغرب، طبعة 1357هـ، ص.20-21.
[4]-**ابن العوام**، نفس المصدر ، نفس الجزء ، ص200.
[5]-**النابلسي**، المصدر السابق، ص.232.

الحقول والبساتين بعد انتهاء عملية البذر والغرس من الأخطار المختلفة سواء البشرية أو الحيوانية[1]، وذلك عن طريق تحصين الحقول بطرق مختلفة كبناء أسوار أو جدران[2]، أو اتخاذ سياجات أو زروب[3].

كذلك يقوم الفلاحون بالربط بين الأشجار بحبال كبيرة كي لا تفسد الوحوش والبهائم الشجيرات الصغيرة، وقد لجأ معظم المزارعين إلي حراسة مزارعهم من أجل تأمينها، فقد فرضته المصلحة، كما أوجبه الشرع[4]، وكانوا يستعينون بكلاب الحراسة، واعتمد الآخرون إلي استئجار حراس للحقول حيث أصبحت حرفة يكسب منها بعض الناس عيشهم[5].

6- تقنية وقاية المزروعات: عمدوا أيضا إلى العناية بالتربة من خلال نبشها ونقشها فهذه التقنية تصلح الزرع تزيد في كمية المحصول[6]، وتبدأ مع بداية إنبات البذور وظهور البراعم، إضافة إلى تنقية الحقل من الحشائش الضارة وهذه العملية تحتاج لقوة عضلات الفلاح، كما أولوا الاهتمام بالأشجار من خلال نبشها ومراقبة أغصانها فأن انكسر أحدهما وجب عليه تقليمه، وأن مالت عدلها.

عمد فلاح بلاد المغرب الإسلامي إلى تقليم الأشجار أيضا وتسمي أيضا الكسح والزبر، وهي عملية يتم من خلالها قطع الفروع الضعيفة أو الغير مناسبة من الشجرة كونها تحجز أشعة الشمس عنها وذلك باستخدام أدوات مناسبة لذلك،[7] كالمنجل والفأس والمنشار، كذلك يقومون بتقنية التركيب وذلك من خلال إضافة شجرة لآخري بغرض الحصول على أفضل ما في

1- **الونشريسي**: المصدر السابق، ص ص 69.68.

2- **البرزلي**: المصدر السابق، ص 415.

3- **الونشريسي**: المصدر السابق، ص 68.67.

4- **هواري موسي** : المرجع السابق، ص 108.

5- **التادلي**: التشوف إلي رجال التصوف، تح: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م، ص 255.254.

6- **ابن وحشية:** المصدر السابق،ج.1، ص 418.

7-نفس المصدر ، نفس الجزء ،ص.194.

الشجرتين وهو سر صلاح الأشجار وجمال البساتين.ولكي يكون التركيب صالحا وناجحا يجب أن يركب كل جنس في نوعه مع مراعاة التقارب العمري بين الأشجار، إضافة إلى تذكير وتلقيح الأشجار أي نقل حبوب اللقاح من الأشجار المذكرة إلى الأشجار المؤنثة، للنتاج ثمار مخصبة، ويمكن أن تكون طبيعيا بواسطة الرياح، ويقومون به في مختلف أنواع الأشجار[1].

7- طرق جمع المحاصيل وتخزينها: ويتم ذلك من خلال عدة مراحل أولها:

- الحصاد: من خلال قطع النباتات بالمنجل،[2] وهو الوسيلة الأساسية للحصاد، وجمع السنابل بعد قطعها في حزم ونقلها إلى أماكن الدراس أين تدوسها الحيوانات،[3] وهي من أصعب الأنشطة التي يقوم بها الفلاح خلال الموسم الفلاحي، بعدها تأتي عملية الدارس.

- الدراس: وهي عملية استخراج حب السنبل من غلافه بعد حصاده، ويسمي مكان الدراس الذي يجمع فيه أكوام الزرع بعد حصادها ب النادر وموضعه لا يتغير فهو ثابت،[4] وهذه العملية تتم باستخدام بعض الحيوانات أهمها البقر، ثم تأتي بعدها عملية:

- تذرية الحب وتصفيته: وهي العملية التي تمكن من استخلاص حب المنتوج، واعتمادها الكلي يكون على الرياح،[5] وتتم باستعمال المذرات وهي آلة خشبية ذات أطراف يذري بها الطعام وبعد التذرية تتكدس الحبوب في النادر فيجمعها الفلاح في الأواني والأكياس للاستهلاك أو توجه لمواضع التخزين.

1- **ابن العوام الاشبيلي**: المصدر السابق، ص ص 501.500.

2-**ابن منظور** ،لسان العرب المحيط، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، ج.3 ،ص.151.

3-**المعدني أبو علي الحسن**، رفع الالتباس في شركة الخماس، تح: رشيد قباط، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المملكة المغربية، طبعة 1433هـ/2012م.

4-**التادلي**، المصدر السابق،ص.357.

5- **ابن منظور**، المصدر السابق، ج.14.، ص.282.

- **تخزين الحبوب**: تخزن الحبوب من قمح وشعير وغيرها تحسبا للسنوات العجاف التي غالبا ما كانت تصيب بلاد المغرب، بسبب الجفاف والحروب والفتن التي يقل أو ينعدم فيها الطعام،[1] من طرق التخزين المتبعة ببلاد المغرب، وضعها في المطامير تحفر في باطن الأرض أو وضعها في الأهراء وهي عبارة عن بيوت تبني خصيصا لهذا الغرض[2].

ثانيا: طرق وأساليب وتقنيات الزراعة في الأندلس.

ابتكر الأندلسيين تقنيات عديدة في الزراعة إذ تمثل قمة النضج الذي وصل إليه علم الفلاحة في الأندلس، لاسيما في مجال استخدام التربة، وجاءت هذه التقنيات نتيجة طبيعية للبحث والتجربة اللذان رافقا العملية الزراعية في محاولة للبحث عن حلول للمشاكل التي كانت تعيق الفلاح، ومن أبرز هذه التقنيات نجد:

1- تقنية التركيب (التطعيم): من ابرز التقنيات الزراعية التي مارسها الفلاحون الأندلسيون، واستخدمت للإكثار من ضروب النباتات والبذور، ولتكييف النباتات مناخيا لبيئات جديدة وتغيير شكل الثمار، ولإعطاء النباتات مدة حياة أطول[3]، وتتطلب هذه التقنية من الفلاح امتلاك المعرفة والعلم بها، مثال علي ذلك عليه معرفة الثمار التي تقبل الغذاء قبولا جيدا أو التي لا تقبله[2].

وتتم هذه العملية وفق أصول متعارف عليها بين الفلاحين حيث قسم علماء الفلاحة الأشجار إلي خمس أجناس وسنتطرق إليها بالتلخيص ألا وهي:

- **ذوات المياه:** كالتفاح والسفرجل والأجاص والرمان والعنب وما شابهها.

- **ذوات الأصماغ**: كأشجار البرقوق واللوز وعيون البقر والمحلب .

- **ذوات الأدهان:** كأشجار الرند واللبان ومشابهها.

1- **التادلي**، نفس المصدر ،ص.277-278.

2- **فولار وآخرون:** عالم النبات، تر: قيصر نجيب وآخرون، الموصل، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، 1977م، ج1، ص ص 268.267.

3- **ابن بصال**: المصدر السابق، 94.91

- **ذوات الألبان**: كأشجار التين والزيتون والدفلى ومشابهها[1].

- **ذوات المياه والمواد**: هي التي لا تسقط لها ورقة، منها ما يميل إلي ذوات الأصماغ كالصنوبر، ومنها ما يميل إلي ذوات المياه كالليمون، ومنها ما يميل إلي ذوات الألبان كالدفلى.

وقد اعتبروا تصنيف هذه الأشجار وفق هذه الأجناس مهما جدا، كونه يخدم من حيث الأساس تركيب الثمار[2]، ويرون أن الوقت المناسب للقيام بعمليات التركيب هو الربيع[3]، وأفضل أوقات العمل هو في يوم معتدل الهواء، وأثناء القيام بعمليات التركيب يلجئون إلي دفن أقلام التركيب تحت الأرض في حالة تغيير الهواء إلي أن يصبح الهواء معتدلا وملائما لعمل التركيب ولكي تبقي محتفظة برطوبتها[4].

أكد علماء الأندلس أن قضبان التركيب يجب اختيارها من شجرة فتية جيدة النمو وان يكون سمك قضبان التركيب بغلظ الإصبع[5]، وأن القضيب الرقيق أكثر صلاحية من الغليظ كونه في بداية النمو.

استخدم فلاحوا الأندلس أنواعا عديدة من التركيب منها:

- **تركيب الشق**: يستعمل في الأشجار التي لها قشر رقيق، إذ يتم قطع الفرع بمنشار حاد و رقيق الأضراس، ثم تستخدم المناجل الحادة لإخراج موضع النشر الذي أحرقه المنشار، ويؤخذ السكين المستعمل للشق ويتوسط نصف الفرع ويضرب ضربا لطيفا علي قدر ما يشق الفرع ثم يخرج ذلك السكين من الشق وينزل فيه منقار الحديد لينفتح الشق ويهبط القلم فيه، ويبلغ إلي حد الشق، ثم يخرج المنقار بعد ذلك فيزداد القلم وثوقا، ثم يربط عليه بخيط الصوف المفتول كي لا يؤثر

1- **ابن بصال**: المصدر نفسه، ص 95.

2- **خليل ياسين**: العلوم الطبيعية عند العرب، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، 1980م، ص 295.

3- **ابن العوام الاشبيلي**: المصدر السابق، ص 432.

4- **ابن بصال**: المصدر السابق، ص 96.

5- **ابن العوام الاشبيلي**: المصدر السابق، ص 442. أنظر أيضا:**ابن بصال**: المصدر السابق، ص97.96

في جرم الشجر ويشد به بصورة محكمة حتى تنضغط تلك الأقلام ويلتئم عليها الشق حتى تبدوا وكأنها جزء منه، ثم تأتي عملية وضع الطين علي الجزء المركب وربطه بخيط من القنب لحمايته والحفاظ عليه من الفساد والتخلخل[1].

- التركيب الرومي: هو التركيب بين الحاء والعظم أو التركيب الذي يعمل بين القشرة والعود، وأنسب الأوقات للقيام به هو شهر مارس كونه هو وقت جري الماء في الثمرة التي يراد تركيبها من أجل انفصال الجلد عن عود الثمرة، وللقيام بهذا النوع من التركيب يتم نشر الشجرة من موضع أملس مستو سالم من العقد، ثم تأخذ حديدة مبسوطة الطرف محدودة من الجوانب قاطعة تدخل بين جلد الشجرة وعودها وتحاز علي قدر البرية ، ثم تدخل البرية بين اللحاء وساق الشجرة فتنزل قشرة القلم علي قشرة الشجرة فيوضع عليه الطين ليحفظه من التسوس، ثم يربط بخيوط من الصوف ويشد عليه عدة مرات كي لا تنشق القشرة ثم يبيض بالطين الأبيض، ويمكن إخفاء موضع التركيب في إناء فخاري مثقوب ويملأ بالتراب بحيث يكون مكان التركيب في الوسط، ويسقي بالماء باستمرار حتى لا يجف[2].

- تركيب الأنبوب: وهو قطع أطراف شجر التين في شهر يناير وتطيين موضع القطع بالطين ويترك حتى أواخر شهر مايو قبل التركيب بثمانية أيام، وتقطع أعين القح ثم تكسر أطراف تلك العيون ويسلخ القشر عن العود مقدار النشر، ثم تأخذ عيون من الشجرة التي يراد أن يركب منها ويرفع القشر عن العود بالسكاكين الحادة،[3] ثم تدخل ابر مبسوطة الأطراف لخلخلة القشر عن العود برفق حتى لا ينشق ويؤخذ الأنبوب المجرد أولا ويلبس به هذا القلم ويراعي نزوله بهدوء.

- **تركيب الرقعة**: وهي قطع أعلي فروع الشجرة التي يراد تركيبها وتترك حتى يضرب فيها اللقاح من جديد، ويفعل ذلك قبل التركيب بثمانية أيام، ثم تختار الشجرة التي يستحسن نوعها

1- **ابن بصال**: المصدر نفسه، ص 97.

2- **ابن العوام الاشبيلي**: المصدر السابق، ص 495.

3-**النابلسي عبد الغني بن إسماعيل**، علم الملاحة في علم الفلاحة، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت ،ص.47-48.

وينظر إلى الأقلام المشاكلة للأخرى التي يراد التركيب فيها، ويقطع منها علي قدر الحاجة، وتؤخذ كل واحدة منها رقعة بقدر طول الإصبع وتحاز برفق ولين، ويتم ذلك بآلة خاصة، ثم تسقي بلبن الشجرة وتشد بالرباط ويستمر تغذيتها بالبن المذكور حتى تلتئم الرقعة مع القلم فتصير شيئا واحد.[1]

- تركيب الأنشاب: يصلح لتركيب الأشجار المتباعدة في الطبع، يجود بشكل كبير في تركيب الكروم، ويتطلب مدة زمنية لكي يلتئم ويكتمل، وأفضل وقت للقيام به شهر نوفمبر إلي فيفري، وإذا كانت الشجرة رديئة الثمرة تجاورها شجرة طيبة الثمر، فيأخذ ما جاور الشجرة الطيبة إلى الشجرة الرديئة من القضبان جيدة الانبعاث وتنقى مما فيها من أطراف وتثقب في ساق الشجرة بالبرنيه ثقبا نافذا ويدخل فيه ذلك القضيب ويجذب حتى يخرج من الجهة الأخرى ويترك علي حاله[2]، ثم يشد بشريط في القضيب المجذوب إلى الثقب لكي لا يخرج أو تزحزحه الرياح ، ويمضي عليه عام أو عامين إلي أن ينسب ذلك الثقب، ثم تأتي عملية القطع من أصل اللقاح وترك العين المندفع باللقاح فيستغني بذلك عن أصله ويتغذى بماء تلك الشجرة، ثم يلتحم ويصبح الكل جسدا واحد[3]، واهتم الأندلسيون بتقنية التركيب أو التطعيم وكانوا علي علم بمتطلبات هذا العمل وعملوا بها بكل دقة مما يدل علي تقدم واضح في الميدان الزراعي.

2- أسلوب وتقنية وقاية المزروعات من الآفات والحشائش الضارة: اهتم الأندلسيون بوقاية محاصيلهم الزراعية من الأمراض وأنواع الحشرات وغيرها من الآفات الزراعية كما حرصوا على تنقية التربة من الحشائش الضارة، لأن بعض هذه الآفات تلحق بمزارعهم الخراب[4]، فلذلك لجئوا إلى ابتكار طرائق متعددة لمكافحتها ومن بين هذه الطرائق نجد:

1- **ابن بصال**: المصدر السابق، ص 91-92.

2- **نفس المصدر** ، ص 98.

3- **ابن بصال**: المصدر نفسه، ص 99.

4- **عبد الرزاق زاهد عبد الله**، الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال عهد مملكة غرناطة (635ه-897ه 1238م-1492م)، رسالة دكتوراه مقدمة إلي مجلس كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 1997م، ص 113.

- **المكافحة الحيوية**: استخدمها الأندلسيون في سبيل القضاء على الآفات الزراعية والديدان الضارة بالنباتات، ومعالجة الأمراض والآفات التي تصيب بعض الأشجار[1]

- **المكافحة بالمواد العضوية:** استخدمت المواد العضوية على نطاق واسع، فقد استخدم السماد العضوي أكثر للوقاية من الآفات الزراعية في الأندلس، إضافة إلى استخدام مرارة الثيران وزبل الحمام لطرد الديدان، والتسميد يساعد على تقوية أشجار الفاكهة ويزيد في العصارة النباتية مما يجعلها أكثر مقاومة للإصابة بالآفات.

واستخدم الفلاحون الرماد بشكل واسع للقضاء علي الديدان وبعض الأمراض التي تصيب بعض النباتات، فاستخدموا رماد الحمامات لعلاج تشقق الرمان بعد خلطه في الماء أثناء سقي الأشجار، واستخدموا الجير والرماد في طرد النمل، كذلك استخدموا المواد العضوية بشكل علمي لتقوية النبات ومعالجة الأمراض التي تصيبه ومكافحة الحشرات الضارة بالمحاصيل الزراعية[2].

- **المكافحة بالتدخين أو التبخير:** استعملوا المبيدات الكيماوية بعد فشل استعمال طرائق المكافحة الأخرى وتمثل المبيدات الكيماوية طريقة فاعلة وسريعة جدا، فقد استخدموا التدخين والتبخير لطرد الآفات الزراعية والقضاء عليها، واستعمل الأندلسيون التبخير بالثوم والتدخين بالمواد العضوية كقرن الماعز أو قرن الأيل للقضاء على الديدان وطردها، إضافة إلي تدخين الكروم بأخثاء البقر مع قضبان شجر الأترج وورقها لمعالجتها من الإصابة بمرض اليرقان، كذلك استخدموا التدخين بروث الدواب لحماية أشجار الكروم من شدة البرد، ولقتل العقارب فإنهم استخدموا التدخين بالكبريت وحافر الحمار.

1- **حسين محمد محمود عبد الحكيم**: الآفات الزراعية الحشرية والحيوانية، القاهرة، دار المعارف، ب ت، ص 89.

2- **حسين عادل محمد علي**: علم الزراعة والنبات من خلال كتاب الفلاحة لأبن بصال، مجلة المورد، مج5، العدد4، بغداد، 1977م، ص 206.

- **المكافحة باستخدام الطعم السام:** لجأ الفلاحون الأندلسيون لاستخدام هذه الطريقة للتخلص من الحشرات والطيور والفئران والجرذان والأفاعي وما شابه، واستعمل لهذا الغرض الخربق الأسود(نبات سام أجوف وورقه أصفر وزهر أبيض ويخلف عناقيد حب ينبت في الجبال والمرتفعات)، علي نطاق واسع في القضاء علي هذه الآفات بعد خلطه بمواد أخري، كذلك استخدموا المر(دواء معروف كالصبر سمي بهذا الاسم لمرارته)بعد عجنه مع الدقيق لقتل الفئران والتخلص من الذباب[1].

- **استعمال أسلوب التعفير:** استخدم الفلاحون الأندلسيون أسلوب تعفير بذور النباتات المعدة للزراعة لغرض حمايتها من الآفات، وكانوا يقومون بزراعة العدس بعد نقعها في الخل مما يبعد عنها التسوس، وخلط الفلاحون قرن الأيل المقطع المدقوق مع بذور الحبوب لحمايتها من الآفات.

- **معاملة التربة للقضاء على الآفات الزراعية:** اهتم الفلاحون الأندلسيون اهتماما كبيرا بالحراثة كونها تقلل من الآفات الزراعية التي قد تصيب بعض المحاصيل الزراعية، فمن فوائدها قطع العشب من الأرض التي تكون فيها الأشجار، وحددوا وقتا للحراثة في يناير للقضاء علي الأعشاب والأدغال التي تكون في بداية الإنبات[2].

3- تقنية تخزين وحفظ المحاصيل الزراعية: برع الأندلسيون في تخزين وحفظ المحاصيل الزراعية والفواكه وقد شجعهم في ذلك طبيعة الأرض والمناخ وتقدم الفلاحة في بلادهم، ويعد هذا الفن الأهمية في علم الفلاحة، والغاية من هذا هو ادخار لغير مواسم نضجها وادخارها قوتا في وقت الحاجة ولاسيما في الأندلس وقت مرورها بسنوات القحط العديدة، وخزنها هو الأساس في توفير بذور الزراعة للموسم القادم، وقد تعددت طرق حفظ المحاصيل الزراعية وخزنها نذكر منها:

1- **الحفيظ عماد محمد ذياب**: مكافحة الآفات الزراعية عند العرب، بحث منشور ضمن الندوة الثانية لتاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، 1986م، ص 419.

2- **ابن العوام الاشبيلي**: المصدر السابق، ص 245.

- خزن محاصيل الحنطة والشعير: بعد عملية الدراسة وتنقية الحب ونقله إلى مكان الخزن الذي يسمي "الأهراء" ،[1]وهذه الأخيرة يجب أن تكون بعيدة عن الروائح النتنة أو مكان رطب، ومن الضروري فتح فتحة من ناحية الشرق لدخول أشعة الشمس منها وخروج بخار الحنطة والشعير، وتطلي جدرانها بالطين الطيب المخلوط بالتبن والكبريت كونه يحمي المحاصيل المخزنة من الفأر والتسوس، ويحفظون الحنطة من النمل بنشر التراب الأبيض حولها، ومن أحد الطرق المهمة أيضا لحفظ القمح والشعير حفظه بسنبله[2].

- حفظ الزيتون: حرص الفلاحون الأندلسيون على اختزان محصول الزيتون واعتمدوا على ذلك ثلاث طرائق وهي:

- **حفظ الزيتون المثمر:** بعد جني الزيتون يتم اختيار الثمر بعناية، ثم يغسل ويجعل في إناء جديد ونقي[3]، ويراع في وضعه أن تكون طاقة من الزيتون وطاقة من الملح والصع تروورق ألاس[4]اليابس المدقوق حتى يمتلئ الإناء ويترك ثلاثين يوم، ثم يضاف إليه ماء معاصر الزيتون حتى يمتلئ الإناء، ويترك على هذه الحال مدة شهر قبل البدء بالأكل.

-حفظ الزيتون المكسر: هو ادخار الزيتون للاستعجال به قبل الزيتون المشرح أو غيره من أنواع الزيتون المدخر[5]، ويتم اختيار الزيتون الأخضر الغصن في شهر أكتوبر ويغسل بالماء العذب بعدها يكسر على لوح نظيف برفق ولا يهرس، ويترك في الماء العذبة مدة أربعة أيام ويكرر عليه ذلك حتى تذهب مرارة الزيتون، ثم يوضع في الصحائف ويفرك عليه الصعتر والملح ويترك مدة أربع ساعات ثم يؤكل بعدها.

1- **ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني**، الكامل في التاريخ، تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.3، مج.6، 1408هـ/1987م، ص.489.

2- **ابن وحشية**: المصدر السابق، ص 429.

3- **ابن العوام الاشبيلي**: المصدر السابق، ص 687.

4- **الاس:** شجرة معروفة كثيرة بأرض العرب تنبت في السهول والجبال وهي دائمة الخضرة.

5- **ابن العوام الاشبيلي**: المصدر السابق، ص.ص.687. 688.

- حفظ الزيتون المشرح: يتم اختيار الزيتون الجيد في أكتوبر، ثم تشرح كل حبة منه ثلاث تشريحات بطوله ثم يوضع في الماء العذب ثم يهرق الماء ويضاف له الملح بعد إذابته في الماء، ومنه يمكن اختزانه لمدة طويلة، وعملوا علي حفظ اللوز والجوز والفول والقنبيط بطرق مختلفة ومتنوعة، كذلك استخدموا عدة طرق لحفظ الفواكه وعلي سبيل المثال نذكر طريقة لحفظهم للرمان حيث يجمعون الرمان السالم من التشقق ويحفر له حفرة يفرش أسفلها بالرمل ثم تغطي الحفرة، أو ينقع الرمان في ماء شديد الحرارة فيترك فيه حتى يبرد الماء ثم يعلق ويترك علي حاله فلا يتعفن، وإن أريد أكله يرش بالماء البارد ثم يترك ساعة ثم يؤكل[1].

4- تقنية الزراعة في السماد العضوي(الزبل): وتتم عن طريق عمل مصاطب يوضع فيها زبل الدواب بعد تنقيته من العيدان ثم يقطع تقطيعا جيدا ويمزج ويوضع في مكان مشمس، ثم يحفر فيه حفر متقاربة وتوضع داخلها حبات الزريعة وتغطي بالزبل ثم بورق الكرمب الذي يدفع حرارة الزبل لتسقط على شكل قطرات ماء على المصطبة فتنزل في الحفرة المزروعة فترويها مما يؤدي إلي نمو النبات بسرعة[2].

5- استخدام الأواني الفخارية في تكبيس الأغصان: وهي طريقة لتكثير النباتات باستخدام الأوعية الفخارية، حيث تثقب من أسفلها بقدر ما يدخل الغصن الذي يراد الإكثار منه، ويتم اختيار الأغصان القوية والطويلة السالمة ويدخل الغصن في الثقب الموجود أسفل الظرف ويخرج من فمه ثم يعمد إلي خرق مفتوله فيلف حول الغصن وتصبح كالخلخال، ثم يضيق الثقب الموجود أسفل الفخار بالجص أو الطين العلك كي لا يخرج منه الماء والتراب، ثم يملأ بالطين المخلوط بزبل قديم ويروي بالماء العذب، وبعد عام تنبت العروق ثم تحفر حفرة للغرسة الجديدة فيكسر ظرف الفخار ويوضع في الحفرة ويرد عليه التراب ويتعاهد بالسقي فيصبح بذلك غرسا جديدا[3].

1- **نفسه**، ص 686.

2- **ابن بصال**: المصدر السابق، ص 140.

3- **ابن العوام الاشبيلي**: المصدر السابق، ص 188.

6- استخدام الزراعة المغطاة: نظرا لانخفاض درجات الحرارة في الأندلس ووجود الصقيع والثلوج في فصل الشتاء، لجأ الفلاحون إلى أسلوب الزراعة المغطاة للحفاظ على المحاصيل الزراعية من البرودة[1].

7- الزراعة على الحبال: من التقنيات الزراعية التي استخدمها الأندلسيين هي الزراعة علي الحبال وذلك عن طريق تحضير وسط ملائم لإنبات بذور نباتات الأسيجة التي تمتاز باحتوائها على أشواك تحول دون دخول الأشخاص أو الحيوانات إلى البساتين، وتكون عن طريق حفر حفرا حول الأرض المغروسة وتثبت فيها أوتاد صلبة وتربط ببعضها البعض بحبال ويلقي عليها ثمر العوسج "وهي شجرة شائكة لها ثمر أحمر مدور" ويلقي عليها شيئا من اخثاء البقر ويعجن الجميع بالماء ثم تدلك به الحبال ويرمي عليها التراب ثم ترطب بالماء وينبت منها سياج شائك[2].

8- جني الورود في غير وقته وتغيير ألوانه: ابتكر الأندلسيين هذه التقنية التي من خلالها يقدرون على قطف الورد في أي وقت يريده الفلاح، وذلك من خلال قطف أغصان الورد إذا ظهرت في أطرافها الحمرة وتكب على آنية فخار وتثقل بالحجارة حتى لا يدخلها الهواء ومتى أراد الفلاح الورد رفع الآنية الفخارية فيتفتح الورد[3].

ويمكن قطف الورد في الخريف وذلك بأن يعطش الورد في أوت وسبتمبر ومتى أريد جنيه يسقي وينبعث ويظهر فيه الورد، وقد عمد الفلاحين الأندلسيين إلى تغيير لون الورد وذلك باستخدام الزعفران الطيب المسحوق ويقطر عليه قطرات من الماء حتى يسحق ويصبح عجينا ثم يسد به الخلل الموجود بين القشر وعروق الورد ويلف بالكتان ويعاد عليه الطين والتراب ويتوالى سقيه فيظهر الورد بالون الأصفر[4].

1- نفسه، ص 406.

2- **ابن العوام**: المصدر السابق، ص. ص 404-403.

3- **الطغنري(أبي عبد الله بن مالك الغرناطي):** ، زهرة البستان ونزهة الأذهان، تح: محمد مولود خلف الشهدانير، الدار الدولية الإستثمارات الثقافية، 2005م،ص 327.

4- **نفسه.**

9- تشكيل الثمار بأشكال مختلفة: قام الفلاحون بتشكيل الثمار بأشكال معينة من خلال وضع قوالب بأشكال مختلفة وتربط على ثمار الأشجار وهي صغيرة قبل أن تكبر وتترك تكبر ثم تأخذ الثمار شكل القالب[1].

10- دس الطيب والحلاوة في جميع أنواع الفواكه: كان الفلاحين الأندلسيين يدسون أنواع الطيب والحلاوة في الفواكه والبذور عند الغراسة، حيث يأخذ الفلاح ما يريد من أنواع الطيب المختلفة ويلقي معه مقدار وزنه من القير ومن الشب الأبيض المصفي المذاب ويخلط الكل جيدا ثم يشق القضيب الذي يراد دس فيه المادة ويفتح ويرفع المخ الذي في الداخل ويستبدل مكانه المادة المصنوعة ثم يربط ويطلي بالطين الأحمر ويلف بكتان[2]، ويدخل القضيب في قادوس مثقوب من الأسفل ثم يملأ القادوس بالطين الأبيض الطفلي[3] الطيب ثم يوضع القادوس في حفرة ويرد علي التراب ويراعي في السقي.

كان فلاحي الأندلس يدوسون الكافور في دالية الكروم وكان مائها يقطر والفلاحون يطيبون بها رؤوسهم لطيب رائحتها من الكافور الذي وضع في الدالية، ويدسون دواء مسهلا في العنب فيصبح ذلك العنب نافعا للسع الحيات والعقارب، كذلك ورق العنب أذا يبس ودس يصلح للسع الحشرات.

11- جني التفاح في غير وقته والكتابة على التفاح الأحمر: وذلك بترك شجرة التفاح تعطش طوال مدة الحر، ثم تسقي في أول أوت بالماء ويكرر عليها ذلك، فتأتى بالتفاح بغير وقته لاسيما إذا كان الخريف رطبا، وقد قام الأندلسيون بالكتابة على التفاح الأحمر وهو صغير بمداد الحبر

1- **ابن العوام الاشبيلي**: المصدر السابق، ص 645.

2- نفسه، ص 638.

3-الفيروز أبادي مجد الدين: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، أش، حمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، بيروت،2005م، ص 944.

ويترك حتى يجف وتحمر الثمرة فيغسل التفاح وتبقي أثر الكتابة أبيض أما باقي التفاح فلونه أحمر[1].

ب- الأدوات المستعملة في الزراعة في الأندلس.

استخدم الأندلسيون في ممارسة النشاط الزراعي العديد من المعدات والوسائل الزراعية التي تساعدهم في أداء أعمالهم الفلاحية أي هي نفس الوسائل التي استعملها المغاربة. ونجد من هذه الأدوات، **المحراث**، ويطلق عليه مصطلح الفدان[2] ، كما يطلق عليه اسم الآلة ويتألف من عمود تتصل به سكة من حديد وهي حادة من الجهة الأمامية وتزداد اتساعا من أجل قلب التربة بشكل جيد واستخدموا لجر المحاريث العديد من الحيوانات كالأبقار والثيران.

واستعملوا أيضا **الفأس** الذي يعد من بين الأدوات الضرورية لخدمة الأرض في الحفر لغرس الأشجار، وفي قليب التربة خاصة في الأماكن الضيقة،[3] كما استخدموا أيضا **المعول** وذلك من أجل نزع الأشواك الضارة بالنباتات، واستخدموا **المنجل** لحصد الزرع وهو آلة مسننة علي شكل هلال، [4]ومن الأدوات التي استعانوا بها في تصفية القمح والشعير **الغربال** والذي يصنع من جلود الحيوانات ويكون علي شكل دائري مع وجود ثقوب صغيرة وذلك وفق نوعية الحبوب التي يغربلونها.

ثالثا: طرق استثمار الأراضي الزراعية في بلاد المغرب والأندلس.

أ- استثمار الأراضي الزراعية في بلاد المغرب.

عمل المزارع المغربي علي استثمار الأراضي الزراعية، وذلك بالعديد من الطرق والوسائل ومن بين هذه الطرق التي عمل بها في استثمار الأراضي ن-*جد:

1- **ابن العوام الاشبيلي**: المصدر السابق، ص 638. أنظر أيضا: **الطغنري**: المصدر السابق، ص 267.

2- **لسات الدين ابن الخطيب**، الإحاطة في اخبار غرناطة، شركة الكتب العربية للطباعة والنشر، شارع باب الخلق، مصر،1319هـ، ص.ص.109-110.

3- الإشبيلي ، المصدر السابق ،ص.10.

4- ابن الحجاج: المقنع في الفلاحة، تح: صلاح جرار وجاسر ابو صفية، ند: عبد العزيز االدويري، مجمع اللغة العربية، الأردن ،1982م، ص64

- **المزارعة:** وهي عبارة عن عقد مبرم بين الطرفين وهما صاحب الأرض والمزارع وذلك من

أجل استغلال أراضي معينة وفق مدة زمنية محددة، ويتم استغلال هذه الأراضي وفق ما نصت عليه الوثيقة الموقعة بين الطرفين، إذ يأخذ بنصف ما تبذره من الحبوب والنصف الأخر حق المزارع، ويتولى المزارع جميع متطلبات الزرع، ويكون عقد مزارعة بين صاحب الأراضي والمزارع، إذ يذكر فيها أسماء الشركاء ويحدد فيها مساحة الأراضي وحدودها وإقرار صاحب الأرض من المزارع تسليمه للأراضي ومدة العقد.[1]

- **المغارسة:** عن المغارسة هي نوع من المعاملة على مؤونة الشجر والثمر والأراضي، وهي أن يدفع المالك أرضه إلى شخص آخر ليغرسها بنوع من أنواع الأشجار،[2] ويتضمن عقد المغارسة بين الطرفين تسمية الشركاء أي صاحب الأرض والمغارس[3].

- **المساقات:** هي نوع من المزارعة المتعلقة بغراسة الأشجار المثمرة دون سواها، وهي مشتقة من سقي النباتات أي ري الأراضي بجزء مما يخرج منها خاصة البساتين تحتاج مياه أكثر من المحاصيل إذ أن زراعة المحاصيل موسمية، أما الثمار فتروي طوال السنة وهناك زراعات لا يجوز فيها المساقات حسب الفقهاء مثل: قصب السكر، الموز، الجوز[4].

ب- طرق استثمار الأراضي الزراعية في الأندلس.

اهتم سكان الأندلس بالجانب الفلاحي اهتماما كبيرا، وقد خصوا للزراعة عناية فائقة لأهميتها الاقتصادية والاجتماعية، إلى جانب ملائمة الظروف الطبيعية لممارسة هذا النشاط،

---

[1]- **أبو القاسم بن أحمد البلوي (التونسي) البزرلي**، جامع مسائل ا لأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين و الحكام، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار االغرب الإسلامي، بيرو ت، 2002م، ص.427.

[2]-**البرزلي**، المصدر السابق، ج.3، ص.383.

3- **يحي أبو المعاطي محمد عباس**: الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس (238ه-488ه)(582م-1095م)، دراسة تاريخية مقارنة، رسالة دكتوراه، التاريخ الإسلامي، القاهرة، بيروت، 1412هـ-2000م، ص. ص 100.99.

4- **نفسه.**

كتوفر الأراضي الشائعة ذات التربة الخصبة الصالحة للزراعة ووفرة المياه، إضافة إلي الإمكانات البشرية ذات الخبرة في هذا المجال.

كان استغلال الأراضي الزراعية في الأندلس بنفس الطرق التي كانت معتمدة في البلاد الإسلامية الأخرى، حيث كان ملاك الأراضي منهم من زرع أرضه بنفسه ومنهم من استأجر أرضه ومنهم من أعطي أرضه لمن يقوم بزراعتها مقابل جزء من إنتاجها ويمكن إيضاح طرق استغلال الأراضي على النحو التالي:

- المزارعة: لقطعة الأرض التي يريد صاحب الأرض إعطائها للمزارع مع تبيين المكان الذي توجد فيه، كما يبين الطرفين مدة المزارعة تصل إلى أربع سنوات، كما يشترط أيضا في زراعة الأرض أن يساهم كلا الطرفين في عملية البذر وكل منهما يأخذ من الأرباح علي قد مساهمته في البذر[1].

- المغارسة: وتكون هذه الطريقة بعقد بين الطرفين، أي بين صاحب الأرض والمغارس الذي يريد أن يغرس الأشجار عند صاحب الأرض مقابل حصة معلومة من الأرض والشجر وتكون هذه الطريقة وفق شروط المغارسة تحديد عدد الأشجار التي يراد غرسها، وفق شروط أيضا أن الفلاح يبذل قصار جهده في نجاح العمل وعدم التفاني في ذلك.[2]

- المساقات: وهي أن يدفع صاحب الأرض المغروسة بالشجر الي آخر وهو الساقي والذي يسقي الشجر مقابل نصف ثمرة أو ثلث أو ربع ذلك بحسب الشروط المتفق عليها بين الطرفين ويقع على عاتق الفلاح في هذه العملية العناية بالثمار والعمل علي زيادة الإنتاج ومن بين شروط المساقات أن يأخذ كل طرف نصيبه من المحصول[3].

يتضح لنا من خلال هذه التقنيات فإن الأندلسيين لم يكتفوا بإجراء العمليات الزراعية التقليدية وإنما ابتكروا تقنيات زراعية جديدة مما يدل على إمكانياتهم العالية في ميدان عملهم،

1- **ابن العوام الاشبيلي**: المصدر السابق، ص 639.

2-**ابن العطار:** المصدر السابق ، ص .ص. 75-83.

3- **الطغنري**، المصدر السابق، ص 268.

فقد أدخلوا العديد من الخبرات الزراعية، وقد جاءت هذه الخبرات كنتيجة لإدخال العرب المسلمين العديد من المحاصيل الزراعية مثل الأرز وقصب السكر والقطن والقنب وغيرها، مما ساهم بشكل كبير في تطوير النشاط الزراعي لأهل الأندلس ومما أدى إلي تبلور المدرسة الفلاحية الأندلسية.

المحاضرة التاسعة

أنواع المزروعات في الغرب الإسلامي (بلاد المغرب والأندلس)

تعتبر النباتات المزروعة أكثر أنواع النباتات المتواجدة في المغرب الإسلامي والأندلس، وعلى سطح الأرض ككل، فهي كل نبات يتكاثر بالبذور وتنبت لها أزهار، وهي علي عدة أنواع كالقمح والفول والفجل والطماطم والجلبانة والزيتون وغيرها، حيث يحرث الفلاح الأرض، ثم ينذرها بأصناف متنوعة من البذور ويسقيها وينزع عنها الأعشاب، ومن النباتات المزروعة في بلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط نذكر ما تيسر من الخضر والغلال والنباتات الورقية.

أولا: أنواع المزروعات في بلاد المغرب الإسلامي.

اهتمت بلاد المغرب الإسلامي بالجانب الزراعي في جميع مناطقها التي توسعوا عليها، حيث شهدت تنوعا زراعيا كبيرا ساهم في تنوع محاصيلها الزراعية، ومن بين المزروعات التي كانت تزرع ببلاد المغرب الإسلامي نذكر ما تيسر منها:

1- الحبوب: اشتهرت بلاد المغرب بزراعة كل أنواع الحبوب من القمح والشعير والحنطة،[1] إضافة إلى العدس والجلبان والقطن والحمص والكرسنة والفول والترمس الذي يزرع في الأرض الرقيقة الضعيفة، والقمح يزرعونه في الأرض الطيبة السهلة.

أما الدخان فيزرعونه في الأرض الرملية بعد حرثها مرات، ويزرعون الذرة في القيعان الرطبة والرملية الندية ويزرعونه متأخر كالدخن، فهي تزرع سقيا وليس بعلا واهتموا أكثر بزراعة البيضاء والسوداء، ويزرعونها في أيار[2]، إضافة إلى زراعة السمسم في الأرض الرطبة كالجزائر ويزرع في الاستواء الربيعي، أما القطن فيزرع في القيعان في أيار بعد حرث الأرض

---

[1]- **عبد العزيز عبد الرشيد:** زراعة الحبوب بالمغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة ماجستير، إشراف لطيفة بن عميرة، جامعة الجزائر 2، 2012م، ص43-44.

2- **شباب عبد الكريم:** النشاط الزراعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين 7و8 ه، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 3، المجلد 8، 2016م، ص 154.

مرات كثيرة كي ترتخي وكلما زادت حراثتها قبل بذره كان أجود، ويزرعون الجلبان وقت الفول وتزرع في شباط وفي كانون الأول ويخلطونه بزرق الحمام لكي يسرع ذلك في الإنبات والنضج، ويبكرون بزراعة الكتان، كذلك الحنطة يزرعونها في موسم الشتاء مع ريح الجنوب فيكون الموسم أجود مع حب كثير[1].

عمل فلاحو بلاد المغرب على زراعة الحمص بأنواعه الأبيض والأحمر والأسود، وكانوا ينقعونه لكي يكبر ويجود وذلك يتم قبل زراعته بيوم في ماء ساخن، ثم يزرع في أرض ندية[2].

كما اهتم فلاحوا بلاد المغرب بزراعة الفول بأنواعه البجائي الأسود الغليظ والمصري الأحمر الغليظ والشامي الأبيض الغليظ، كما اهتموا أيضا بزراعة العدس سقيا وبعلا، ويعملون على دلكه بروث البقر قبل زرعه فذلك يسرع في إنباته ويعظم في إنتاجه، إضافة إلي زراعة اللوبيا المعروفة بالمغرب فيزرعونها سقيا في آذار ونيسان فهي لا تزبل ولا تسقي حتى تنبت وقد يزرعونها في السنة مرتين مرة في الربيع والصيف، وان زرعوها في الصيف فهي تنمو بسرعة وحبها يكون ألطف[3].

كذلك اهتموا بزراعة الزعفران والكمون والكزبرة، فهي يزرعونها فعلا في الفصول كلها ويعملون على تكثير تزبيلها في البرد الشديد، هذا إضافة إلى زراعة اللفت بأنواعه فمنه الرومي الطويل والمدحرج والمدور الشامي والأبيض المصري، فيزرعونه مرتين في السنة في فصل الربيع وفي فصل الصيف، ويزرع سقيا وبعلا في أول أيلول حتى أول تشرين الثاني[4].

1- **علي دش، بلال فنيقي**: طرائق الزراعة في بلاد الأندلس والمغرب خلال الأربعة الأولى من الفترة الإسلامية، رسالة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2017م- 2016م، ص 42.

2- **ابن حوقل**: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996م، ص 77.

3- **شباب عبد الكريم**، المرجع السابق، ص 155.

4- **علي دش بلال فنيقي**: المرجع السابق، ص 44.

2: الخضر: أما الخضر فيشتد الطلب عليها في الحواضر والمدن فنجد زراعتها تتمركز بكثرة في الحواضر حيث تتوفر التربة والمياه العذبة والمناخ الملائم كتيهرت، فاهتموا بزراعة البقول والمقائى فمنها الجزر الذي تتم زراعته في أب حتى أيلول فهو ينبت في الربيع والبرد ولا يوافقه الحر، كما عمل فلاحوا بلاد المغرب على زراعة الفجل في العام مرتين، في أول نيسان حتى أخر أيلول، فهو يحب الرياح الباردة والبرد والأمطار الغزيرة فشدة البرد لا تحرقه، أما عن طريقة زرعه فيزرعونه نثرا وغرسا، كذلك عملوا على زراعة البصل في أول نيسان حتى أخر أيار وذلك يكون في أرض خصبة مزبلة، كما اهتموا بزراعة الثوم والخيار والقرع، وزراعة الباذنجان بأنواعه والقرنبيط والكرنب والخس والسلق والملوخية[1].

3: النباتات البرية والرياحين والأعشاب الطيبة: كما عملت بلاد المغرب بزراعة النباتات البرية والرياحين والأعشاب الطيبة، حيث اشتهرت بجودة أعشابها إذ تميزت بزراعة النباتات الطيبة كالقرطمان بتونس، وسطفورة بباجة، وزراعة الهيليين والصعتر والرياحين والورود والياسمين والنرجس والنيلوفرا الأصفر والترنجان والمنثور والبنفسج والزعفران والنمام والجرجير والبسباس والحبق بأنواعه، والسوس بأنواعه الأربعة الأبيض والأسود والأزرق والأصفر، واهتموا أيضا بزراعة البهار والبابونج والأقحوان، والخزامي فهو على شكل نبات يحمل وردا مفرق الورق بنفسجي اللون إضافة إلى الخضمي فهو ورد يزرعونه للزينة والنعناع بأنواعه البري والبستاني والنيل والزنجبيل وغيرها[2].

4: الفواكه: أما الفواكه فهي من المزروعات المهمة أيضا بالنسبة لسكان بلاد المغرب الإسلامي فنجد زراعتها بكثرة في المغرب الأوسط في تنس ومعسكر وسطيف وملیانة والمسيلة والشلف[3] ، حيث اهتمت بلاد المغرب بزراعة الزيتون والعنب الأسود والأبيض بحيث عرفت تونس

1- **ابن حوقل:** المصدر السابق، ص77.

2- **عبد الغني النابلسي:** علم الملاحة في علم الفلاحة، قراءة وتعليق: يحي مراد، 1143ه، ب ط، ص ص 76.74

3- **ابن حوقل:** المصدر السابق، ص 77.

والجزيرة القبلية وبونة بكرومها في العصر الوسيط، وزراعة التين بأصنافه الكثيرة، إضافة إلى زراعة التفاح بأنواعه والوز والسفرجل والتوت والرمان كذلك بأنواعه والمشمش والبرقوق والأجاص أو العين والبرتقال والخوخ والليمون[1].

كما كان لمكناسة أهمية كبيرة في الزراعة الشجرية، خاصة أشجار التفاح والإجاص والسفرجل والجوز، والتين بكل أنواعه والزيتون والرمان، مما أكسب المدينة أهمية كبيرة على مر العصور، وأهلتها الشروط المناخية لتكون مدينة المغرب الفلاحية، وقد أكد ذلك أوصاف الرحالة والجغرافيين.

واشتهرت كذلك الرباط بزراعة القطن والقمح، والذي هو من أهم المحاصيل الزراعية التي كانت تزرع في المنطقة المحيطة برباط الفتح وسلا، كما يزرع القطن والكتان غرب مدينة فاس في مساحات واسعة في الحقول والسهوب والهضاب المجاورة للمدينة وكونت حزاما حولها، وهذا التوسع في مثل هذه الزراعات كانت نتيجة طبيعية لجودة التربة وإمكانيات السقي الهائلة، ويمكن القول أيضا أن منطقة المغرب الأقصى قد شهدت فترة من الازدهار في زراعة الفاكهة بأنواعها على عهد الموحدين عكس فترة المرابطين لاهتمام ولاة الأمر بذلك حيث أكثروا في زراعة الأشجار المثمرة[2]،

مما سبق نجد أن فلاحوا بلاد المغرب الإسلامي اهتموا بالزريعة والبذور الجيدة ولهذا سعوا إلى البحث عن أجود وأسمن البذور وتحاشي الرقيق والهزيل منها، وعمدوا البحث عنها في شتي الأقطار لجلبها وزراعتها، وعملت علي فلاحة أرضها بالقمح والشعير والحبوب والفواكه بأنواعها والخضر بأنواعها، فتعتبر الزراعة أهم نشاط يمارسه أهل الأرياف باعتبار

الريف هو الرئة الاقتصادية للمدينة في المجال الفلاحي بصفة عامة والزراعي بصفة خاصة.

1- **حسين حافظ علوي**: الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، عكاظ ، أل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، 2011م، ص282 .

2- **إبراهيم القادري بوتشيش**: تطور الفلاحة في مكناس، في مجلة المناهل، العدد 38، س 15، وزارة الشؤون الثقافية، المغرب، 1989 م، ص 208.207.

ثانيا: أنواع المزروعات في بلاد الأندلس.

عرفت الأندلس بضخامة إنتاجها الزراعي وتنوع محاصيلها مع اختلاف إنتاجها في مختلف المدن الأندلسية، وذلك راجع للضر وف الطبيعية الجغرافية التي ساعدت في تطورها، فقد ولوا اهتماما كبيرا للزراعة إذ ساعدهم في ذلك امتلاك المهارات في الفلاحة وخبرتهم في الأرض مما أدي إلى تطور الزراعة وتنوع المزروعات[1]، ومن بين أهم المزروعات التي اشتهرت بها بلاد الأندلس نذكر:

1- الحبوب: فقد كانت الحبوب بمختلف أنواعها هي التي شكلت المادة الغذائية الأساسية لمختلف المجتمعات، حيث خصصوا لها مساحات شاسعة وواسعة لزراعتها، إذ عرفت الأندلس زراعة أنواع كثيرة من الحبوب كالقمح والشعير والذرة والبقول والأرز وغيرها من الحبوب[2]، ومن هذه الحبوب نذكر:

- القمح: يعد من المحاصيل الزراعية التي شغلت مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية، وقد اهتم الأندلسيون بزراعته كونه الغذاء الرئيسي، وكان الفلاحون يخزنونه بكثرة[3]، حيث نجد غرناطة توفرت فيها شروط زراعة القمح من خصوبة التربة ووفرة المياه، فقد وصفها **ابن الخطيب** بقوله:**" بحر من بحور الحنطة ومعدن الحبوب المفضلة".**

كما انتشرت زراعة القمح في شرق الأندلس في مرسية ولورقة وقرطبة وطليطلة

1- **عصمت عبد الطيف دنش**: الأندلس في نهاية المرابطين والموحدين، ب ط، الشركة المصرية للطباعة والنشر، الإسكندرية، ب ت، ص ص. 165.164

2- **عفاف بوطة وفتيحة شوشاني عبيدي**: الزراعة في الأندلس خلال فترة ملوك الطوائف والمرابطين من بداية القرن 5ه إلى النصف الأول من القرن 6ه، رسالة ليسانس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الوادي، 2011م-2012م، ص 77.

3- **عبد العزيز حاج كوله**: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الأندلس من خلال نوازل فقهية في القرنين 5-6ه، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2009م، ص 126.

وغرناطة كما كثر إنتاجه في منطقة جيان، وأجود الأراضي الزراعية هي الأراضي المسوية، ويزرع القمح في الأندلس في شهري أكتوبر وديسمبر، ويحصد غالبا في جوان وجويلية أو بعد مرور أربعين يوما من زراعته، ويحصد في كل من ملقة ومرسية وشدونة في أوائل شهر مايو[1]، كما نجحت زراعته في المناطق الجبلية كون أرضها وترابها حال بين صلابة الحجر ورخاوة التراب[2]، وتصلح الرياح الشرقية في إنجاح زراعة القمح لهذا تفضل زراعته في أيار.

ويزرع في أقاليم مختلفة كإقليم المدور والقصب ولورة وبني مرة والصدق والقتل وغيرها، وتتركز مناطق زراعته في بلنسية في مدينة شبرت[3]، وبرشلونة فهي ككثيرة الحنطة والحبوب، كذلك يزرع في مدينة مرسية في تشقير، ويزرع أيضا في أريولة وذلك لجودة أرضها ولهذا لا يحتاج لعناية كبيرة في زراعته، وتجود زراعته في مدينة طليطلة، وتنتشر زراعته أيضا في مدينة مالقة ومدينة يابورة وذلك لخصوبة تربتها، كذلك تزرع في حصن بيانة ويكثر في قرمونة.

- الشعير: يزرع الشعير في الأراضي المالحة، ومن مميزاته يصبر على العطش أكثر من الحنطة، وإذا زرع في الأراضي المالحة سنة بعد سنة لقط ملوحتها وأخرجها عنها كذلك يفعل بالأرض العرقة، كذلك تنجح زراعته في الأراضي المتوسطة الطيبة، فهو لا يذهب بدسم الأرض ورطوبتها، وإذا أراد الحفاظ علي التربة بعد زراعتها يزرع فيها الشعير، ويزرع في شهر نوفمبر وديسمبر ويحصد بعد مرور أربعين يوما من زراعته، وتنتشر زراعته في كافة أقاليم الأندلس كمدينة شنترة وأبذة وجيان ومنطقة سهيل والبيرة والمرية ولشبونة وحصن بيانة وقرمونة وغرناطة[4].

1- **كمال أبو السيد مصطفي:** المرجع السابق، ص 119.

2- **ابن وحشية:** المصدر السابق، ص 408.

3- **ابن الغالب محمد أيوب الغرناطي الأندلسي**: المصدر السابق، ص 285.

4- **عفاف بوطة وفتيحة شوشاني عبيدي:** المرجع السابق، ص ص 80.79.78.

- الأرز: أصله من مصر، يعتبر من المحاصيل الزراعية التي ادخلها العرب إلي الأندلس، ويزرع في القيعان الرطبة بعد إصلاحها، وهذا يعني أنه يحتاج لكميات كبيرة من الماء في زراعته إما بالمطر أو السقي الدائم تتركز زراعته في غرناطة[1]، وبلنسية ودانية واشبيلية ومالقة، ويزرع في شهر أفريل ويحصد في سبتمبر.

- البقول: اشتهرت الأندلس بزراعة أنواع شتي من البقول كالفول واللوبيا والعدس وغيرها، حيث ينموا الحمص في الأراضي الدريشاء ويزرع في شهري فيفري ومارس، كما تنتشر زراعته في سرقسطة، والفول يزرع في التربة الرطبة، وزراعته تبدأ في شهر أكتوبر ونوفمبر، ويحصد في مالقة وشذونة في شهر مايو[2]، وقد عرف الأندلسيون أنواع أخري من الحبوب ووجدوا طرقا لزراعتها وإنباتها في ظروف معينة كالجلبانة والسمسم وغيرها.

- الزيتون: يعتبر من أهم المزروعات التي تم نقلها إلى الأندلس، حيث تركزت زراعته في معظم المدن الأندلسية حيث عرفت غرناطة بكثرة زراعتها لأشجار الزيتون، ولا كن اشبيلية تفوقت عليها خاصة في إقليم الشرق الذي يعرف بإنتاجه الكثير فوجه إلى التصدير وهذا راجع لا محال لكثرة زراعة الزيتون[3].و يزرع الزيتون في منتصف شهر تشرين الثاني وأخره اليوم العشرين من كانون الأول، وتنجح زراعته في التربة الرقيقة الفاترة البرد السليمة من كثرة الأنداء، ولا يضره عدم السقي فهو يتحمل قلة الماء ويزرع بأشكال مختلفة منها ما يزرع بالأوتاد ومنها ما يزرع بالنوى[4]، ووقت حصاده يكون أواخر ديسمبر وبداية شهر جانفي. ونظرا لفوائده العظيمة والكثيرة شجع الحكام الفلاحين علي زيادة زراعته، وقد زرع في أغلب مدن الأندلس

1- **ابن وحشية**: المصدر السابق، ص487.

2- **عفاف بوطة وفتيحة شوشاني عبيدي:** المرجع السابق، ص ص 80.

3- **البرزلي**: المصدر السابق، ص 511.

4- **ابن فضل الله العمري أحمد بن يحي**: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار في الحيوان والنبات والمعادن، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان ط2، مكتبة مدبولي، 1996م، ص 207.

حيث اشتهرت مدينة اشبيلية بزراعته بكثرة، كذلك يزرع في حصن بلشانة، فضلا عن زراعته في أستجة نفسها وطليطلة وقرطبة التي أحدقت بها أشجار الزيتون، إضافة إلى قسطلة وغرناطة وبلنسية حيث جميع أقاليمها مزروعة بأشجار الزيتون خاصة مدينة دانية[1]، والتي سنتطرق لها بالتفصيل في الإنتاج الزراعي.

- **الذرة**: تزرع الذرة سقيا في شهر أيار ولا تسقي في بداية زراعتها، وإذا زرعت بعلا فذلك يكون في شهر آذار، وتحتاج إلى ماء كبير ومتتابع في زراعتها وتنجح زراعتها في جميع الأراضي إلا الأرض المفرطة الفساد[2].

- الحمص: يفضل الفلاحون الأندلسيون زراعة الحمص بقشوره حيث يكون أجود وإذا أريد أن يكون أكبر في الحجم ينقعونه في الماء الدافئ قبل يوم من زراعته، وإذا زرع في وقت مبكر فيكون ذلك في شهر شباط والمتأخر من شهر آذار ويحتاج لماء كثير لتنجح زراعته، وتنتشر زراعته في مدينة سرقسطة.

- قصب السكر: أما قصب السكر فكان يزرع بكثرة في الجهة الشرقية من اشبيلية، وجاءت زراعته في سواحل الأندلس بصفة عامة هو والموز المعدومان في الأقاليم الباردة، وزرع بكثرة في منطقة البيرة، كما اهتم الفلاحون الأندلسيون كثيرا في زراعة قصب السكر الذي أدخله المسلمون القادمون من المشرق اشتهرت مدينة الميرية[3].

2- الفواكه: عملت بلاد الأندلس على زراعة أنواع مختلفة ومتنوعة من الفواكه، فهي من المزروعات المهمة في البلاد الأندلسية، إذ لها محاصيل زراعية وافرة وكثيرة الانتشار حيث

انتشرت في مختلف مدن وأرياف الأندلس، ومن بين هذه المزروعات نذكر:

1- **ابن الغالب محمد أيوب الغرناطي الأندلسي**، المصدر السابق، ص 275.

2- **ابن وحشية:** المصدر السابق، ص 487.

3- **لسان الدين أبن الخطيب**: المصدر السابق، ص 89.

- الكروم: نقل العرب زراعة الكروم إلى الأندلس، وقد كان للعنب عدة أنواع فهناك نوع يزرع في التربة الطينية ونوع أخر يزرع في التربة الرملية[1]، ويفضل زراعة كل نوع على حدة وليس في حقل واحد، فهي تتفاوت في نضجها منها ما ينضج في وقت مبكر ومنها ما يتأخر فلا يستقيم جميعها في أن واحد. فمن العنب الصحراوي الذي تنجح زراعته في الأرض الرملية، ومنه الأسود والأحمر والأبيض، ومنه العنب المخردل، ومنه العنب الثقيل الذي لا يعقد سريعا، وتختلف أوقات زراعته حسب طبيعة الأرض ففي الأرض السهلية يزرع في آذار، وفي الأرض الندية يزرع بعد ذلك، وفي الأرض المالحة يزرع بعد القطف. ويزرع إما على شكل نواة أو على شكل قضبان، وتعمر شجرة العنب مئة وخمسين عاما، أما عن زراعته في الأندلس فإنه يزرع في مناطق عديدة وبكثرة كأشبيلية المزروعة بالأعناب[2]، كذلك تتركز زراعته في مدينة شنت مارية وقورية[3].

- التين: تميز التين بأنواعه الكثيرة، حيث بلغ عدد أنواعه ستين نوعا، ويزرع في الأندلس خلال فصلي الربيع والخريف، والتربة الملائمة له هي التربة الحرشة، وتندر زراعته في ضفاف الأنهار، ومن أهم المناطق المشهورة لزراعة التين نجد مدينة مالقة التي اختصت بزراعته، ويوجد أيضا في سرقسطة[4].

كما نجد أيضا إنتاج التفاح، ومن أشهر المناطق إنتاجا للتفاح نجد شنترة بغرب الأندلس وشقة ولشبونة وسرقسطة، كما نجد العديد من الفواكه الأخرى التي اشتهرت بها الأندلس

1- **الإدريسي الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز**: المصدر السابق، ص 547.

2- **الحجي عبد الرحمان علي**: الحضارة الإسلامية في الأندلس، أسسها، ميادينها وتأثيرها على الحضارة الأوروبية، دار الإرشاد للطباعة، بيروت، 1969م، ص 60.

3- **الإدريسي الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز**: المصدر السابق، ص 547.

4- **المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني**: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفي البقا وآخرون ، ج1، ج2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939م، ص 197.

والموز و الرمان[1]، الخوخ والمشمش والذي يطلق عليه مصطلح البرقوق، ، فالمشمش يعمر مائة عام[2]، والخوخ يعمر أربع إلي ست سنين[3].أما التوت فقد نقله العرب إلي الأندلس ، ويعمر مائتي عام[4].

أما بالنسبة للتمور فإن أول من أدخل زراعة النخيل إلي البلاد الأندلسية الأمير عبد الرحمان الداخل إلي الأندلس، وتنجح زراعته في البلاد الحارة وتناسبه الأرض السبخة المالحة، ويزرع في كانون الثاني، أما عن زراعته فيكون علي شكل النواة أو الفسيلة، ويعمر مدة خمسمائة عام و لاعتباره الغذاء المفضل للعرب عملوا علي نقل زراعته للأندلس[5].

3- أنواع أخري: زرعت في الأندلس أنواعا أخري من المزروعات فضلا عما ذكرناه سابقا، فقد اهتمت أيضا بزراعة السفرجل في بلاد تدمير، وزراعة الجوز واللوز والفستق والقطن والليمون والكمثري وغيرها.

4- الخضر: حرصت الأندلس على زراعة كل أنواع الخضر كزراعة الثوم والكراث وحب الزلم الباذنجان وغيرها والتي سنذكر ما تيسر منها:

- الجزر: يزرعون الجزر في أب إلي أول أيلول، وهو من البقول التي تأتي في البرد والربيع، حيث لا يوافقه الحر، كونه يفسخ وتشتد حرارته، ويزرع في الأرض الرخوة الرملية والسوداء المحلولة، ولا توافقه الأرض الحرشاء الغليظة، لأنه في الأرض الحرشاء يتشعب وفي الغليظة يصعب قلعه، ويسقي بالماء العذب حتى يعتدل نباته .

1- **بيداء محمود حسن:** المرجع السابق، ص ص 156.155.154.

2- **ابن بصال**: المصدر السابق، ص 68.

3- **ابن وحشية**: المصدر السابق، ص 187.

4- **بيداء محمود حسن:** المرجع السابق، ص 163.

5- **ابن بصال**: المصدر السابق، ص 185.

- الفجل: يزرعونه مرة أو مرتين في السنة من الاعتدال الربيعي إلي الانقلاب الصيفي ، وهي من البقول التي يستمر أكلها في البرد والربيع ويزرع في الأرض الرطبة ويسقي بالماء العذب، ويزبل ويزرع في الأحواض، وينقعون بذر الفجل لثلاثين يوما قبل زراعته في الماء والعسل أو في عصير حلو ثم يزرع في حينه فيحلو طعمه.

- البصل: يزرعون البصل بأنواعه المختلفة منه الأحمر المستدير والأبيض ومنه المستطيل، وهو يجود في الأرض الحمراء، ويزرع في أول نيسان إلى أخر أيار، كذلك توافقه الأرض السوداء المدمنة والرخوة[1].

5- النباتات العطرية و الأفاوية : اهتم الأندلسيين بزراعة النباتات العطرية في مناطق عديدة في الأندلس حيث يوجد المسك في واد بجانة، أما الأفاوية فأفضل أنواعها المحلي الموجود في جبل المنتلون الذي لا يوجد مثله ولا ينبت مثله في الأرض إلا بالهند والأندلس[2]، ولم تقتصر الزراعة في الأندلس علي الحبوب والخضروات والفواكه فقط بل تعدي ذلك إلي زراعة الزهور والنباتات العطرية ونباتات الزينة واستخراج العطور منها كالنرجس والياسمين والخيري، كذلك اهتموا بزراعة النباتات والأعشاب الطيبة واستخدموها خاصة للعلاج[3].

ومما سبق فإن الأندلسيون نقلوا محاصيل زراعية جديدة جلبوها من المشرق فلم تكن معروفة في الأندلس كالنخل والرمان وقصب السكر والليمون وغيرها، وعملوا علي تحسين الأنواع الموجودة فيها من النباتات، وهذا يدل على تأثر الأندلس بالمشرق العربي وفضله على الأندلس.

1- **ابن العوام الأشبيلي**: المصدر السابق، ص 219. ص.377.

2- **ابن الغالب محمد أيوب الغرناطي الأندلسي**، المصدر السابق، ص 308.

3- **ابن العوام الأشبيلي**: المصدر السابق، ص 230.

المحاضرة العاشرة

الإنتاج الزراعي في الغرب الإسلامي

إن للزراعة أهمية كبيرة في النشاط الفلاحي، حيث تقوم عليها مختلف الأنشطة الفلاحية، حيث يعد القطاع الزراعي قطاعا حيويا هاما له مكانة هامة في النشاط الاقتصادي، وذلك لما يوفره من محاصيل زراعية وافرة الإنتاج ذات أصل نباتي، وقد زخرت كل من بلاد المغرب الإسلامي والأندلس بتعدد وتنوع واختلاف إنتاجها في المحاصيل الزراعية ومكنها ذلك من تكوين قوة في القطاع الاقتصادي، وذلك لاهتمامهم بالجانب الزراعي في مختلف المناطق التي توسعوا عليها ومن أهم المنتجات والمحاصيل الزراعية التي شاهدتها كلا البلدين نجد.

أولا: الإنتاج الزراعي في بلاد المغرب الإسلامي.

يعد الإنتاج الزراعي أهم قوة اقتصادية، حيث شهدت بلاد المغرب توسعا زراعيا كبيرا في كثرة المحاصيل وتنوعها، وذلك يعود لتوسع أراضي الدولة وتنوع مناخها، وهذه القوة الاقتصادية كانت تزخر بها بلاد المغرب، فقد وفرت لنا كتب الجغرافيين والرحالة مجموعة من الإشارات التي يمكن من خلالها التعرف علي أهم المحاصيل الزراعية الأكثر إنتاجا بلاد المغرب[1]، ففي المغرب الأقصى شهدت البلاد توسعا زراعيا كبيرا تميز بكثرة المحاصيل وتنوعها، بل وقد شهدت كل ربوع بلاد المغرب خلال القرن السادس هجري ازدهارا زراعيا خاصة خلال عهدي الخليفتين **أبي يعقوب و المنصور** بالمغرب الأقصى والمغرب الأوسط والمغرب الأدنى خلال لحظات الهدوء التي نعمت بها بلاد المغرب من أثر القلائل والفتن السياسية[2].

1- **عبد العزيز عبد الرشيد:** زراعة الحبوب بالمغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2012م، ص 43 ص44 .

2- **ليلي أحمد النجار**: المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي _ دراسة تاريخية وحضارية (580ه _595ه- 1184م _1198م)، رسالة دكتوراه، التاريخ الإسلامي، المملكة العربية السعودية، 1409ه- 1989م، ص 430.

كما ذكر لنا صاحب **الاستبصار** عن طنجة:" .....أرضها تحمل الزرع دون حرث ....كلها أصناف الفواكه الطيبة العجيبة دون غراسه ...."[1]، كما اهتمت الدولة بمراقبة أحوال الزراعة وعملت علي تقديم النصائح العملية للزراعة[2].

كما اهتم سكان بلاد المغرب بالمحاصيل الزراعية وعملوا على تنويعها، حيث أن السياسة الزراعية التي اتبعوها، خاصة عبد المؤمن عندما قسم الأراضي إلى فراسخ وأميال وألزم أهل الأراضي بخدمتها، والاعتماد على طرق عدة للري هذا كله ساهم في جعل الإنتاج الزراعي متنوع، عموما تنوع الإنتاج بالمنطقة يعود إلي نوعية التربة وكمية الأمطار، حيث نجد غني هذه البلاد في جهتها الغربية بأنواع الأشجار المثمرة كمدينة مراكش التي اشتهرت ببساتينها حيث أن أكثر شجرها الزيتون وزيتونيها أكثر من زيوت مكناسة وزيتها أرخص وأطيب[3].

كما تمتعت مدينة فاس بتربتها الخصبة واعتدال مناخها وانقسام سطحها حتى وصفت علي أنها مخضرة وكثيرة الزرع والحرث فكان من اختصاصها بجميع الفواكه وأصنافها، وأنواع الخضر، والبقالي، على اختلافها وسائر نوار الأرض وأزهارها، كما وجد بغرب المدينة حقول واسعة بها كميات كبيرة من الخضر والبقول، بسبب تعدد السواقي، وكثرة العيون فيها، كما كان رائجا بهذه البلاد غراسة الزيتون.

كذلك كان لمكناسة أهمية كبيرة في الإنتاج الزراعي خاصة في أشجار الفواكه كالتفاح والأجاص، والسفرجل، والجوز والتين بكل أنواعه والزيتون، والرمان، مما أكسب المدينة أهمية كبيرة على مر العصور مما أهلها لتكون مدينة المغرب الفلاحية[4].

1- **الحسن السائح:** الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط2، 1986م، ص 243.

2- **صالح بن قربة:** عبد المؤمن علي موحد بلاد المغرب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985م، ص 84.

3- **محمد رابطة الدين**: مراكش زمن حكم الموحدين- جوانب من تاريخ المجال والإنسان، ج1، المطبعة والوراقة الوطنية، المغرب، ط2، 2016م، ص ص 210.211.

4- **إبراهيم القادري بوتشيش**: تطور الفلاحة في مكناس، في مجلة المناهل، العدد 38، وزارة الشؤون الثقافية، المغرب، 1989م، ص ص 207.208.

كما اشتهرت الرباط بمحاصيلها الزراعية من القطن والقمح، كذلك انتشار القطن والكتان غرب مدينة فاس في مساحات واسعة في الحقول والسهول والهضاب، ويمكن القول أيضا أن منطقة المغرب الأقصى شهدت فترة من الازدهار في المحاصيل الزراعية خاصة الفواكه بأنواعها.

أما البلاد الشرقية فنجد أنها كانت كلها مناطق زراعية مزدهرة، فغابة قفصة كانت تحوي الكثير من أشجار الفواكه كالتفاح والرمان، والبرتقال، والفستق، وأزهار الياسمين والفاردين، والنرجس والكرمة وغيرها، كما اشتهرت مناطق المغرب الأدنى كبلاد الجريد بكثرة تمورها وفواكهها، واشتهرت خاصة بالنخيل[1].

وقد شهدت مدن المغرب الأوسط إنتاج وفي للقمح والشعير، حيث نجد مدينة بونة كانت غنية بالقمح والشعير في مختلف فصولها[2]،كذلك نجد الإنتاج الزراعي في المغرب الأقصى كان واسعا ومزدهر خاصة في إنتاج الحبوب إذ نجد القمح والشعير من بين المحاصيل التي تزرع في طنجة وفاس وسجلماسة، ومدينة السوس الأقصى تنتج كما هائلا من القمح والشعير إضافة إلى مراكش وأغمات.

كذلك نجد انتشاره في مناطق عدة كقرى مدن بونة وطنجة، وبجاية، ومرسي الدجاج وتاهرت وبرشك ووهران وقري باجة، وفي البصرة وكرت، وحول مدينة أنيفي وإقليم تادلا ومنطقة أزكان، وفاس وقري مليلة وكذلك في السوس الأقصى، إضافة إلي القمح كان الشعير من المحاصيل الرئيسية التي يعيش عليها سكان بلاد المغرب حيث نجد أماكن انتشاره متعددة منها، قري طرابلس، وقري وبوادي جبل نفوسة، والفحوص المحيطة بطنبة ووهران، وبوادي المغرب الأقصى مثل مليلة والبصرة، وقري السوس وحول بوادي فاس، ووادي سجلماسة[3].

1- **ليلي أحمد النجار**: المرجع السابق، ص ص 433.434.

2- **ابن حوقل**: المصدر السابق، ص 77.

3- **حسن الوزان**: المصدر السابق، ص 115.

كانت الذرة أقل انتشارا من القمح والذرة، ومن مناطق انتشارها نذكر، قرى ومدن ودان وزويلة وسجلماسة، وهسكورة، كما كان هناك حبوب أخري قليلة الانتشار مثل الأرز والدخن في سجلماسة، كما نجد القطن الذي عرفته قري وبوادي المغرب مع دخول المسلمين، وكان متواجد في المناطق المنخفضة الدافئة، حيث تركز في ضواحي أجدابية وقرطاجنة وطنجة، والمسيلة، وكذلك قري وبوادي مدينة مستغانم، وقري مدينة البصرة وبادية فاس، وكانت البصرة تصدر منه لمعظم بلدان المغرب، وكثر في جهات مدينة كرت بالقرب من طنجة، وفي معظم المنطقة التي يرويها نهر الشلف.

نال الكتان اهتمام الفلاحين المغاربة كونه لباس معظم الفلاحين والفقراء، واشتهر في مناطق البصرة حتى أنها لقبت ببصرة الكتان، كما وجد في قري تاهرت على واد الشلف. وظلت مدينة باجة، تتميز عن كل المدن بالقمح حيث كانت تطعم سكان البلاد جميعا من عرب وبربر، وكانت المحاصيل الزراعية بها رخيصة الثمن، وكذلك القل ذات الأرض السوداء الصالحة لزراعة جميع المحاصيل من حبوب وبقول وفول، وكذلك بجاية والجزائر وبني مزغنة كانت للقمح والشعير والزيتون، وأشجار الفاكهة، والكروم والتوت، وفي جيجل نجد الأعناب والتفاح[1]. ومدينة تونس التي اعتبرها صاحب الاستبصار أشرف مدن إفريقية وأطيبها ثمرة وأنفسها فاكهة، إذ تحوي الرمان والسفرجل والتين وجميع الفواكه، فلا يوجد لها نظير، كما تميزت طرابلس بكثرة الفواكه والبساتين في شرقها، كما تميزت قابس بالموز، وصفاقس بالزيتون والزيت[2].

وانتشر الزيتون بكثرة في بلاد المغرب الإسلامي، فهو مصدر ثراء أهلها وهو علي نوعان البري الذي ينبت في الجبال، والبستاني الذي يكون أكبر حبا وأوفر زيتا وفيه أصناف من الطويل الثمرة والمدور، ومن مناطقه نذكر قصور مسراته حيث امتد اثني عشرة ميلا، وفي برقة وجبل نفوسة، كما تعد قري صفاقص من أكثر بلاد المغرب زراعة وإنتاجا للزيتون، حتى أنه صدر منها لمصر وصقلية، كما يكثر بقري قابس وبجوار القيروان وقري الساحل التي انتشرت بها زراعته، كذلك يتواجد بالقرى المجاورة لتونس، كما يكثر في كل من بسكرة وفاس وبلاد الريف،

1- **ليلي أحمد النجار**: المرجع السابق، ص 433.

2- **يحي أبو المعاطي محمد عباس**: المرجع السابق، ص 4.

وجبل زرهون، وإقليم هسكورة وبلاد المصامدة. ونجد كثرة قصب السكر في قري وبوادي مدينة جلولا، وكثر في قري مدين قابس، واشتهرت به كذلك بلاد السوس في القرى والمدن، فمدينة تارودان هي أكبر بلاد الله قصب السكر، وفيها معاصر السكر كثيرة، ومنها يجلب السكر إلي جميع بلاد المغرب والأندلس وافريقية، كذلك يزرع في مدينة إيجلي وبلاد دكالة لكثرة الأنهار فيها.

يعد النخيل من أكثر الأشجار انتشارا بالمغرب، فأغلب القرى والبوادي والمدن تحيط بها أشجار النخيل، غذ نجده منتشرا في واحات إقليمي برقة وطرابلس والمناطق الوسطي من جبل نفوسة، وعلى الطريق من نفوسة إلى زويلة، وجهات غدامس وزويلة، وبقري ودان الذين يعتمدون علي النخيل في معيشتهم، كما أن بلاد الجريد عرفت بهذا الاسم لكثرة نخيلها، ونجده أيضا ناحية المغرب الأقصى بأحواز مدينة إيجلي قاعدة بلاد السوس، وقري مدينة ماسة، وحول نهر درعة وسجلماسة[1].

كما تعتبر الفواكه من أهم المنتوجات الفلاحية فهي كثيرة ومتنوعة في بلاد المغرب، إذ نجد أهم هذه الفواكه التين الذي كان موجودا بكثرة خاصة في منطقة جزائر بني مزغنة، كما نجد فاكهة السفرجل المتواجدة في العديد من المناطق في المغرب خاصة في مدينة شرشال، حيث يصفها **ابنحوقل** بقوله**:"...بها سفرجل معنق كقرع الصخار وهو ظريف"** ، كما وجدت أيضا بتيهرت[2].

كما امتاز المغرب الأقصى ببساتين الفواكه، حيث نجد مدينة نكورة غنية بالتفاح والكمثري، وتواجد العنب والكمثري بمدينة طنجة، كما تميزت فاس بكثرة البساتين وتنوع فواكهها، من عنب وتين وخوخ وسفرجل وتفاح، كذلك نجد سجلماسة تنوعت فواكهها من أعناب وغيرها،

1- **يحي أبو المعاطي:** المرجع السابق، ص ص 5.6.

2- **ابن حوقل**: المصدر السابق، ص ص 88.87.

وتميزت بوفرة التمور وتنوعها، ووفرتها في السوس الأقصى، حيث وصفها **البكري** بقوله:**" تباع بدون كراء الدابة من البستان إلي السوق"**[1].

واشتهرت مدين تلمسان بالإنتاج الزراعي الكثيف خاصة الفواكه حيث يصفها **حسنالوزان** بقوله:**"غلاتها عظيمة ومزارعها كثيرة..."**[2]، كما اشتهرت مدينة تيهرت ووهران بالإنتاج الزراعي بالخصوص الفواكه حيث وصفها **ابنحوقل** بقوله:**" إنها علي واد عليه بساتين أجنة كثيرة فيها من جميع الفواكه"**[3]، كما نجد زراعة قصب السكر، خاصة في مدن المغرب الأقصى كمدينة أغمان وبلاد السوس، فهي بدورها اشتهرت بزراعة قصب السكر[4].

مما سبق فإن بلاد المغرب الإسلامي اهتمت بالجانب الزراعي في جميع مدنها وقراها، حيث شهدت توسعا زراعيا عظيما أدي ذلك إلي التنوع في الإنتاج الزراعي وكثرة المحاصيل الزراعية وتنوعها ووفرتها مما ساعدها في تطور اقتصادها وازدهار تجارتها.

ثانيا: الإنتاج الزراعي في بلاد الأندلس.

حظيت الزراع في الأندلس باهتمام كبير مما ساعد في كثرة الإنتاج ووفرته، ومن بين المحاصيل الزراعية الأكثر إنتاجا في الأندلس نجد:

1- الحبوب: كان منتوج الحبوب في بلاد الأندلس وفيرا جدا وأكثر جودة، إذ يمكن خزنه لفترة أطول دون أن يصاب بالتسوس، وقد كان الأرز أيضا وفيرا جدا في أرياف الأندلس، ولعل الشيء الذي ساعد في انتشاره ووفرته وزيادة محصوله هو إدخالهم العرض لنظام الري الدائم،

1- **حسن الوزان**: المصدر السابق، ص 20.

2- **حسن الوزان**: المصدر نفسه، ص 21

3- **بن حوقل**: المصدر السابق، ص ص 89.88.

4- **يحي أبو المعاطي:** المرجع السابق، ص ص 7.

وكانت مدينة بلنسية من أكثر المدن إنتاجا للأرز، كما كان إنتاج الحبوب والبقول، كالفول والحمص والعدس والحلبة وفيرا جدا[1].

2- الفواكه:

- التين: كان التين بمختلف أنواعه من بين المحاصيل الغذائية التي أعطي لها الفلاح اهتمامه، ومن بين المناطق الأكثر إنتاجا للتين نجد مدينة مالقة الذي يعتبر تينها من أجود الفواكه، حيث كان يصدر للعديد من الدول كمصر والشام والعراق، وبلاد المغرب.

واشتهرت العديد من الدول الأندلسية بوفرة وجودة هذا المنتوج كمدينة اشبيلية وقرطبة وقسطيلية وسرقسطة[2]، كما تميزت أرياف أشبيلية بإنتاج عدد كبير من التين وهو علي نوعين التين القوطي، والتين الشعيري، فهما لا مثيل لهما من حيث الذوق، فهو تمر شجر معروف يتسرب الماء من عروقه. وهو علي أنواع كثيرة منها التين الأحمر والأصفر والأسود والأخضر، وأجوده التين الكبار المكبب الذي لا ينتفخ، وقد تميزت الأندلس بوجود التين فيها بكثرة لدرجة أنه يحتل جزءا من صادراتها إلي البلدان المجاورة، سواء كان رطبا أو يابسا وقد تواجد بكثرة في مدينة مالقة وخاصة في جبالها، وهو أحسن التين لونا وأكبر حجما وأنعمهم شحما، ومن كثر التين المجود فيها يصدر ما يفيض عن الحاجة إلي بلدان المشرق والمغرب، وكان أيضا بكثرة في مدينة رية، وتنتشر أشجار التين علي طول الطريق من سهيل إلي بليش بكثرة، وقد تميزت شجرتها بالقرب من الأرض، حيث يمكن للطفل جني ثمارها، وتميزت بكثرة ما تحمله من التين، ويتواجد بكثرة أيضا في غرناطة، فهو متوفر في أسواقها علي مدار السنة، ويوجد في مدينة بلنسية أكثر من نوع يختلف عن الأخر في الطعم واللون، فهو يتميز بطيب طعمه ورخصه

وكثرته، ويكثر أيضا في شمنترية وشلب حيث يحمل منها إلى أقطار الغرب كونه يتميز بطيب طعمه، وفي مدينة قرسيس التي تكثر فيها مزاريع التين[3].

1- **حسن قرين:** المرجع السابق، ص 152.

2- **شبيب هياجنة محمود حسن**: المرجع السابق، ص 152.

3- **بيداء محمود حسن**: المرجع السابق، ص 149.

ويوجد في مدينة اشبيلية، وكانوا يدخرون ما بقي منه يابسا فيبقي دهرا طويلا دون أن يتسوس[1]، كذلك نجد شاذونة يوجد بها من التين ما يفيض عن حاجة سكانها، ومرسية وفوزية، والجزيرة الخضراء، ودانية، وقماريش، ومرسية، فلها محاصيل كثيرة من التين لا مثيل لها من حيث الذوق.

- التفاح هو من الفواكه المعروفة ويختلف في طعمه ولونه فمنه الأصفر والأحمر والأخضر، ومنه الحامض والمر، ومن أشهر المناطق إنتاجا للتفاح تتواجد في حصن جليانة ومدينة لشبونة، فتفاحها أحمر يشبه تفاح أرمينيا ومدينة شنترة بغرب الأندلس إذ تميز تفاحها بالجودة وحسن المذاق، ويوجد أيضا في غرناطة وأنكوني وغيرها، وفي مدينة وشقة يوجد أكثر من نوع، وشلب التي يوجد فيها شجر التفاح العجيب الذي يفوح منه روائح العود إذا أشعلت النار فيه، ولكثرة إنتاجه فإنه يباع بثمن رخيص[2].

- الموز: هو من المحاصيل التي نقلها العرب الي الأندلس، وأجوده الحلو الناضج، ويتركز في المرية، كما تنتشر أشجار الموز في البيرة، وفي المنكب حيث يتميز بجودته، كما يتواجد في جبل طارق.

- الكروم: يستفاد من منتوجها عمل الزبيب، وقد اشتهرت اشبيلية بوفرة إنتاجها للأعناب، حيث كانت تصدر إلي أقطار المغرب بكثرة، ولكثرة محاصيلها أصبحت تصنع منه كميات وفيرة من الزبيب الطيب، حتى اشتهرت به ويضرب بها المثل فقد قيل لأحد الخلفاء وقد أشرف علي الموت اسأل ربك المغفرة فرفع يديه وقال:**" يا رب أسألك من جميع ما في الجنة خمر مالقة وزبيب اشبيلية"[3].**

1- **ابن حوقل**: المصدر السابق، ص 110.

2- **بيداء محمود حسن**: المرجع السابق، ص 150.

3- - **شبيب هياجنة محمود حسن:** المرجع السابق، ص 155.

كذلك اشتهرت مدينة شنت الواقعة علي البحر الأعظم بكثرة إنتاجها له[1]، كذلك فوزية التي يوجد بها العنب بكثرة، وسينة وادي الحجارة التي تكثر فيها بساتين العنب، كذلك بلش التي تكثر فيها الأعناب، ومربلة المزروعة بالكروم، وقماريش التي بها أعناب كثيرة حيث راقت لها الجنان، كذلك برجة التي تميزت بعناقيد العنب المتدلية والمرية التي وصفت أنها صحة الناضر المفتون بعناقيد العنب.

اشتهرت غرناطة بتموج الأعناب فيها، وكان أهلها يصنعون منه الزبيب ويدخرونه فيبقي سليما من الفساد، وكان فيه عيد يسمي بعيد العصير، الذي كان يقام عندما يتم جني محصول العنب وعصره، فهو يمثل المحصول الرئيسي لغرناطة، وكان يتاجر به لسائر البلدان.

ونجد لورقة التي يزن عنقود العنب فيها خمسين رطلا وهذا كله يدل علي كثرته ووفرته، كذلك مرسية التي تميزت بكثرة كرومها، وقادس ودانية وطركونة وغيرها.

تميزت مالقة هي أيضا بإنتاج العنب ووفرته وجودته وحلاوة طعمه' فقد كثر في الأندلس إنتاج العنب، خاصة في غرناطة والتي كان سكانها يصنعون منه الزبيب، حيث يدخرونه للأوقات التي لا توجد فيها العنب الطازج[2].

- الرومان: هو أيضا من المحاصيل الزراعية التي نقلها العرب الي الأندلس، وأجوده الحلو الناضج، ويعد الأمير عبد الرحمان بن معاوية أول من أدخل زراعته في الأندلس، حيث زرع منه بقرية بكورة، وبالغ بالاهتمام بها حتى نبت وانتشر بعد ذلك في الأندلس، وهو على ثلاث أنواع، الحلو الحامض والمعتدل، وأجوده الكبير الأملس الشديد الحمرة الرقيق القشرة الكثير الماء، ومن الأنواع المعروفة في الأندلس نجد السفري والبربين والأمليسيوالياقوتي ومنه أبيض ومنه أحمر، ويزرع في الأماكن الدافئة والجافة، لأن شجرة الرمان يضرها البرد، والأرض الملائمة لها هي الأرض الرملية الرخوة.

1- **الإدريسي**: المصدر السابق، ص 543.

2- **بيداء محمود حسن**: المرجع السابق، ص ص 146.145.

ونجد تادميت اشتهرت بأطيب أنواع الفاكهة خاصة الرمان، كذلك اشتهرت مدينة مالقة برمانها الياقوتي الذي يوصف بأنه لا مثيل له في الدنيا، وقد تميزت طليطلة بوجود أكثر من نوع فيها، كذلك نجد غرناطة التي اشتهرت بمحاصيله الكثيرة وعملها علي الحفاظ عليه[1].

- التوت: للتوت أهمية اقتصادية، فهو مصدر مهم للحرير حيث يستخرج من سرانيقها الحرير الخام، ويتواجد أكثر في مدينة مرسية، كذلك يتواجد بغرناطة إذ أنها سميت ببلاد الحرير، ويكثر أيضا في حصن باينة، ونجد الحرير يكثر أيضا في جيان وأشكوني التي يتواجد فيها التوت بدون زراعة، كما اشتهرت البيرة بصناعة الحرير[2].

- الزيتون: كانت تجارة الأندلسيين تعتمد أكثر علي الزيتون، وزيته خاصة حيث يبقي أعواما لا يتغير طعمه، إذ نجد توفر وتواجد معاصر الزيتون في مدينة لوشة، لم تقتصر علي لوشة فقط بل كانت أشبيلية تتميز بوجود المعاصر فيها، والتي وصل عددها إلي ثلاثمائة معصرة وذلك لوفرة إنتاج الزيتون، ففي كل بستان توجد معصرة، وقد أبدع الأندلسيون في الإفادة من الزيتون في صناعة الخمور، وكورة وشذونة التي تتميز بأن الزيتون فيها كثير ومستفيض خاصة في مدينة قادس وواد الرمان، وواد الثمرات في مدينة لورقة ومدينة أفراغنة ، وطبرش التي فيها ما شاء الإنسان من زيت الزيتون، وكذلك مدينة وشقة فهي كثيرة الزيتون، فضلا عن وجوده في لوشة ووجود معاصر الزيت فيها[3].

- أنواع أخري من الفواكه: تميزت الأندلس بكثرة محاصيلها في كل أنواع الفواكه علي غرار التي ذكرناها، إذ نجد أن لها منتجات في الأجاص وهو عين البقر، ويجنونه بعد النضج، وكانت تزخر كذلك بمنتوجات ثمار اللوز والجوز والفستق، ويقومون بتجفيفه بالشمس بقشرته، وينقي

1- **ابن وحشية**: المصدر السابق، ص 100.

2- **حسن قرين**: المرجع السابق، ص ص 122.121.

3- **مؤلف مجهول**: الأندلس وما فيه من البلاد، ورقة رقم 10، البغدادي، مراصيد الإطلاع، مج2، ص 99.

الجوز واللوز من قشرته، وإذا جف رفع الفستق في أواني الفخار، وعملوا أيضا علي جمع البلوط بعد تناهي طيبه واسوداد لونه[1].

- المحاصيل العطرية: لقد وصفت كتب الرحالة والجغرافيين بلاد الأندلس بأحسن الأوصاف وذلك لما تمتاز به من حدائق وبساتين وجميع الخيرات النباتية، حيث توفرت فيها العديد من النباتات العطرية في معظم مدنها، كنبات العصفر والمحلب والزعفران، إضافة إلي الورود والسوسن والنرجس والحبق، منها ما أستخدم للزينة ومنها ما أعتمد عليه في صناعة العطور والروائح[2].

مما سبق نستنتج أن الزراعة والمحاصيل الزراعية كانت عماد الاقتصاد الأندلسي، وعليها تقوم بعض من صناعاتها، وجانب من تجارتها، وذلك لتنوع المناخ وخصوبة أرض الأندلس في كثير من بقاعها، وقد اهتموا بالزراعة والغرس والحرث والسقي، مما أدي إلي التنوع في المنتجات الزراعية من خضر وفواكه وحبوب وأنواع الزهر والورود والنباتات وغيرها.

1- **ابن العوا م الاشبيلي**، المصدر السابق، ص 510.

2- **حسن قرين**: المرجع السابق، ص 122.

المحاضرة الحادية عشرة

الكوارث الطبيعية والمشاكل السياسية والأمنية في الإنتاج الزراعي

هناك عوامل كثيرة تتدخل وتتحكم في تحديد الإنتاج الزراعي سواء بالكثرة أو القلة، وتتمثل هذه العوامل في الظروف الطبيعية كالجفاف والسيول والبرد والثلوج والزلازل والبراكين والمجاعات القحط، كذلك الآفات الزراعية المتمثلة في الجراد والديدان والأمراض التي تصيبه، ظ فالي ذلك الأوضاع السياسية وما شملته من نزاعات وحروب، سواء بين المسلمين من جهة وبين النصارى من جهة أخري، وما يترتب عنها من حروب وتخريب وتدمير للمناطق الزراعية، وهذا ما سنتطرق له في هذا المبحث سواء الكوارث في بلاد المغرب أو الأندلس.

أ- الكوارث الطبيعية في الغرب الإسلامي:

أولا: الكوارث الطبيعية في بلاد المغرب الإسلامي.

هناك عوامل كثيرة كان لها تأثيرها السيئ على ما تنتجه الأرض من مزروعات ومنها:

1- القحط والمجاعات والجفاف: عم القحط على بلاد المغرب في سنة 1105م، فأنزل كارثة عليها وكان بمثابة الشرارة الممهدة لسلسلة من الكوارث الطبيعية المتلاحقة كالجفاف حيث انقطع الغيث وانعدمت الغلاة خاصة في سنة 1118م، مما أدي إلي الصعوبات المعيشية والنفسية والصحية، بعد مضي أربع سنوات أصبحت المغرب في سلسلة من القحوط والمجاعات حيث اجتاح جفاف شديد مدينتي فاس[1]، واستمر القحط إلي حدود السنة التالية[2]،

1- **ابن القطان:** نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ط1، دار الغرب الإسلامي، تحقيق: محمود علي ملكي، بيروت، 1990م، ص 218.

2- **ابن عبد المالك**: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، تحقيق: محمد بن شريفة، الرباط، 1984م، ص 545.

وفي سنة 1132م اشتدت المجاعة والوباء بالناس، وكثر الموتى وبلغ مد القمح خمسة عشر دينار[1]، وفي سنة 1140م تولاها الجدب حتى جفت الأرض مما أدي إلي ظهور المجاعة وهذه المجاعة استغرقت علي الأقل سنة كاملة، وما يؤكد ذلك قول **أبو بكر بن العربي** عن المجاعة**:" كنت بإيلان في مجاعة خمس وست وثلاثين وخمسمائة، وقد ضاقت الأرض برحبها علي المساكين، وسادت بعطفي شرقيها وغربيها علي المحتاجين وحشرت إلينا منهم زمر وعمهم الوباء"[2]**.

والملاحظ أن اشتداد هذه الكوارث الطبيعية وتواليها أدي إلى الغلاء في الأسعار بمراكش حتى وصل فيها ربع الدقيق بمثقال حشمي ذهبا، فقد أدت إلى تقلبات السوق وغلاء الأسعار، وظهور المجاعات والأمراض[3].

أما في مراكش فقد مر عليها قحط عام 1146م أدي لمجاعة بلغت ذروتها، ولم تسلم فاس من هذا القحط عام 1147م،[4] فزاد الضيق بالناس وانهارت قواهم ولم يعد أمامهم أمل سوي انتظار الموت البطيء، كذلك القحط الشديد الذي ألم بأهل سبتة، هذه الكارثة واكبتها مجاعة شديد حتى ضاق المغاربة منها بسبب انعدام الأقوات ولم يجدون ما يأكلون غير الحشائش وما شاكلها، كما خضعت مدينة فاس بعد هذه النكبة لمجاعة محلية، حيث واجه فيها الضعفاء مآسي مريرة.

كذلك شهدت بلاد المغرب موجات من الجفاف اندلعت على أثرها مجاعات طاحنة، وذلك لتأثر المزروعات بها وانعدام المحاصيل الزراعية، فلم يجد الشعب ما يأكله من جراء هذه

1- **ابن القطان:** المرجع السابق، ص 226.

2- **طالبي عمارة:**أراء أبو بكر بن العربي الكلامية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، ص 85.

3- **عبد الهادي البياض**: الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس، قرن(6-8ه_ 12-14م)، دار الطبيعية للنشر، بيروت، لبنلن، ط1، 2008م، 45.

4-**ابن عذاري المراكشي**، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: إحسان عباس،، دار الثقافة ، بيروت، ط.2، 1400هت/1980م، ص.126.

الكوارث فللجفاف دور هام في ذلك، وفي تأثيره على الإنتاج الزراعي، كون الأمطار هي المصدر الرئيسي للزراعة والمزروعات. لأن معظم سكان بلاد المغرب يعتمدون على الأمطار في سد احتياجاتهم من المياه للإنسان والنبات، وعدم سقوط المطر يعني عدم كفاية الزروع للناس فتنتشر بذلك المجاعات، ويصاحبها الغلاء، مثلما حدث في سنوات عديدة.[1]

2- الرياح والعواصف والسيول والثلوج : أدت الأعاصير والرياح والثلوج في المغرب إلى المجاعات أيضا، لأنها أضرت بالزرع والحيوان والإنسان، ومثال ذلك ما حدث سنة 564هـ/ 1130م حيث شهدت مطرا وابلا .[2] وفي سنة (531هـ/ 1137م) تسببت امطار عاصفية في سيول جارفة خربت الثمار واقتلعت الزروع وهدمت المنازل وقتلت الحيوانات واقتلعت أشجار البساتين ، واستوي في تلك المحنة الغني والفقير. وغلت الأسعار وعدمت الأقوات وجلا أهل البادية عن أوطانهم،[3] ومات بإفريقية من طبقات الناس من أهل العلم والتجار والنساء والصبيان ما لا يحصي عددا، حتى خلت المساجد وتعطلت الأفران والحمامات، وكان الناس خلال هذه الشدة يوقدون أبواب بيوتهم وخشب سقوفهم، وقدرت الخسائر في الأرواح بالآلاف، وفي سنة 432ه/1040م حدثت عواصف شديدة محملة بالأتربة وعرف بسنة الغبار وتزامنت مع القحط فأضر ذلك بأهل القرى والبوادي.

لقد شهدت بلاد المغرب كوارث طوفانية زاد من حدتها اندلاع الرياح العاصفية فقد أدت خطورة هذه الكوارث الطبيعية إلى معاناة الشعب من المجاعات وحدوث أوبئة في وقت ارتفعت فيه أثمنة المواد الاستهلاكية، إضافة إلى الدور التدميري الذي مارسته الرياح العاصفة على الجانب الزراعي مما أدي إلى الزيادة في معاناة أهل المغرب، أين انعدمت ضروريات العيش، وذلك لقلعها الأشجار ودمار المحاصيل الزراعية، وغلاء مفرط، وأهلكت الكروم والزيتون وهدمت الأسوار وخربت الجنان.[4]

1- **نفس المرجع**، ص.ص 47.46.

2-**ابن القطان**، نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، بيروت، ط.1، 1990م،ص.161.

3-ابن عذاري ، المصدر السابق ،ج.4، ص.94.

4- **عبد الهادي البياض** ، المرجع السابق، ص.49.

3- الحرائق: خلفت كوارث الحرائق دمارا كبيرا قضي على مجال العيش وموارده، حيث احترقت الأراضي الزراعية والغابات والمجالات الرعوية، وقد بدا ذلك في المناطق المعروفة بحرارتها المفرطة خصوصا في فصل الصيف، حيث تزيد من قوتها الرياح العاتية فتصعب السيطرة عليها وعجزهم عن إخمادها لبساطة الوسائل وبدائيتها، وانشغال الدولة بالفتن والحروب، مما انعكس سلبا على أوضاع السكان المعيشية[1].

4- الزلازل: ليست الزلازل من صنف الكوارث الطبيعية التي تحدث باستمرار بشكل عام في بلاد المغرب والأندلس بشكل خاص، لبعد مجالهما الجغرافي من خط الزلزال، لكن ذلك فقد شهدت البلدين هزات أثرت عليهما، حيث هدمت البنيان ومات فيها الخلق من بشر وحيوان تحت الردم وخربت المزروعات[2].

5- الآفات الضارة: يعد الجراد من أخطر الآفات التي قد تصيب الزرع، فالجراد يأكل كل ما تنبت الأرض ويسبب خسائر فادحة للفلاحين، وعرفت بلاد المغرب هذه الآفة لسنوات .

ففي في الربع الأول من القرن (8هـ/14م) عم الجراد في بلاد المغرب وأهلك ما فيها من الزروع والمحاصيل، حيث تزامن مع الأعاصير الشديدة التي ضربت البلاد وانتشار موجات الغلاء والمجاعات. [3]

فالجراد آفة طبيعية خطيرة على الإنسان وموارده وأعماله، وقد كان تأثيره بالغا في المغرب، ذلك أن هجومه المفاجئ بأسراب عديدة على المزروعات والمغروسات غالبا ما كان يتسبب في مضاعفات سلبية وفي مقدمتها المجاعة وأمراض سوء التغذية، وقد كانت الصحراء بمناخها الحر هي موطن انبعاث الجراد الجوال المتجه نحو المغرب.[4]

1- **عبد الهادي البياض:** المرجع نفسه، ص 50.49.48.47.

2- **عبد الهادي البياض:** المرجع نفسه، ص.52.51.

3-**ابن ابي زرع**، الذخيرة السنية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1976م، ص.45.

4- **صديقي أحمد الدجاني**، الكوارث الطبيعية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الدوريات ربيع الثاني 1409م، ص.68.

إن اكتساح الجراد لبلاد المغرب بصفة متكررة زاد من كارثة تفاقم القحط والغلاء، ونظرا لشدة الدمار الذي ألحقه بموارد السكان المعيشية فقد بقيت أثاره محفوظة في الذاكرة الشعبية.

ثانيا: الكوارث الطبيعية في الأندلس.

تتمثل الكوارث الطبيعية التي أثرت في بلاد الأندلس خاصة على الجانب الزراعي:

1- الجفاف: يعد من أحد العوامل المهمة في تحديد الإنتاج الزراعي حيث تعتمد النباتات وبالدرجة الأولي على الأمطار إذ لا يستطيع أي محصول أن ينموا بغياب أو ندرة المياه، حيث تعرضت الأندلس في بعض الأحيان إلى انعدام سقوط الأمطار أو قلتها مما أدي إلى عدم اكتفاء المزروعات بالكمية اللازمة من الماء، مما نتج عن ذلك نقص في الإنتاج الزراعي وقلة الثروة الزراعية مما أدي إلى القحط والمجاعات.

ففي سنة 846م قحطت الأندلس قحطا شديدا أين مات فيها أكثر الناس، حتى المواشي هلكت، واحترقت الكروم والأشجار، فقد وصل بهم الأمر إلى الاستيراد من المغرب ما يحتاجونه[1].وأدى أيضا إلى غلاء الأسعار وضيق المعيشة، حتى خرج الحكام للاستسقاء، فنزل الغيث بقرطبة لكن بعد عام من ذلك انقطع الغيث وأضر بالمزروعات، وغلت الأسعار حتى التهم الناس أنفسهم بذلك، فلجأ أهالي الأندلس إلى صلاة الاستسقاء، لا كنها لم تمطر فاستمر القحط طويلا واستمر الناس بالصلاة.

وفي سنة 941م توقف الغيث بمدينة قرطبة، فلم يزرع الناس في تلك السنة وجدبت الأرض، ولجأ الناس للصلاة لنزول الغيث فكرروها أكثر من مرة، فنزل مطر خفيف لكنه لم يروي الأرض، وفي سنة965م حدث جفاف شديد بقرطبة، إضافة إلى سنة 968م حدثت مجاعة عظيمة بالأندلس، مما دفع الحاجة المنصور بن أبي عامر أن يقرر غزو برشلونة، للوقوف علي حاصل الأطعمة في الأهراء[2].

1- **العذري أبو العباس**: المصدر السابق، ص 118.

2- **ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي**: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، ص 95.

كذلك في سنة 989م كانت المجاعة الشديدة في الأندلس، كذلك في سنة 991م قحطت الأندلس وجفت المياه جفافا كبيرا، كذلك في سنة 1016 حدث قحط شديد ومجاعة عمت عامة الأندلس[1].

2- الفيضانات والسيول: تشكل الفيضانات والسيول خطر كبير على الإنتاج الزراعي فلا تقل خطورته عن عامل الجفاف الذي تحدثنا عنه، فقلة الماء تهلك النباتات كذلك كثرته تؤدي لذلك، فقد تعرضت الأندلس إلى فيضانات وسيول في بعض السنين نتيجة لفيضانات الأنهار خلال فصل الشتاء، فتؤدي إلى هلاك الناس والزروع في آن واحد، ففي سنة واحدة ارتفعت مياه نهر قرطبة ارتفاعا عظيما لمدة يومين حتى سد حنايا القنطرة وهدمها، وهدم الديار وبلغ حتى مدينة شقنة من جديد. كما أصيبت الأندلس بسيول جارفة سنة (561هـ/1166م)،[2] وبعد فترة قصيرة عاودت السيول وضربت إشبيلية سنة (564هـ/1166م)، فخلفت دمارا كبيرا.

3- الزلازل والعواصف: تعد الزلازل والعواصف والثلوج من أقوي الكوارث الطبيعية التي تدمر المكان الذي تحدث فيه، وقد تعرضت الأندلس سنة 919م إلى ريح شديدة سوداء حيث أدت إلى قلع الأشجار وهدم الديار، مما دفع بالناس إلى التوبة والخوف ولزموا المساجد وارتدعوا عن الفواحش[3].

وفي سنة 944م نزل بقرطبة برد عظيم حيث أدي إلى قتل الوحوش والطيور والبهائم، وكسر الثمار أيام أصبح المطر وابلا، وزلزلت الأرض بقرطبة، وفي سنة 974م نزل ثلج عظيم وعم نزوله أقاليم وفي سنة 943م حدث زلزال عظيم بمدينة قرطبة دامت ساعة ففزع أهلها، وفي الصباح ليلة الزلزال هبت ريح عاصفة أدت إلى قلع الكثير من المزروعات من أشجار الزيتون والتين والنخيل وغيرها، وأتلفت الكثير منها.

1- **العذري أبو العباس أحمد**: المصدر السابق، ص 212.

2-**ابن القطان**، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ،ص.410.

3- **ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي**، المصدر السابق، ص 119.

تعرضت في سنة 915م مدينة طليطلة وما جاورها للبرد الغليظ فأثر علي البساتين والمزروعات، واشتد القحط بغلاء الأسعار، فوصل سعر قفيز القمح 12 دينار فضة ، فعم الجوع ومات الناس وانتشر الوباء مما أدي إلي التباغض والتقاطع بين الناس، واستمر الحال هكذا مدة سنة، فهلك الكثير من الناس في قرطبة وكورها، ورافقه هبوب رياح شديدة وهلكت المزروعات[1].

وفي سنة 951م هبت كذلك ريح عاصفة بقرطبة، وفي سنة 965م هبت رياح شديدة هدمت الديار وقلعت الأشجار وقتلت الرجال، كذلك في سنة 972م هبت رياح شديدة بقرطبة ألحقت خسائر بالزراعة، وبعدها نزل الجليد استمر مدة ثلاثة أيام، فدمر الكروم والأشجار خاصة التين وكان ضرره كثيرا حيث سبب القحط المستمر، وفي نفس السنة نزل بقرطبة مطر خفيف مع رياح شديدة وبعد أيام أصبح المطر وابلا وزلزلت الأرض بقرطبة.

وفي سنة 974م نزل ثلج عظيم، وعم نزوله أقاليم قرطبة وكورها ورافقه هبوب رياح شديدة، كذلك في سنة 986م وقع زلزال بقرطبة، وفي سنة 992م حدث فيها رياح شديدة، هدمت الديار وقلعت الأشجار وأهلكت الناس ودامت ثلاثة أشهر ونصف مستمرة بالهبوب، وفي سنة 995م هبت رياح هائلة قطعت الأشجار، وفي سنة 1024م حدث زلزال عظيم ببلاد الأندلس هدمت الجبال واضطربت بها الأرض وأهلكت[2].

4- الآفات الزراعية:

- الجراد: يعد الجراد من الآفات الكبيرة التي لم تسلم المحاصيل الزراعية من خطرها حيث يسبب لها الخسائر والضرر.

ففي سنة 846م انتشر الجراد فأتلف الزرع واحترقت الكروم وهلكت المواشي، مما تسبب في مجاعة عمت الأندلس، وفي سنة 991م أتي الجراد الكثير من الأذى وعظم البلاء

1- **العذري أبو العباس أحمد**: المصدر السابق، ص 213.

2- **العذري أبو العباس أحمد**: المصدر نفسه، ص 213.

على الناس واستمر هذا الجراد مدة ثلاث سنين من سنة 991م إلى سنة 993م، ويذكر النابلسي طريقة للقضاء عليه بأن يدخن الموضع الذي فيه الجراد بالجراد فيهرب منه أكثر ذلك الجراد، وأن يزرع الخردل في ثلاث نواحي من الأرض التي فيها الزرع أو الشجر فينجو به من ذلك[1].

وفي القرن 6هـ/12م كانت الأندلس ملجأ لجحافل الجراد الصحراوي المهاجر، حيث اكتسح أراضي واسعة منها ، فأكل الزرع والشجار ن مما تسبب في مجاعة دامت 4 سنوات مابين 1130م و1134م.[2]

2- الحشرات والديدان والطيور: سعي الفلاحون الأندلسيين إلى مواجهة هذه الحشرات التي تصيب المحاصيل الزراعية وتوصلوا إلي طرق للوقاية منها، وميزوا تلك الأمراض سواء ظاهرية أم باطنية نظرا لأهمية ذلك للنبات، فطردوا الدود عن الأشجار والكروم فبذلك يهلك الدود، كذلك يستخدمون رماد الخشب للتين فيذر علي الزرع والبقل فيذهب الدود عن جميع الثمار، ويقومون بدق الخربق الأسود ويخلط بالحنطة، وإن أكل منها الطير مات فيؤخذ هذا الطير الميت ويعلق علي عصا في الحقل وبالتالي الطيور لا تقترب من ذلك الحقل.

كذلك فرش الرماد على الأحواض المراد زراعتها ثم توضع الزبل فوقها ثم تزرع فإن الحشرات والديدان المتولدة في البساتين تهرب من تلك الأرض حيث يكون الرماد حاجبا بينها وبين النبات، كذلك سعوا لدفع الآفات عن الأشجار، كالنمل والبق والذباب والبراغيث والقمل، والدود والعناكب وغيرها[3].

ب: المشاكل السياسية والأمنية المؤثرة في الإنتاج الزراعي:

أولا: في بلاد المغرب.

كانت الثورات والفتن من بين أكبر الأخطار التي هددت الثروة الصناعية، والمتتبع لتاريخ

1- **النابلسي**: المصدر السابق، ص 118.

2-**ابن القطان**، نظم الجمان، ص.ص.228 إلى256.

3- **العذري أبو العباس أحمد**: المصدر السابق، ص 214

المغرب السياسي يدرك أن تاريخه حافل بالاضطرابات، وكمثال علي ذلك نذكر ما حدث خلال العهد الفاطمي بسبب ثورة **"أبو يزيد مخلد كيدان"**، وهي ثورة إباضية ضد السياسة الفاطمية، وكانت جبال الأوراس مركز لها ثم توسعت دائرتها، وكثر إتباع **أبو يزيد**، فكان البربر يأتون إليه من كل ناحية فينهبون ويقتلون ويرجعون إلي منازلهم، حتى أفنوا ما كان في افريقية فلم يبقي ما ينهب، كما أن الدواة الفاطمية دخلت مع **أبي يزيد** في معارك دمرت وخربت وقتلت سكان المغرب، فأحدث ذلك رعبا في نفوس السكان، وهكذا تطلعت الزراعة وركدت التجارة وخربت المدن وأحرقت المحاصيل الزراعية[1].

كما نشير إلى الأضرار التي سببتها الهجرة الهلالية واكتساحها بلاد المغرب حيث أتت على الأخضر واليابس، إضافة إلي الحروب التي دارت بين الموحدين والمرابطين عام 1146م فإنه ساهمت في تخريب المزروعات والمحاصيل الزراعية وحرقها مما أدي إلي تفاقم المجاعات، كذلك الصراع المريني الموحدي فقد أدي إلي تفاقم المجاعات والقحط.

ومنه فقد تزامنت الثورات والحروب في بلاد المغرب كثورة **"ولد العبيدي"** المحروق بفاس بجبل غمارة، وبالمثل اندلعت ثورة أخري في سوس عام 1287م قادها الثائر طلحة الذي لقي حتفه فيها فقد وضع البلاد علي شفير قحوط ورياح شرقية جافة استغرقت ثلاث سنوات.

ثانيا: في الأندلس

تسببت الفتن والحروب والنزاعات الداخلية والخارجية في البلاد الأندلسية في تخريب الوضع الاقتصادي، وقد أثرت كذلك على المزروعات والزراعة، فهي أشغلت العرب بالنزاعات فأهملوا شؤون الزراعة والري، وأدت إلي هجرة المزارعين من بلادهم، فضلا عن تخريب الأراضي الزراعية وحرقها بسبب الحروب، فقلت الأقوات وازدادت المجاعات، فقد أتلفوا المزروعات وأحرقوها وخربوها وحطموا المزارع والبساتين والحقول[2].

1- **عبد الهادي البياض:** المرجع نفسه، ص.52.51.

2- **العذري أبو العباس**: المصدر السابق، ص 118.

إن المتتبع لتاريخ الأندلس السياسي يدرك مدي تأثير هذه الحروب والفتن على الجانب الزراعي والفلاحي وكمثال على ذلك نجد في سنة 179ه-789م في عهد الأمير **هشام بن عبد الرحمان** الذي أوعز إلى وزيره **عبد الكريم بن مغيث الرومي** قائد الصائفة أن يتوجه إلي مدينة استرقة داخل جليقية لمحاربة عدو أنفوس الذي حشد بلاده ضد الأمير، فكان نتيجة ذلك أن انتصر **عبد الكريم بن مغيث** بلاد المشركين في سنة 200ه-815م فدخلها وتوسطها، وأهلك مرافقها وحطم زروعها وهدم منازلها حتى استوفي جميع قري وادي أرون.

وفي سنة 219ه-744م غزا **أمية بن الحكم** طليطلة ففرض عليها حصارا شديدا ثم رجع بعد أن قطع ثمار هو أتلف زروعهم ، وفي سنة230ه-840م وجه **الأمير عبد الرحمان** الأوسط قواده لمحاربة النورمان علي سواحل الأندلس الغربية الذين دخلوا اشبيلية وتمكن الأمير من إلحاق الهزيمة بهم وقتل نحو خمس مائة علج، وأصبحت لهم أربعة مراكب بما فيها فأمر بإحراقها وبيع ما فيها من الفيء، ثم كانت الوقعة عليهم بقرية طليطلة وقتل فيها منهم خلق كثير وأحرق مركبهم ثلاثون مركبا ، وعلق من المجوش باشبيلية عدد كبير، ورفع منهم في جذوع النخل التي كانت بها، وركب سائر مراكبهم وساروا إلي لبلبة ثم توجهوا إليلشبونة فانقطع جرهم.

وفي سنة 264ه-877م حارب الأمير **منذر بن محمد** 273ه-275ه_886م-888م بنو موسي فدخل سرقسطة وحاصرها حصارا شديدا وأفسد زروعها ثم تقدم إليتطيلة والمواقع التي صار فيها بنو موسي فانتسفها رجال العسكر عليها.

كذلك غزا **الأمير عبد الرحمان الناصر** كورة رية في سنة 302ه-914م لمحاربة عمه إبان ابن الإمام عبد الله فنازل حصونها وعاقب سكانها بتحطيم زروعها وقطع ثمارها. وفي سنة 305ه-917م هجم الناصري علي مدينة ناجرة بالثغر الأقصى وعاثت خيولهم في هذا الثغر كيف شاءت فأفسدت الزرع وانتسفت المعايش.

وفي سنة 308ه-920م غزا **عبد الرحمان الناصر** مدينة فونش، وسميت الغزوة علي اسمه **"غزوة فونش"** وأخذ يهدم ديارهم لمدة أربعة أيام، ويحصد مزارعهم ويقطع أشجارهم، ثم انتقل إلي حصن بقبرة فوصل إلي أطعمة الكفر، وبعدها انتقل إلي حصون المسلمين يسكنها

وينضر في مصالح أهلها فكلما ألفي بقربها معقلا للمشركين هدمه وأحرقه حتى اتصل الحريق في بلاد المشركين عشرة أميال في مثلها[1].

اجتمع عند الناس الأطعمة والخيرات، ما عجزوا عن حمله، ولم يجدوا له ثمنا تباع به وكان القمح في العسكر يبذل ستة أقفزة فلا يوجد من يشتريه فجمعت الأطعمة وأدخلت النار إليها حتى احترقت عن أخرها وبعدها رجع إلى قرطبة[2].

في سنة 923م غزى **عبد الرحمان الناصر** مدينة ببشتر وحصون رية لمنازلة المارق **سليمان بن عمربن حفصون**، وهي الغزوة المعروفة بغزوة شاط ووصل إلي المدينة وشدد الحصار عليه وقطع باقي الأشجار[3]، وجث كرومهم وحطم معايشهم[4].

كذلك في سنة 933م غزا ألبة في حصن آنبة والقلاع وجليقية، فرافق ذلك خراب للزروع وقطع للأشجار وأتلفوا المزروعات فلم تبقي غلة في الأرض للتدمير والقطع والإحراق لكل ما اجتاز به من كرم وشجر مثمر، ومن توالي النزاعات والحروب تبين لنا وبشكل واضح ما يلعبه هذا العامل في إهمال الزراعة[5].

مما سبق نستنتج أن إنسان بلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط واجه أنواع مختلفة من البلايا والمحن المترتبة عن الكوارث الطبيعية من قحوط ومجاعات وسيول، إلا أنه لم يستسلم لها حيث كافح الجراد وأخمد النيران في ضل الوسائل الممكنة المتاحة آنذاك.

1- **العذري أبو العباس أحمد**: المصدر السابق، ص 214.

2- **بيداء محمود حسن**: المرجع السابق، ص ص، 195.192.

3- **بيداء محمود حسن**: المرجع نفسه ص ص 210.209.

4- **العذري أبو العباس أحمد**: المصدر السابق، ص 215.

5- **بيداء محمود حسن**: المرجع السابق، ص 211.

المحور الرابع

النشاط الرعوي في الغرب الإسلامي

المحاضرة الثانية عشرة:

طرق ممارسة النشاط الرعوي ومجالاته.

المحاضرة الثالثة عشرة:

القبائل الرعوية وتربية الحيوانات.

المحاضرة الثانية عشرة

طرق ممارسة النشاط الرعوي في الغرب الإسلامي ومجالاته

حثنا ديننا الحنيف على الاهتمام بالنشاط الرعوي، خاصة الرعي وتربية الحيوانات والعناية بها، لما يعود ذلك من فوائد جمة على الإنسان، حيث قال الله تعالي:" **والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع منها تأكلون"**[1]، وقد تعددت في القرآن الكريم الكثير من المواضيع مثل هذه الآيات التي تحث علي الاهتمام بالثروة الحيوانية والنشاط الرعوي، وهذا ما سنتطرق له في هذه المحاضرة.

أولا: طرق ممارسة النشاط الرعوي في بلاد الغرب الإسلامي (بلاد المغرب والأندلس).

أ: مفهوم الرعي ونظامه:يقصد بالرعي استهلاك الحيوانات المتأنية والبرية للأعشاب الجبلية وعريضة الأوراق الصالحة للاستهلاك، أو هي العملية التي بواسطتها تستهلك الحيوانات النبات للحصول علي الطاقة والغذاء، وغالبا ما يعمل الرعاة في مجال تربية الماشية بما في ذلك الأبقار والماعز والأغنام والجمال وغيرها، ويمارس الرعي في جميع القارات، وغالبا ما يتواجد في المناطق الجافة والباردة والجبلية وفي مثل هذه الظروف الصعبة يشكل الرعي أفضل إستراتجية لتوفي ر الغذاء والدخل.

تعتبر حرفة الرعي من أقدم الحرف التي مارسها البشر، ولا تكون إلا في السهول والصحاري وأطراف التجمعات السكنية، وقد كان الرعي حرفة مهمة ولا يستغني الناس عن الراعي لرعاية ماشيتهم، وللراعي حقوق ومواصفات وعليه واجبات، إن خل بها تحمل مسؤولية ما يقع منه أو ما يفسد بسببه فإن فرط الراعي في رعيته أو نام عنها أضمن كل ما أفسدته، إلا أن يشد من البهائم ما لا يستطيع رده[2].

1- **سورة النحل**: الآية 5.

2- **ابن حوقل:** المصدر السابق، ص 401.

يجتمع أهل القرية من أصحاب المواشي ويقسمون مهمة الرعي، فيرعي كل واحد منهم يوما، ويعتبر الراعي مفرطا إذا خرجت الماشية إلي المرعي وتأخرها، فلو فقد منها شيئا فهو ضامن لأنه فرط فيها، وبعض الرعاة ماهر في عمله، إذ يعرف المواشي التي يأخذها للمرعي بأعيانها ويعرف لمن هي، إذ كان يرعي لجماعة من الناس ويتفق الراعي مع أصحاب المواشي ليرعاها مدة محدودة قد تكون قصيرة شهرا مثلا، أو مدة طويلة، وربما باع أحدهم نصف غنمه لمن يقوم برعاية النصف الأخر المتبقي له أو حراستها.

يساعد الراعي في عمله الحارس والقائل، فلأول يتولي حراسة الغنم ليلا وليس من مسؤوليته رعايتها في النهار فمسؤوليته تنتهي بتسليمها للراعي في الصباح، وتبدأ باستلامها منه مساءا، وكانت عادتهم أن توضع الماشية في شبكة الليل إلي المراعي، ويتم هذا في الليالي المظلمة، وفي فصل الصيف حيث يكون الجو لطيفا بعكس النهار الذي تشتد فيه أشعة الشمس، وتواجه الكائنات الحية صعوبة في السير والتنقل والأكل[1].

ب: طرق ممارسة النشاط الرعوي في بلاد المغرب الإسلامي: تعتبر الحيوانات كائنات حية مسخرة لخدمة الإنسان وتحصيل منافعه، فهي لم تخلق عبثا، وإنما للنهوض بوظائف حيوية كتأمين المصدر الغذائي للإنسان، وتأمين المواصلات،[2] وتوفير الدواء المستخلص من بعض أجزاءها، والقيام بعروض ترفيهية، ورحلات وغيرها، وبالفعل فقد كانت لها منافع عديدة، حيث كانت جلودها تستعمل في صناعة القرب، وتوضع تحت المطاحن، وكان يستفاد إلي الآن من حليبها ومشتقاته ولبنها، واستغلال أصوفها وأوبارها وشعرها في صناعة الملابس والأغطية والخيام، واستخدمت للعمل والنقل، والركوب علي ظهورها وحمل الأمتعة.

وفي الأعمال الزراعية والحروب، وكانت تعتبر مالا فمنها المهر ومنها الدية، إضافة إلي كون ممارسة هذا النشاط من السمات الموروثة، اقتضتها طبيعة العيش والمناطق شبه صحراوية التي عاشت فيها الكثير من القبائل[3].

1- **عبد الكريم يوسف**: المرجع السابق، ص 65.

2- نفسه

3- **نفسه**

لم يكن النشاط الرعوي أو تربية الحيوانات منفصلا عن نشاط المزارع، بل كان جزءا من حياته اليومية، فقد انتقل الإنسان من صيد الحيوانات كمصدر رئيسي للغذاء إلي استئناسها واستخدامها في فلاحة الأرض، من الحرث والتزبيل والدرس، وحمل المحصول وطحن الزرع، فلم يكن الحيوان وسيلة للزراعة فحسب، بل استفاد المزارع منها في توفير مستلزمات حياته.

اهتم سكان بلاد المغرب بالحيوانات وتعليفها، وذلك استنادا لقوله تعالي:**" الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا، وأنزل من السماء ماءا، فأخرجنا به أزواجا من نبات شتي، كلوا وارعوا أنعامكم إنفي ذلك لآيات لأولي النهي"**[1]، فالله سبحانه وتعالي سخر الحيوان لتلبية حوائج الإنسان، فلذلك وجبعلي الإنسان الرفق بالحيوان والإنفاق عليه كالدواب والماشية، وتعليفها بالشعير والعشب والحشائش. الخضراء والتين وغيرها[2].

ساهمت الأعلاف ووفرة المراعي في الحفاظ على مختلف المواشي والدواب التي استغلها سكان بلاد المغرب في تحويل المحاصيل الخضراء إلي منتجات حيوانية، من لحم ولبن وصوف، ويبقي رعي المواشي في المسارح الخضراء أفيد من علفها بالأعلاف الجافة، فقد عمل سكان بلاد المغرب علي إيواء حيواناتهم حفاظا عليها من السرقة أو السباع أو العوامل الطبيعية المختلفة، فمنهم من اتخذ إسطبلات، وهناك من وضعها خلف بيوتهم[3].

أما الرعاة الرحل فلم يكونوا بحاجة لبناء إسطبلات لتنقلهم الدائم فحافظوا على حيواناتهم بطرق تتلاءم مع ظروفهم، كما حرصوا على الحفاظ علي النوع الحيواني من الانقراض، خاصة وأن هذه الظاهرة عرفت الانتشار خلال الحروب أين يمثل السلب والنهب والقتل السمة المميزة لها.

1- **سورة طه**: الآية 54.53.

2- **السخاوي**: تحرير الجواب عن ضرب الدواب، تحقيق وتعليق: أبو عبيدة مشهور حسن أبو حنفية السقرات، بحث منشور في مجلة المحكمة، جمادي الأولي، 1415ه- 1994م، العدد4، ص 230.

3- **المالكي**: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهموأرصافهم، ج2، تحقيق: بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1993م، ص 54.

كما تفصح الكثير من النصوص أن الحفاظ علي النوع وجودته يظهر من خلال الهدايا المتبادلة بين الحكام وولاتهم، خاصة إذا تعلق الأمر بالخيول العتيقة، والإبل، وأنواع الأبقار الجيدة، إضافة إلي النهي عن القتل والذبح خاصة الحيوانات الحلوب من أبوب الحفاظ علي النوع، حتى لا يتضرر الصغير بعد ذبح أمه لقوله **صلياللهعليهوسلم** لمضيفة الأنصاري الذي أراد أن يكرمه بذبح شاة :" **إياك والحلوب"**[1]، وعملوا علي أسلوب الرفق بالحيوان، فالقرآن الكريم والأحاديث النبوية المستفيضة تحرص علي الرحمة بالحيوان، وترهب من القسوة عليه أو إضاعته أو إهماله، منذرة بوعيد شديد لمن اقترف شيئا من هذه الأعمال.

يمثل الراعي ونشاطه عنصرا أساسيا في الإنتاج، وذلك من خلال تعهده للماشية تربية وحراسة[2]، حيث عملوا علي تنظيم الرعي وذلك ب:

- اتخاذ الرعاة: مارس الأفراد المستقرون حرفة الرعي، وكان الكثير من أصحاب الماشية يفضلون البقاء داخل المدينة وتسريح ماشيتهم خارجها، فليس من المعقول قضاء صاحب الماشية حياته خلف قطيعه خاصة إذا كان من أصحاب الوظائف أو الحرف أو كان من الميسورين ، ومن النصوص الفقهية الدالة علي اتخاذ الرعاة ما أفادنا به صاحب "الدرر المكنونة" حيث أشار إلي رجل اشتري بقرة لتصحب البقر، وبعدما أخذها لمحله وجد أنها لا تصاحبهم، فاحتج علي بائعها، ورد علي البائع بقوله: " يرعاها الراعي وأرعاها أنا أيضا يوم دولتي وما رأي بها هذا العيب"، أي اتخاذ الرعاة من الأمور المتعارف عليها داخل مجتمع المغرب الإسلامي، ومما لا شك أن الراعي المستأجر كان علي معرفة ببعض الأمور الخاصة بالقطيع.

فمثلا إذا أدركها المطر لا تتحرك من موضعها إن لم يلحقها الراعي، بل قد تهلك في

1- **النووي يحي بن شرف**: صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2006م، رقم الحديث 2038، ج13، ص 177.

2- **بلهواري فاطمة**: النشاط الرعوي في بلاد المغرب خلال القرن 4ه- 10م، دورية كمان التاريخية، عدد8، يونيو 2010م،ص 29.

مكانها، فهنا يحظر لها ذكورا لتتبع سائر الغنم، ويري أحد المؤلفين في مجال الفلاحة أن أفضل من رعى البقر كان طويل ، شديد ، جهير الصوت من الرجال فإنه كان مشرفا علي أوائل البقر والشاذ منها، وكانت تعينه مع ذلك أنه إذا كان جهير الصوت كان ذلك أهيب لما يرعي من البقر، وأفضل رعاة الشاه لا يستغني عن هذه الخصال لكثرة عدو الشاة من السباع وغيرها[1].

مكث الراعي المستأجر أحيانا بالقطيع في المراعي طول النهار ثم يعود في آخره أو يمكث فترة طويلة قد تصل إلى عدة شهور، ثم يرجع بها كما يمكن للراعي اصطحاب حيواناته الخاصة عند خروجه للرعي، أما المستوي المعيشي لمن مارس حرفة الرعي فلم يكن جيدا والغالب علي أصحاب الفقر.

- أجرة الراعي وشروط عقد استئجاره: خضعت عملية استئجار الرعاة لتعاليم الشريعة الإسلامية، وقد تحدد أجرتهم علي حسب عدد المواشي، والراعي يحتاج إلي طعام، وهذا كله لتفادي الضرر والنزاع القائم بين الراعي ورب الماشية، خاصة بالبادية، أما مدة استئجار الراعي فقد تكون ثلاثة أشهر وفي الغالب قد تكون سنة واحدة، غير أن عقد استئجار الرعاة يكون وفق شروط يضعها رب الماشية وأخري يضعها الراعي، وقد اتبع الرعاة خلال العصر الوسيط بعض العادات عند قيامهم بعملية الرعي، والني لا زال يمارس بعضها في وقتنا الحالي، كالغناء أو رمي القطيع بالحجارة أو العصا لتجميع القطيع أو إبعاده عن مكان خطير[2].

والعصا من الأدوات التي لا يزال يستخدمها الرعاة لحد الآن خاصة عند خروجهم علي رأس القطيع إلي المرعي، لأن الذئاب تترصد هم، وقد تستغل فترة نومهم لتنقض علي احدي الشياه، وما يزيد من خطورة الوضع عند وقوع هذه الحوادث، وعدم تمكن الراعي من الحصول علي المساعدة، لبعده عن المناطق الآهلة، مما يدفعه للاستعانة بعصاه للدفاع عن نفسه وعن قطيعه، كما يعلم الرعاة الغنم الجري لتتبعهم إذا أحست برعد شديد[3].

1- **نوال بلمذاني** : المرجع السابق، ص ص 191.190.

2- **نوال بلمذاني** : المرجع نفسه، ص ص 209.208.

3- **ابن العوام الاشبيلي**: المصدر السابق، ص 473.

كان بعض الرعاة المستأجرين يخرجون بالغنم إلي السرح ويتركونها ويرجعون إلي المدينة، ثم ينصرفون إليها عشية لكن أحيانا يجدونها نقصت، كذلك يستعين الرعاة بكلب أثناء رعيهم لمواشيهم ليساعدهم في حراسة القطيع أو إنذارها في حالة الخطر، وذلك لقوله صلي الله عليه وسلم:" من اقتني كلبا لا يغني عنه زرعا ولا ضرعا، نقص من عمله كل يوم قراط"[1].

تعتبر تربية الحيوانات نشاط قائم بذاته، وكثيرا ما كان متصلا بالنشاط الزراعي من تربية الأغنام والخيول، والبغال والجمال، حيث اهتمت القبائل بتربية الماشية خاصة [1]، وكثيرا ما أثرت الظروف الطبيعية في وفرة المراعي وخصبتها، والعوامل البشرية النشيطة في المجال، ولارتباطها بالتصنيع، فزيادة الطلب على الأصواف والجلود في الأسواق الأوروبية والمحلية زاد من الإقبال والاهتمام بتربية أنواع مختلفة من الحيوانات[2].

اعتنت بلاد المغرب الإسلامي بهذا النوع من النشاط عناية كبيرة، ففي عهد المؤمن بن علي كان الاهتمام بالخيل، أين يعتمد عليها في النقل والحروب، وفي عهد المنصور وصلته سبعمائة فرس من تلمسان، كما ازدهرت تربية الماشية وتضاعفت أعدادها حتى وصلت غنيمة الموحدين في قمعهم للفتنة التي قادها سبع بن منغفاد سنة 652ه/ 1167م بجبال غمارة المتصلة بسبتة، اثنا عشر ألف رأس من البقر، وسبعة وعشرين ألف وثلاث مائة من الغنم[3].

كما انتشر الاهتمام بمجموعة كبيرة من الحيوانات في بلاد السوس، كاللمط الذي كانت جلوده تستخدم في صناعة "الدرق اللمطية" المستخدمة في المعارك ووصفها البكري بقوله:». ومما **في هذه الصحراء من الحيوانات اللمط وهو دابة دون البقر لها قرون...وأجود الدرق**

1- **النووي يحي بن شرف:** المصدر السابق، رقم الحديث 1576، مج 10، ص 202.

2- **حسن علي حسن**: المرجع السابق، ص 249.

3- **سكينة عميور**: ريف المغرب الأوسط في القرنين 5-6ه_11-12م، دراسة اقتصادية واجتماعية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2012-2013م، ص ص 151.150.

وأغلاها ثمنا ما صنع من جلود العواتق منها وهي التي طال قرناها لكبير سنها..."[1]، وغيها من الحيوانات الأخرى التي سنطرق لها بالتفصيل في تربية الحيوانات.

شاع بين أهل المغرب الإسلامي أن يتكفل الفلاحون برعي ماشيتهم بأنفسهم بالدولة والتناوب فيها بينهم، حيث يضمون مواشيهم فيحرزونها بالدولة ويحرز المواشي كل واحد منهم يومه، كما كان البعض منهم يكلف من يقوم مقامه في رعي الماشية، ولقد ورد خلاف بين الونشريسي وأهل فاس بسبب فتواه بعدم تضمين الراعي بالتناوب، بينما العمل بفاس تضمين الراعي المشترك[2].

ساعد مناخ البحر الأبيض متوسط وخصوبة المراعي في بلاد المغرب الإسلامي علي ممارسة النشاط الرعوي علي مجالات واسعة، وتربية المواشي باختلاف أنواعها من الأغنام والأبقار والماعز والخيل والبغال والحمير وغيرها، حيث كانت الكثير من القبائل البربرية تمارس النشاط الرعوي في مختلف القرى والمدن[3].

ج:طرق ممارسة النشاط الرعوي في الأندلس: لا يختلف النشاط الرعوي في الأندلس عن النشاط الرعوي في بلاد المغرب الإسلامي، ففي الأندلس كذلك هناك نوعان من الرعي، الرعي المختلط بمناطق الزراعة، والرعي الشبه صحراوي، ففي الحالة الأولي عادة ما يكون صاحب الماشية هو المزارع أو صاحب الأرض، بينما في الحالة الثانية لا يتعاطي صاحب الماشية مهنة غير الرعي:

ففي البلاد الأندلسية هناك اتساع واضح لمناطق الرعي الشبه الصحراوي في مناطق الزراعة، لا سيما في قرطبة وجيان وشلب، والمنطقة بين شرق اشبيلية، وبطليوس، حتى غنائم نصارى شمال اسبانيا إن أغاروا على هذه الجهات لا تكون إلا من الماشية والأغنام، ولا يغنمون

1- **حسن علي حسن**: المرجع السابق، ص 251.

2- **ابن خلدون:** المصدر السابق، ص ص 38.38.

3- **حسن علي حسن**: المرجع السابق، ص 252.

إلا أعدادا كبيرة حتى من منطقة صغيرة مثل أستجة، حيث غنموا خمسين ألفا من الغنم وألفين من البقر في مرة واحدة، شمل الرعي المختلط بمناطق الزراعة مناطق الرعي الشبه الصحراوي.

لا يقتصر ممتهن الرعي علي نوع واحد من الحيوانات، وكثيرا ما تربي الأبقار والأغنام والخيول والبغال والجمال في منطقة واحدة، وذلك يعتمد علي اختلاف البيئة الجغرافية، وقد كانت منطقة الأغنام والأبقار في بلاد الأندلس في جبل زغوان وبونة، ومنطقة قرطبة وجيان، وشرق اشبيلية وشلب، ولكثرة الأغنام والأبقار في البلاد الغربية، فكثيرا ما كانت تصدر إلي سواحل الأندلس الشرقية من تلمسان والي السواحل الغربية الأندلسية من سهول البلاد الغربية الساحلية، ولم يعرف عن البلاد الأندلسية وجبال درن أنها مناطق منتجة للخيول، حيث كانت حملات الأندلس تفتقر للخيول، لا كن من الناحية التجارية أصبحت سوق الخيل من اشبيلية من أهم الأسواق، وأن الخيل المستوردة كانت نافقة في الأندلس لانعدام إنتاج الخيل[1].

كانت الكلاب في البلاد الأندلسية تسمن بغرض الأكل في البلاد الجريدية وسجلماسة، وكما يبدو أن بعض الكلاب كانت تربي لأغراض الحراسة، وتباع بسعر مرتفع ، فقد كانت تباع واحدة بخمسة دنانير، والعادة يقوم أصحاب الماشية بالرعي في مناطق الرعي الشبه صحراوي إذا لا ترد إشارة عن استئجارهم لعمال الرعي أو حراسة، بينما يختلف الحال في مناطق الرعي المختلط بالزراعة، حيث أن أرباب الماشية غالبا ما يكونون هم ملاك الأراضي أو الفلاحين، والملكية قد تكون عشرين بقرة أو مائتي شاة أو أربعمائة رأس أو قد تصل إلي ألف أو ألفين، وفي حال الملكيات الصغيرة قد يقوم رب الماشية برعيها بمساعدة زوجته التي قد تساعد أيضا في بيع البن و مستخرجاته، وقد يجمع جماعة مواشيهم فيتناوبون العمل رعيا وحراسة، أو يستأجرون راعيا وحارسا مثلما يصنع كبار الملاك[2].

1- **عز الدين أحمد موسي**: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت، ط1، 1983م ، ص ص. 198.200.

2- نفسه: ص 201.

من مشكلات الرعي المختلط ضياع الماشية أو اختلاطها أيام الحروب والفتن، أو حين يضرب العدو علي ديار المسلمين، وهذه المشكلة تبرز بصورة كبري في البلاد الأندلسية، كذلك من مشاكل الرعي المختلط النزاع المستمر علي المسارح، وإفساد الماشية للزرع وغيرها.

كما أن للنشاط الرعوي مجموعة من الإيجابيات تتمثل في:

- يساهم في الوقاية من الحرائق من خلال استهلاك المواشي لأعشاب الجافة.

- المساهمة في تجدد الغطاء النباتي.

- المساهمة في تنويع التركيبة النوعية للنباتات في المراعي.

- توسيع البؤر المكشوفة من السفوح بفعل تنشيط التعرية.

تعد الأراضي الأندلسية مجالا رعويا بامتياز، ويعتبر النشاط الرعوي مورد اقتصادي موروث، فهو نوع من التكامل والاندماج بين الأنشطة الفلاحية بالمنطقة[1].

مما سبق فإن النشاط الرعوي بما يوفره من حيوانات نفعية والتي عمت فوائده مختلف فئات المجتمع بطرق مباشرة وطرق غير مباشرة، كاستغلال أصوافها وأوباها وأشعارها، أو اعتمادها للركوب والحمل ومختلف أعمال الفلاحة من حرث ودرس وغيرها، وشكلت في نفسه الوقت أساسا لقيام حرف أخري داخل المجتمع غير أن هذه الفوائد لا يمكن تحقيقها إلا من خلال العناية بهذه الحيوانات، وتخصيص رعاية خاصة تليق بحال ضعفها وتتناسب والدور الحيوي الموسوم لها، ولذلك عدت الرعاية سعيا مشكورا وعملا مأجورا.

وفيما يتعلق بأمور تنظيم الرعي يمكن القول بأن المصادر الفقهية بكل أنواعها كانت كفيلة لتوضيح ما للراعي وما عليه سواء أكان هو صاحب الماشية أو مستأجرا لرعايتها، وكل أمر كان فيه تعدي أو تفريط المسئول عنه ملزم بالتضمين.

1- **جودت عبد الكريم يوسف**: المرجع السابق، ص 100.

ثانيا: مجالات النشاط الرعوي في الغرب الإسلامي (بلاد المغرب والأندلس).

عرف الرعي انتشارا واسعا عبر العديد من مناطق المغرب الإسلامي والأندلس، وقد ارتبط ارتباطا وثيقا بالظروف الطبيعية والعوامل البشرية، وكلها عوامل أثرت علي النمط المعيشي لدي الرعويين، خاصة الرحل منهم الذين اتخذوا من الترحال والتنقل وسيلة لتوفير حاجات مواشيهم من الماء والكلأ داخل المجتمع، وهذا ما سنتطرق له في هذه المحاضرة المجال الرعوي في كلا من بلاد المغرب والأندلس.

أ: المجال الرعوي في بلاد المغرب الإسلامي: إن المغرب الإسلامي كمجال جغرافي استوطنته مجموعات قبلية متنوعة، مزجت في نظام حياتها بين نظام الرعي والاستقرار الفلاحي والحياة التجارية، ومنه فلم يكن النشاط التجاري العامل الوحيد في ظهور المدن، فالحركة العمرانية عملت علي نمو الحركة الاقتصادية أساسها الزراعة وتربية المواشي حول المدن والرعي الواسع بعيدا عنها[1].

لقد أحيطت مدن المغرب الإسلامي بقري ساهمت في توفير المسارح والمراعي اللازمة لمختلف الحيوانات، كونها النواة السكنية في المجال الريفي، ومن قري المغرب الأوسط نذكر حرثيل والتي يخبرنا عنها **ابن حوقل** بقوله:" **قرية قريبة كثيرة الزرع والمياه"**، كذلك يصف القرى المتواجدة بين مدينتي تلمسان وأفكان بقوله:**" ومنها تلمسان إلى قرية تعرف أيضا بالعلويين وهي قرية عظيمة آهلة علي نهر ولها أجنة وعيون ومنها إلي تاتانلوت وهي قرية جليلة كثيرة ذات أجنة وأرحية واديها وفواكه مرحلة..."**[2].

والواضح من النص اقتران وفرة المياه بتنوع الإنتاج الزراعي الذي بدوره ليكون عاملا في تنوع الثروة الحيوانية الرعوية.

أما شرشال فكان لها بادية اكتسب أهلها مواشي وغنما كثيرا، وأكثر أموالهم الماشية، وهذا يعود لوفرة الحنطة والشعير عندهم وهو الغذاء الأول لهذا النوع من الحيوانات، كما ساهمت

1- **جودت عبد الكريم يوسف:** المرجع السابق، 72.

2- **ابن حوقل**: المصدر السابق، ص 86.

وفرة الحنطة والشعير ببادية جزائر بني مزغنة في كثرة المواشي من البقر والغنم، كما يؤكد الإدريسي بكبر باديته وكثرة مواشيها، وينبه إلي الحصون التي أحاطت ببجاية علي مراعي ممتدة، وتربية الماشية بالبادية ليست مستقلة عن مصالح أهل المدينة، بل تأسست علي علاقة عضوية بين الطرفين، زيادة علي الاستهلاك اليومي لأهل الحضر من لحوم وحليب ومشتقاته وجلود وصوف وغيرها، وهذا ما أكده صاحب المقدمة بقوله:" ...الدنانير والدراهم مفقودة لديهم –البادية- إنما بأيديهم أعوضها من مغل الزراعة وأعيان الحيوان أو فضلاته ألبانا وأوبارا وأشعارا وإهابا مما يحتاج إليه أهل الأمصار فيعوضونهم بالدنانير والدراهم[1].

وقد غلب على قري المغرب الإسلامي الطابع الفلاحي، إذ لا توجد مدينة في الغرب الإسلامي إلا ولها منطقة زراعية أو قابلة للزراعة، كما وجدت الأنشطة الاقتصادية للقبائل المستقرة تكاملا مع النشاط الرعوي[2].

أما المناطق الجنوبية في بلاد المغرب والسودان فقد تميزت بكونها صحراء جافة، تشكو من شح المياه وانعدام التربة الخصبة الصالحة للزراعة، ما عاد بعض الواحات والمراعي الموسمية، لا كن هذا لا يعني انعدام الحياة الرعوية فيها، بل في بعض المناطق يقع أقوام رحالة ينتقلون في أكنافها، ويرعون مواشيهم في أدانيها وأطرافها وليس لهم ثبوت[3]، في مكان ولا مقام في الأرض، وإنما يقطعون دهرهم في الرحل والانتقال دائما لا كن لا يخرجون عن حدودهم ولا يفارقون أرضهم ولا يمتزجون بغيرهم، ولا يطمئنون لمن جاورهم.

تميزت الأوراس بالمراعي الكثيرة والمياه الغزيرة الدائمة، علما أن أفضل المراعي للمعز كان في الجبال، كما اشتهرت مدينة بني مزغنة ببادية كبيرة وجبال فيها الكثير من البربر وأكثر أموالهم المواشي من الأبقار والغنم.

1- **ابن خلدون**: المصدر السابق، ص 169.

2- **نوال بلمذاني:** المرجع السابق، ص 175.

3- **ابن حوقل**: المصدر السابق، ص 99.

وكانت الأراضي الرعوية ملكا خاصا، فمن حق أصحابها منع كلأها عن غيرهم إن احتاجوها ماعدا في الصحاري والبراري التي بقيت ملكا مشاعا، وبالتالي يحق لمن سبق إليها استغلاله والاستفادة منها، أما الملكية الخاصة فكانت مقسمة إلي فردية وجماعية حيث تكون مساحات واسعة من المراعي ملكا لأهل القرية الواحدة يتوارثونها ويستغلونها جماعيا، كالفحوص المنتشرة بين تاهرت وتلمسان التي كانت لقبائل زناتة[1].

وكانت منطقة الخيول في المسيلة والزاب إلي منطقة تلمسان، حيث اشتهر بنو راشد بتربيتها في هضاب ونثريس، وكانت تلمسان منطقة الخيول الأساسية في المنطقة الغربية لبلاد المغرب الأوسط، وذكر الإدريسي أن أهل المسيلة سوائم وخيل وأبقار وأغنام، ويبدو من خلال بعض إشارات المصادر الإخبارية أن سكان المناطق الجبلية كتوجين ومغراوة، أما القبائل الناجعة فأغلب حيواناتهم الإبل وأما تربية الخيل فكانت تتم في رعاية سكان السهول والهضاب العليا، وتربية البغال في المناطق الجبلية، بالرجوع إلي المصادر الجغرافية نكتشف أن النطاقات الرعوية عرفت انتشارا واسعا في بلاد الغرب الإسلامي، حيث يشير **ابنحوقل** إلي الوفرة الإنتاجية التي تتعلق بهذه المراعي فقال:**" أن ثيهرن كانت أحد معادن الدواب والمشية والغنم والبغال والبراذين (هي جنس من الخيل) والفراهية**"[2]، ويكثر عندهم السمن والعسل وضروب الغلاة. وهو نفس الوصف اليذي يشير إليه **الإدريسي** من أنها نتاج البراذين والخيلة كل حسن، وأما البقر والغنم فيها كثيرة جدا، وكذلك العسل والسمن وسائر غلاتها كثيرة ومباركة، وهي الثروة الحيوانية الوفيرة التي دعمت اقتصاد الدولة الرسمية في عهدها وملأت أسواقها كما اعتاد الفلاحون علي تربية الحيوانات، واشتهرت كل مدينة في هذه البلاد بتربية أنواع مختلفة من الحيوانات والتي سنتطرق لها بالتفصيل في المبحث القادم.

وفي هذا يشير الإدريسي إلي أن مدينة الجزائر أكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم، وبما أن بيئات بلاد المغرب تختلف جغرافيا فقد ظهر اختلاف في توزيع الحيوانات جغرافيا،

1- **نوال بلمذاني:** المرجع السابق، ص 180.

2- - **عصام الدين عبد الرءوف**: تاريخ المغرب والأندلس، ملكية نهضة الشرق، القاهرة، 1984م، ص 12.

ففي المغرب الأقصى نجد مثلا ذلك الاختلاف في التوزيع ناتج عن اختلاف السطح والمناخ مما نتج عنه أقاليم رعوية كثيرة، خاصة في منطقة الأطلس الأوسط[1].

فقد كان الرعاة لسوق مراكش الخاص بالخيل لاقتناء ما يحتاجون من مأكولات للحيوانات، حيث كان للرعي نظام اقتضاه العرف بين الناس، بسبب ما كان يثار بين السكان من مشاكل ونزاعات على المسارح من حين لآخر[2].

كما توسع المجال الجغرافي للرعي إلي المنطقة الغربية إلي كل من المغرب الأقصى خاصة في وجدة فهي كثيرة البساتين، وجبال غمارة وهي من أخصب جبالها وبها بسائط كثيرة للحرث والرعي ، وفاس، ودرعة والسوس، وسجلماسة[3].

لم يقتصر مجال الرعي في المناطق الساحلية فقط، وإنما كانت المناطق الداخلية أيضا مجالا للرعي خاصة في الجبال الريفية ذات المراعي الوفيرة، إذ نجد مقرة المتواجدة بإقليم الزاب تتميز بخصوبة أرضها مع توفر كميات هامة من الماء حيث قيل عنها:" ...بلد كبير ذو ثمار وأنهار ومزارع"، كما نجد توسع مجال الرعي إلى صحراء زناتة شرقا، وفي درعة وسجلماسة، وسكانها الملثمين، والذين لم يكونوا يعرفون حرثا، ولا زرعا، ولا فاكهة، وإنما أموالهم الأنعام نتيجة لانتشار المراعي.

وهناك مناطق رعوية كثيرة في المغرب الإسلامي لتنوع السطح والمناخ فقد اشتهرت مدينة برقة بمراعيها الدائمة الخضرة الصالحة للسائمة والحيوان، وتنتجع مراعي سرت بعد هطول الأمطار، ولمدينتي سوسة وبونة مراعي مليئة، ولا كن غلب الرعي علي مناطق بلاد المغرب الأوسط لكثرة مراعيه فنجد أيضا من المناطق الرعوية فيها إضافة إلي التي ذكرت

1- **جودت عبد الكريم يوسف:** المرجع السابق، ص 65.

2- **حسن علي حسن:** الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م، ص 249.

3- **مؤلف مجهول:** الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 177.

سابقا نجد هضبة الشطوط والجيهات المحيطة بها ومتيجة ، كما توفرت حول مدينتي بني وارفين ومدينة وجدة وجبل الدرقة والسوس، كما كثرت المراعي بنواحي أغمات ومدينة البصرة[1].

ب- المجال الرعوي في الأندلس: حرصت بلاد الأندلس علي تربية الماشية علي مجال واسع، فقد كان المجال الرعوي أحد المكونات الرئيسية للقطاع الفلاحي، ويعتمد ذلك علي الموارد النباتية الطبيعية، وينتشر الرعي في الأندلس علي مجالات سهبية ضعيفة المردودية، وأخري جيدة المردودية.

عرفت المجالات الرعوية في الأندلس تدهورا وتراجعا مستمرا، وذلك تماشيا مع تزايد متطلبات الحمولة الديمغرافية، التدهور والتراجع الذي طال على هذا المجال الرعوي أدي إلي تفقير الغطاء النباتي والاستغلال العشوائي للموارد الغابية، هذا ما جعل اختلاف في النشاط الرعوي في الأندلس، ولابد من تحسين مستوي عيش السكان الريفيون، ومربي الماشية وأهمية المحافظة علي استدامة الموارد الطبيعية، فتحديث أساليب الرعي وتثمين الموارد النباتية والحيوانية من شأنه أن يرفع من دخل هؤلاء، وبالتالي تحسين من ظروف عيشهم[2].

تعد الأراضي الأندلسية مجالا رعويا بامتياز، فالنشاط الفلاحي المكثف هو تحول زراعة الورديات والأشجار المثمرة إلي تسمين المواشي فهو نوع من التكامل والاندماج بين الأنشطة الفلاحية بالمنطقة، ومظاهر الخلل تتضح جليا بفعل الاستغلال الكثيف للمادة النباتية في التركيبة النوعية للمراعي والبنية العمودية والأفقية[3].

نافلة القول هو أن المناطق الرعوية في كلا من المغرب الإسلامي والأندلس انتشرت علي مجالات واسعة، وشملت الملكيات الخاصة والعامة علي حد سواء، وقد امتازت كلاهما بتوفر الثروة الحيوانية حتى أصبحت مشهورة بالطابع الرعوي، خاصة بلاد المغرب الأوسط بالدرجة الأولي، وأن نظام الرعي وممارسته علي وجه العموم سواء في بلاد المغرب الإسلامي

1- **حسن علي حسن:** المرجع السابق، ص 250.

2- **ابن منظور**: المصدر السابق، ص 26.

3- **حسن علي حسن:** المرجع السابق، ص 250.

أو الأندلس كانوا تحت وطأة الطبيعة، وندرة الموارد مما أدي إلي عدم تكافئها في توزيعها علي مستوي المجال الجغرافي، وكلها عوامل أجبرت الرعاة علي التنقل من أجل توفير الكلأ، ومصادر المياه لمواشيهم ودوابهم.

المحاضرة الثالثة عشرة

القبائل الرعوية في الغرب الإسلامي وتربية الحيوانات (بلاد المغرب والأندلس)

يعد الرعي وتربية الحيوانات من أقدم ما عرفه الإنسان من مهن، وعليه قامت حياة شعوب كاملة معتمدة على نبتات رعوية أوجدها الله سبحانه وتعالي وذلك لقوله:" **والذي أخرج المرعي، فجعله غثاء أحوي"**[1]، والرعي نوعان فهناك الرعي المختلط بمناطق الزراعة، أين يكون صاحب القطيع هو المزارع أو صاحب الأرض، والرعي الشبه الصحراوي ولا يمتهن صاحبه حرفة غيره[2]، وهذه الأنماط الرعوية انتشرت ببلاد المغرب الإسلامي والأندلس، حيث نجد القبائل الرعوية منتشرة في كلا البلدين

أولا- القبائل الرعوية في الغرب الإسلامي:

أ- القبائل الرعوية في بلاد المغرب الإسلامي:

1- المستقرون: شكل النظام القبلي أساس البنية الاجتماعية والسياسية لبلاد المغرب، وقد عمرته القبائل الرعوية كباقي المناطق حيث نجد توزع القبائل البربرية في المغرب الأوسط، وهذا النوع من القبائل مستقرة ببلاد المغرب، ومنه فإن الرعي شكل جزءا هاما من النشاط الريفي الزراعي المغربي، ويقوم أفراده بنشاطات أخري إلى جانب الرعي، والمتمثلة غالبا في الزراعة، فقد كانت تلمسان خزانة زرع ومسرح ضرع.

كان الرعاة يمارسون أعمالهم أحيانا في الأراضي الزراعية، ذلك بعد عملية الحصاد لتنظيف الأرض، حيث لا يبتعدون في طلب المراعي ولا يتجاوزون حدود قراهم، وقد يبتعد الرجل بماشيته منفردا، بمعني عرفوا الاستقرار مع نزول معظمهم في المناطق الساحلية القريبة

1- **سورة الأعلى**: الآيتين 4.5.

2- **جودت عبد الكريم يوسف**: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرن (3-4هـ 9-10م)، المطبوعات الجامعية للنشر، بن عكنون، الجزائر، ص99.

من البحر، والجبلية الممتدة عبر المغرب وهذه المناطق تطيب فيها التربة، وتكثر فيها الأمطار، وتكون فيها الزراعة ميسورة والحياة مستقرة.

ويذكر ابن خلدون أن هذا النوع من القبائل يتخذون البيوت من الحجارة والطب ومن الخوص والشجر، إذن المستقرون ليسوا أهل المدن فقط، إنما استقر بعضهم في المدن، والبعض الأخر سكن البادية أو القرية، وقد اختلفوا عن القبائل الرحل في درجة التحضر التي وصلوا لها بفضل استقرارهم، وعيشهم في الأرياف والقرى وذلك يعود لاتساعها لما لا تتسع له الحواضر من المزارع والمسارح للحيوان وغير ذلك[1].

وتضل أبرز القبائل المستقرة في المغرب الأوسط نجد قبيلة صنهاجة الشمال التي كانت لها مواطن بالمغرب الأوسط، حيث سكنوا البسائط وبعض الجبال بقرب الساحل، أي كانوا مستقرين حيث امتدت مواطنهم من مسيلة إلي حمزة إلي الجزائر والمدية، ومليانة، وتاهرت ، كذلك هنالك قبائل صنهاجة، وقبيلة كتامة، ويكشف لنا البكري عن مواطن استقرارهم بقوله:**" وسكن قسنطينة قبائل شتي من أهل ميلة ونفزاوة وقسطيلة، وهي قبيلة كتامة".**

وهناك قبائل الزواوة حيث صنفهم اليعقوبي من أصحاب الزرع الضرع، ويشير الإدريسي إلي أنهم من القبائل التي استقرت بجبل الوانشريس، إضافة إلى قبائل أزدابة من أشهرها بني مسقن ومسطاسة، وكل هذه القبائل كانت تمارس الزراعة إلى جانب الرعي[2].

2- الرحل: بارة عن نظام عرفه سكان بلاد المغرب، بحيث كانوا ينتقلون بقطعانهم من الصحراء الي المناطق القريبة من السواحل الأكثر خصوبة، كقبائل الجيتول التي شكلت خطرا على السلطة الرومانية بافتتاحها للأراضي الزراعية[3]، وهذه الظاهرة على رأي البشير شانتي أنها ظاهرة

1- **نوال بلمذاني**: نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4-5ه_10-11/)، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2014/2013م،جامعة وهران، ص 109.

2- **ابن خلدون:** المصدر السابق،ص 186.

3- **نوال بلمذاني:** المرجع السابق، ص 109.

طبيعية حتمتها العوامل الجغرافية القاهرة لامتهان أسلوب التحرك كسبا للقوت، وهذا النمط من الرعي قائم على التنقل الدائم للراعي[1].

وحاجات القطيع للكلأ والماء التي تحدد التنقلات السنوية والموسمية للرحل، لذا نجد الكثير منهم يرحلون داخل الصحراء أثناء فصل الشتاء، ويستقرون بالقرب من مصادر المياه، وعند أطراف الصحراء خلال فصل الصيف، ومثال على ذلك قبائل زناتة، وقبيلة مطمامة، وبنو دمر وغيرها.

لم يكن البربر وحدهم من مارسوا حرفة الرعي المتنقل، فقد كان العرب يربون المواشي والخيل ويطلبون المراعي، وكانت الإبل متاعا لهم ومالا وثروتهم وأرزاقهم، ومثال علي ذلك القبائل الهلالية، فبعد ما تمكنوا من إخضاع صنهاجة استقروا بجبال الأوراس[2].

اشتهرت القبائل الرعوية في بلاد المغرب الإسلامي بتربية الماشية، ولكل قبيلة قطيعها وأراضيها الرعوية التابعة لحدودها، فيخرج الأفراد من المدينة إلي المراعي في البادية، ولابد من توفر وممارسة النشاط الزراعي أو النشاط الفلاحي بصفة عامة، وهي خاصية امتازت بها مدن المغرب الإسلام بحسب وصف صاحب **الاستبصار** بقوله:**" كثيرة...وأكثرها ساحلية، وهي كثيرة الخصب والزرع، وكثيرة الغنم والماشية، طيبة المراعي ومنها تجلب الأغنام إلي الأندلس برخصها وطيب لحومها..."**[3].

تعد الواجهة الشمالية من أخصب وأغني الجهات من حيث نوعية التربة ووجود المراعي وزراعة الحبوب والمغارسة، حيث اشتهرت المسيلة بمزارعها الممتدة، وامتلاكها الخيل والأغنام

1- **شبير شنتي** : الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، سياسة الرومنة 40م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2،1985م، ص 20.

2- **السويدي محمد**: بدو الطوارق بين الثبات والتغيير، دراسة سسيوأنتربولوجيا في التغيير الاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ب ط، 1986م،ص 32.

3- **مؤلف مجهول**: الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 179.

الأبقار[1]، ومدينة جراوة كان حواليها بسائط عريضة للزرع والضرع[2]، بينما تميزت مراعي القلعة بجودتها وخصوبتها وصلاحيتها للسوائم والدواب، كونها بلاد زرع وضرع وخصب[3].

كما اختصت أراضي مدينة تاهرت بمزارع وضياع جمة مما سهل عليها نتاج البراذين والخيل، أما البقر والغنم بها فكثيرة جدا فهي متواجدة من منطقة سباسب شاسعة صالحة للري، مما جعلها مركز اتصال بين البدو والرحل، وسكان المدن والأرياف[4].

وكان وجوه رؤساء قبائل مزاتة وسدراتة وغيرهم انتجعوا بالقرب من تاهرت ودخلوا المدينة، كما أن بعض القبائل الرعوية استقرت خارج أبواب المدينة، والأخرى كانت تؤمنها في فضل الربيع من أجل الرعي والتجارة، وأصبحت المنطقة منتجعا لقبائل شمال الصحراء، فكثرة مراعيها أكسبتها صفة الرعي أكثر من الفلاحة.

في الواقع هذه حقيقة لا يمكن إنكارها عن مجتمعنا، وخاصة وأن هذه الظاهرة لها استمرارية لحد اليوم، فمثلا نجد جنوب ولاية تلمسان الآلاف من رؤوس الماشية ملكا للبدو والرحل، حيث يعيش المئات منهم في سهوب القور، العريشة، أولاد سيدي الجيلالي، حيث يمارسون حرفة الرعي كنشاط رئيسي دون سواه، ولا تربطهم بالمجتمع الحضاري سوي حاجة التسوق واقتناء الحاجيات الاستهلاكية[5].

أما مراعي وجدة حسب وصف البكري، أنها كانت أنجع المراعي وأصلحها، حيث ينتهي شحم شاه من شياهم مائتي أوقية، وهذا ما يؤكده صاحب الاستبصار من خلال إشارته إلي صلاحية المراعي للماشية، ونفس الأهمية يبديها الحميري بقوله**:" ومراعيها أنجع المراعي**

1- **ابن حوقل**: المصدر السابق، ص 85.

2- **الحميري شهاب الدين أبي عبد الله (627ه- 1229م)**: معجم البلدان، مجلد(5.4.3.2.1.)، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، 1977م، ص 613.

3- **الإدريسي**: المصدر السابق، ص 251.

4- **الحبيب الجنحاني**: المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الدار التونسية للنشر، تونس، ب ط، 1977م،ص ص 103.104.

5- **نوال بلمذاني:** المرجع السابق، ص 170.

وأصلحها للسائمة"، وغالبا ماكانت المراعي ملكا مشاعا بين الأفراد، لأن الكلأ والماء من الأشياء الثلاثة التي يشترك فيها الإنسان، فالكلأ النبات الرطب كان أم يابسا، فإباحته موضع إجماع في الأرض المباحة، والجبال التي لم يحرثها أحد، إلا ما حماه الإمام، ويحرم منع المياه المجتمعة من الأمطار في أرض مباحة غير مملوكة لابد لصاحب الأرض أن يرسل الفاضل بعد كفايته منها.

وفي هذا النوع من الأراضي يخرج كل راع بمواشيه علي حدة أو يخرجون معا، وهناك يجتمعون معا، إلا أن الغالب علي طريقة البربر هي التربية الجماعية، فتعهد القبيلة أو مجموعة من السكان إلي راعي مسئول يساعده عدد من الرعاة ذوي معرفة ودراية عامة بالمراعي وهذا النظام يسمي المشتي، وكان علي أصحاب الأغنام أن يسموها للتمييز بينها ومعرفتها[1].

ب- القبائل الرعوية في الأندلس: ارتبطت الحياة الفلاحية للقبائل بالأندلس بالاهتمام بالماشية والعناية بها، ولا يقتصر منصب الرعي علي نوع واحد من الحيوانات، فكثيرا ما تربي الأبقار والأغنام، والخيول والبغال، والجمال في منطقة واحدة، وذلك يعتمد علي اختلاف البيئة الجغرافية، وهذا ما تزخر به منطقة الأندلس.

شكل القطاع الفلاحي موردا أساسي للقطاع الاقتصادي، وانقسمت القبائل الرعوية إلي صنفين الرحل وهم البربر والمستقرين وهم البرانس أي لا يختلف عما هو موجود في بلاد المغرب الإسلامي، وهذا التقسيم حسب ابن خلدون[2].

ثانيا: تربية الحيوانات في بلاد الغرب الإسلامي: تعتبر تربية الحيوانات عمل قائم بذاته، وكثيرا ما كان متصلا بالنشاط الزراعي من تربية لأغنام ي والخيول، والبغال والجمال، ضمن مجال جغرافي واحد، حيث اهتمت القبائل بتربية الماشية خاصة، وبما أن بيئات المغرب الإسلامي والأندلس تختلف جغرافيا فقد ظهر اختلاف في توزيع ثرواته الحيوانية.

1- **محمد الطنجي**: نضرة التشريع الإسلامي في استغلال المراعي والمياه والغابات، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، العدد 7، السنة 3، شوال 1379ه-1960م، ص 13.

2- **ابن خلدون**: المصدر السابق، ص 31.

قال سبحانه وتعالى:" **والأنعام خلقها لكم فيها دفئ ومنافع و منها تأكلون و بما جعل من أطوافها و أوبارها وأشعارها يلبسون ويفترشون و من ألبانها يشربون ومن أبنائها يأكلون"**[1]، لذا يعد الرعي الوسيلة الوحيدة الاستغلال الجيد لها بالنسبة للمناطق الجبلية غير أن تربية الحيوانات لم تقتصر على المواشي والدواب فقط في مزارعهم إنما عملوا على تربية النحل و غيرها و من أهم الحيوانات التي اهتموا برعايتها و تربيتها[2] فبلاد المغرب نجد:

1- المواشي: لم يقتصر الراعي علي نوع واحد من الحيوانات حيث عمل علي رعي الضأن والماعز في الجبال وسفوحها، ومن أشهر مناطق تربية للمواشي في المغرب الأوسط نجد أهل المسيلة أين تكثر عنهم المواشي والغنم، وكانت الأوراس فيها مراعي كثيرة واشتهروا بتجارة الغنم والصوف والماشية والدواب وسائر الكراع، كما وجدت المواشي دون تحديد أنواعها في كل من الجزائر وبني مزغنانة وشرشال، وتوجد أيضا في كل من الغدير ووهران وغيرها.

كذلك نجدها تتركز في كل من برقة التي اشتهرت بمراعيها الدائمة الخضر الصالحة للمواشي، كذلك اهتمت كل من سوسة وبونة بتربية المواشي لاحتوائها علي مراعي كثيرة ومليئة، بالإضافة إلي المنطقة المحصورة بين برشك ومازونة والتي اشتهرت بكثرة إنتاجها للصوف، وكان يقوم بهذا العمل قبائل زناتة ومغراوة وبنو راشد، وبنو عبد الواد، وبنو مرين، وعرفوا علي أنهم قوم رحالة ضواعن ينتجعون من مكان إلي مكان غيره[3].

- الأغنام: ساهمت وفرة المراعي وملائمة المناخ ببلاد المغرب الإسلامي، وتزايد استهلاك اللحوم والأصواف والجلود في انتشار تربية المواشي علي رأسهم الأغنام خاصة الضأن، فهي من الحيوانات المباركة، تحمل الأنثى بواحد أو اثنين، وتشتهر أراضي السهوب بتربية هذا النوع من الماشية بحيث تعيش علي شكل جماعات أو قطعان مرفقة بأفراد من الماعز ليقودها إلي المرعي.

1- **سورة النحل:** الآية 5.

2- **ابن الكثير**: تفسير القرآن العظيم، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2000م، ص 102.

3- **إسماعيل سامعي**: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ب ط، 2007م، ص 275.

تعد تربية الضأن أساس كثير من العمليات الإنتاجية الزراعية مثل إنتاج اللبن والصوف واللحم والسمن، وتزبيلها عظيم النفع في الزرع وفي جميع المستغلات، والضأن كثير الصوف تحتمل شدة الشتاء أكثر من غيرها قليلة الصوف المجعدة[1].

من أشهر المدن التي عرفت باديتها تنوعا في الثروة الحيوانية نجد مدينة موسي الدجاج التي كان بها من الألبان والمواشي ما يغرق غيرهم ممن جاورهم، وعرف بربر جزائر بني مزغنة بكثرة مواشيهم من البقر والغنم السائمة في الجبال، ولمدينة شرشال بادية يغلب علي أهلها البربر وأكثر أموالهم الماشية، ولا تختلف عنها المسيلة في كثرة المواشي والدواب والأنعام والأبقار، خاصة وأنها في بساط الأرض، ولا تستثني مدينة تاهرت من ذلك فهي أحد معادن الدواب والماشية والغنم، كذلك اشتهرت مدينة وجدة بصلاحية مراعيها لذوات الحافر بالمقارنة بين مختلف المواشي التي استأنسها الإنسان.

يبقي الضأن الأكثر انتشارا والأكثر عددا لقدرتها على مقاومة برد وثلوج الشتاء، وحرارة الصيف وجفافه، على عكس الأبقار، وبما أن الماعز من الأغنام التي استأنسها الإنسان، وكانت الرفيق الدائم للضأن في مراعيها، فما من شك أنها تواجدت بمسارح المغرب الإسلامي.

لقد أشارت المصادر إلى تربية هذا النوع من الحيوان بجبل بوسعيد المجاور لمدينة تنس، إذ يملك أهله كمية كبيرة ووافرة من العسل والشعير والماعز، لا كن طبيعة التغذية تفرق هذا الحيوان عن غيره، ذلك أن أفضل المراعي بالنسبة للماعز هي الغابات والمناطق الجبلية، علي عكس الضأن التي تفضل المراعي المكشوفة ذات الأعشاب القصيرة، إضافة إلي أن الماعز تتكيف مع التنقل من غيرها حركة وسرعة[2].

والواضح أن الماعز تضع مرة واحدة في السنة، لكن إذا كان مرعاها خصيب تضع

1- **حساني مختار**: تاريخ الدولة الزيانية- الأحوال الاقتصادية والثقافية، ج2، دار الحضارة الجزائر، ط1، 2007م، ص 39.

2- **مصطفي كمال**: إنتاج الضأن والصوف، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية، 1972م، ص 267.

مرتين في السنة، كما أنها تفضل على الضأن بغزارة البن، وتخن الجلد[1].

- الأبقار: تنتشر تربيتها حيث المراعي دائمة الخضرة، كونها تتطلب الأعشاب الكثيرة والأراضي المستوية الخالية من السفوح الشديدة الانحدار[2]، وتحب الرعي مجتمعة مع بعضها البعض، وقد استخدمت في مختلف العمليات الزراعية إلي جانب الفوائد الأخرى، كتزويد الأهالي بالحليب ومشتقاته وباللحوم والجلود، وتوفير السمن والزبدة، ولم يقتصر استهلاك منتجات الأبقار علي المدن بل تعداها إلي البوادي، وكانت تربيتها تنتشر بالمناطق الساحلية والسهول، في كل من بونة وجزائر بني مزغنة وطنجة والمسيلة، وتاهرت، وعلي نهر ملوية وتامسنا وغيرها.

2- الدواب: تعتبر الدواب أحسن البهائم صورة وأكثرها نفعا، فهي من ذوات الحافر، وقد خلقت ليستغلها الإنسان في الركب وذلك استنادا لقوله تعالي:**" والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة"[3]**، ثم هداه إلي تدليلها وتصريفها تحته في أنحاء مقاصده ولا يقتص دورها علي الحمل والجر فقط وإنما تشارك في العمال الفلاحية الأخرى أهمها الدرس وكذلك زبلها اذا برد ومر عليها عام كان حيد لكل بقل ضعيف فمنها:

- الخيل: هي من الحيوانات المشرف وأحسنه صورة وأشدها عداوة وذكاء وله خصال محمودة واستعملت ذكورها للغزو وإناثها للنسل، وتحب الخيول المروج والأماكن كثيرة المياه، وتشرب الماء الكدر، عرفت بلاد المغرب أنواع عديدة من الخيول ولقد كسب البربر الخيل للركوب والنثاج منذ القديم، ومن ابرز القبائل التي اهتمت بهذا النوع من الحيوان قبيلة زناتة، فأكثرهم فرسان يمارسون الخيل، واتخذت القبائل المنتشرة حول مدينة تاهرت من بواتة ومطماطة، العبيد والخيول، كما اهتم أهل المسيلة باربية الخيل، واهتم الفاطميون باقتناء الخيول، وقد اشتهرت بعض المناطق بتربية الخيول في بلاد المغرب الإسلامي منها جبل الأوراس وبادية مدينة بونة[4].

1- **ابن البيطار**: منافع الحيوانات وخواص المفردات، المكتبة الوطنية الفرنسية، باريس، مخطوط تحت رقم 2771، ص 30.

2- **ابن وحشية**، المرجع السابق، ص 334.

3- **سورة النحل**: الآية 8.

4- **ابن البيطار**: المصدر السابق، ص 5.

- البغال: أصل هذا الحيوان متولد من الفرس والحمار لذلك له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو من أهم الثروات الحيوانية الموجودة لدي أهالي بلاد المغرب، وكانت تجهز من المغرب إلي المشرق[1]، وكان يباع بالمسيلة بأغلى الأثمان فهي تتميز بشدة قوتها وتحملها، لهذا الغرض كانت تتشارك في العمال الحربية[2]. واستعملت الحمير لنقل البضائع وركوب الفئات الشعبية الوسطي، واشتهرت بتربيتها مدينة برقة، وبادية بونة، وكانت تلمسان منطقة الخيول الأساسية ببلاد المغرب، ولقد استخدم أهل المغرب البغال والحمير لحمل غلاتهم وأمتعتهم فاشتهرت قرى مدينة تاهرت بالبغال وقرى مدينة صبرة بالحمير[3].

- الإبل: من ميزاتها تحمل الأثقال مدة أربعين أو خمسين يوما، وترعي في البرية قليلا من العشب والحشائش وأغصان الشجر[4]، غير أن مسارح التلول ونباتها لا تكفي الإبل في قوام حياتها[5]، وقد كان عاملا رئيسيا ساهم بقدر كبير في نمو التجارة خاصة الصحراوية وأصبحت القوافل تسير على ظهر الإبل. وقد كان الجمل من أهم وأكثر الأنواع الحيوانية انتشارا بالمنطقة، فهو لديه قوة تحمل العطش وحمل الأثقال وقطع المسافات الطويلة لا كنها تتأذي بالبرد الشديد، وقد استعملها المغاربة في الصحراء القاسية وفي الربط بين محطات التجارة، فقد ربت قبائل جبل الأوراس الجمال، وكانت زناتة تملك أعدادا كبيرة من الإبل التي ربتها، واشتهرت بتربيتها جهات مدينة برقة وبونة، وكانت تلمسان منطقة الإبل الأساسية في بلاد المغرب الأوسط، وربي بنو راشد أفضل أنواعها بجبل الونشريس.

- تربية الطيور: ربي فلاحو بلاد المغرب الطيور للحصول على اللحوم والبيض مثل الدجاج والإوز والحمام، وطير يعرف بالكركي والعرنوق، كما استخدموا زبلها لتسميد الأرض، وكان

1-**ابن حوقل**: المصدر السابق، ص 95.

2- **جودت عبد الكريم يوسف**: المرجع السابق، ص 67.

3- **جودت عبد الكريم يوسف**: المرجع السابق، ص 68

4- **حسن الوزان**: المصدر السابق، ص 259.

5- **محمد عبد الرحمان مرحبا**: الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، منشورات عويدات، بيروت، ب ط، 1988م، ص 528.

لوفرة البساتين المغربية الأثر الكبير في تربية النحل واستخراج العسل، ومن المناطق التي عرفت بذلك مدينة جلولة التي ضرب بها المثل بطيب عسلها لكثرة الياسمين فيها، وكذلك مدينة بني مزغنة وفي هضاب التل الأطلس الشرقي وبخاصة قسنطينة، ونحو بوادي تلمسان والبصرة وتادلا وأرض دكانة والسوس وتاهرت وشرشال.

كذلك نجد لمرسي الدجاج طيور السماني وطيور الحواض بمدينة بونة بالكيكل فهذا الأخير يعيش فوق الماء ويفرخ إذا أحس أن أحد رفع عشه[1].

ب- **تربية الحيوانات في بلاد الأندلس:** تعددت تربية الحيوانات في بلاد الأندلس كغيرها من الحواضر ولعل من أهم هذه الحيوانات التي انتشرت في الأندلس نجد تربية الأغنام وخاصة في الأرياف الأندلسية، وذلك لتلاؤمها مع الظروف الطبيعية، ومن هذه الحيوانات نجد:

1- الأبقار: يختارون الثيران للحرث والعمل، ولها قائد يتقدم عنها مثل قائد الغنم، وراع واحد يكفي لرعاية الكثير من البقر، وقد كانت إناث البقر تعيش عشرين سنة، وأكثرها كانت سمينة خصيبة الجسد أما ذكورها فتشيب وتقوي قوتها، وحمل إناثها يكون في أوان الربيع والخريف، وقد اتبع الأندلسيون مجموعة من التقنيات للتعامل مع الأبقار، وكانوا يعلفونها الذرة والحبوب والشعير والثمرات الحلوة كالزبيب والتين وورق العنب فإن ذلك يساعد في تسمينها[2].

2- الأغنام: عمل الأندلسيين على تربية الضأن، فهو أهل لفلاحة الأرض وجميع الناس لا يستغنون عن لحومها وألبانها حيث قال عنها قسطوس بوصفها:" ويتخير منها أصغرها رؤوسا وأطولها أعناقا، الحلوة العيون، المتصلة العرانين، الجميلة القرون، الضخمة الأجواف، الطويلة الأكارع والأفخاذ، ويستحسن من النعاج سبوطة صوفهن فإن السبوطة منه يكثر الشعر في صوفها"[3].

1- **جودت عبد الكريم يوسف**: المرجع نفسه، ص 68. 69.

2- **ابن العوام أبي زكرياء يحيي بن محمد الاشبيلي**: المصدر السابق، ص ص 23.22.

3- **ابن منظور**: المصدر السابق، ص 26.

كذلك عملوا علي تربية الكباش حيث وصفوها بالفحولة والصحاح، ويقوم رجل واحد لرعاية مائتي من الضأن ويكون معه غلام ليساعده ويستعين بكلبان إذا كانت مسرحة في المرعي، ويحلبون الشاة لثمانية أشهر، وأكثر الشاة تبقي نحو عشرة أعوام وبعض الأغنام تبقي خمسة عشر سنة، وكان الفلاحين الأندلسيين يرعونها في المساء فيرون بأن ذلك أوفق لها من سائر الأوقات، وكان الرعاة الأندلسيون يعرفون القوي من الضعيف منها في أوان الشتاء من قبل الثلج الجليد فمن كان ضعيفا فإنه يتحرك وينتقض ويلقي علي ظهره الجليد والثلج لحال ضعفه، ومن كان منها يحتمل الشدة والشتاء فهي قوية وإن أدركها المطر لا تتحرك من مكانها إذا لم يلحقها الراعي بل تهلك في مكانها، وكان الرعاة يعلمونها الجري لتتبعهم إذا أحست برعد شديد، وكانوا يعزلون المريضة من السليمة لكي لا تصاب السليمة كون أذاها يعدوا[1].

3- البغال: هي نوع من ذوات الحوافر تطرقنا لها سابقا في بلاد المغرب، فقد استخدموها للركوب والأشغال وحمل الثقل، كونها أصبر الدواب على الجوع وقلة الماء والعلف، وطول السفر، والحمار يحس بالبرد جدا أكثر من سائر الحيوان لا كنه يوصف بالصبر.

4- الجمال: أما الجمال فلا صبر لها على الوحل والزلق، ومن الجمال ما يجاري الخيل فيسبقها، وهي تحب الماء الكدر، ولا تشرب ماء النهر حتى تكدره بأرجلها، وقد استعان الأندلسيين بها للركوب وحمل الأمتعة والتنقل والسفر بها عبر مسافات طويلة.

5- الخيل: اتخذوها للغزو والأشغال، والحمل عليها والركوب، أما إناثها للنسل فهي مهملة في المروج ولا يخرجونها للرعي حتى يدفي النهار وتحمي الشمس ويروحونها باكرا قبل برد الليل فإن البرودة ضارة لها خاصة الحوامل من الخيول، وقد عمل الأندلسيين علي تسمين الدواب بشتى الوسائل والطرق خاصة الهزيلة منها، وعملوا علي معالجة المريضة منها[2].

مما سبق فإن سكان بلاد الأندلس تمكنوا من استئناس أنواع مختلفة من الحيوانات، ويعود ذلك إلي توفر جملة من الشروط الضرورية، وكانت هذه الثروة عاملا أساسيا في ازدهار عدة

1- **عز الدين أحمد موسي :**المرجع السابق، ص 201.

2- **ابن العوام أبي زكرياء يحيي بن محمد الاشبيلي**: المصدر السابق، ص ص 240.255.

أنشطة اقتصادية واجتماعية، عادت بالفائدة العامة على كل أفراد المجتمع، كما ساهمت بشكل واسع في تنشيط حركة الرعي المستقر والمتنقل بالمنطقة.

نافلة القول هو أن المناطق الرعوية في كلا من المغرب الإسلامي والأندلس انتشرت على مجالات واسعة، وشملت الملكيات الخاصة والعامة علي حد سواء، وقد امتازت كلاهما بتوفر الثروة الحيوانية حتى أصبحت مشهورة بالطابع الرعوي، خاصة بلاد المغرب الأوسط بالدرجة الأولي. وأن نظام الرعي وممارسته علي وجه العموم سواء في بلاد المغرب الإسلامي أو الأندلس كانوا تحت وطأة الطبيعة، وندرة الموارد مما أدي إلي عدم تكافئها في توزيعها علي مستوي المجال الجغرافي، وكلها عوامل أجبرت الرعاة علي التنقل من أجل توفير الكلأ، ومصادر المياه لمواشيهم ودوابهم. وأن الزراعة عماد الاقتصاد والأرض فهي تمثل المصدر الرئيسي للكسب والثروة لدي سكان الأرياف، وملكية قطعان الماشية هي المصدر الاقتصادي داخل المجتمع الرعوي التي أحدثت تجمع قبائله حول المدن والمراكز العمرانية الريفية نوعا من النشاط داخل المغرب الإسلامي والأندلس، حيث أن تربية الحيوانات بالبادية لا تقع بطريقة مستقلة عن مصالح أهل المدينة وهذا ناتج عن العلاقة العضوية بين الطرفين، وقد عملوا علي توسيع زراعة الورديات علي حساب المراعي والغابة، فهذا الأخير سلوك جديد يعبر عن تحولات مجالية عميقة علي نمط عيشهم وتنظيم الاجتماعي لسكان المنطقة.

إن القبائل الرعوية عامة سواء كانت تعيش بالرعي أو الزراعة، فإن كيانها الاقتصادي معتمدا أساسا علي خصب التربة وتوفر العشب والماء، فإذا وجدت القبيلة في أرض قاحلة أو قليلة الخصب ففي هذه الحالة غالبا ما تتخذ من الرعي الوسيلة الأولي لكسب عيشها، فإنها تضطر الي التنقل من مكان لآخر، ومن منطقة لأخرى طلبا للعيش والكلأ، مما يجعلها في الغالب تصطدم مع القبائل صاحبة الأرض الخصبة.

الخاتمة

الخاتمة:

وفي الأخير من خلال هذه الدراسة في المصادر والمراجع لهذا الموضوع نصل إلي مجموعة من النتائج المتمثلة في:

- اعتمدت بلاد المغرب الإسلامي والأندلس على نظام تقسيم الأراضي الزراعية إلي مجموعة من الأقسام كأراضي الجزاء والموات التي يمنحها السلطان أو الأمير لمن يخدمها، وأراضي الإقطاع التي كانت ملكا للسلطان إذ يستطيع بموجبها إعطائها لمن يحب، كما نجد أراضي الانتفاع والظهيرة وأراضي الأوقاف وغيرها.

- اهتمت بلاد المغرب والأندلس بالجانب المالي من خلال وضع نظام سياسي ضريبي سعوا من خلاله تحقيق العدالة في جمع المال، وعليه أصبحت الضريبة لا تقتصر علي كونه مصدر إراديا للدولة فقط بل أصبحت أداة من أدوات الاقتصاد التي يمكن من خلالها تحقيق التنمية الاقتصادية ومعالجة الركود والتضخم، ورفع مستوي المعيشة للمواطن.

- شهدت الأراضي الزراعية في بلاد المغرب والأندلس الاستثمار والاستغلال في العديد من المواضع كالزرع والغرس والسقي، وهذه الطرق اعتمدوها في استثمار أراضيهم، كما نجد استخدموا في عملهم الزراعي مجموعة من الأدوات والوسائل لتسهل عليهم خدمة الأرض، ومن بين هذه الأدوات نجد المحراث والفأس والمنجل والمعمول وغيرها، وكل هذه الأدوات معروفة لدي الجانبين.

- ونستنتج أيضا أن للموارد المائية أهمية كبيرة في المغرب والأندلس وتأثيرها علي المحصول الزراعي وكان لمياه الأمطار دورا هاما في الزراعة خلال العصر الوسيط، وذلك لطبيعة المنطقة التي تميزت بها من تضاريس وسهول وتربة صالحة للنشاط الفلاحي، حيث كان الفلاحون ينتفعون بسقوط الأمطار علي الحقول والبساتين، وكانوا يقومون بتجميعها بمختلف الوسائل المتوفرة، وعملوا علي ابتكار وسائل جديدة لذلك.

- لقد لعبت الزراعة دورا هاما في النشاط الاقتصادي لكل من المغرب والأندلس، فقد كثر الإنتاج في كلا البلدين، ويعود ذلك إلي التنوع في المحاصيل الزراعية من قمح وشعير وقطن وقصب

السكر، والزيتون وغيرها من المزروعات، كما أمدت الحدائق والبساتين المنتشرة بكميات كبيرة من الفواكه باختلاف أنواعها، وكانت الغابات والمراعي المنتشرة زادت من الثروة الحيوانية في البلدين.

- عرف الرعي وتربية الحيوانات انتشارا واسعا

عبر العديد من مناطق المغرب الإسلامي والأندلس، حيث ارتبط ارتباطا وثيقا بالظروف الطبيعية والعوامل البشرية، وكلها عوامل أثرت على النمط المعيشي لدي القبائل الرعوية، خاصة الرحل منهم الذين اتخذوا من الترحال والتنقل وسيلة لتوفير حاجة مواشيهم من الماء والكلأ، وأثبتت الدراسة أن بلاد المغرب الإسلامي والأندلس أنه خاصة وأن أهم القبائل المستقرة به زناتية، مشهورة بطابعها الرعوي بنوعية المستقر والمتنقل.

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر :

1- القرآن الكريم:

2- **ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني**، الكامل في التاريخ ، تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1408هـ/1987م.

3- **بن إبراهيم العباس:** الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ، الجزء1، الرباط، المطبعة الملكية، 1974م.

4- **ابن آدم القرشي**: الخراج، الطبعة الأولى، تحقيق: حسين مؤنس، دار الشروق بيروت، 1987م.

5- **الإدريسي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني** : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، 1989م.

6- **الغرناطي الأندلسي ابن الغالب محمد أيوب**: فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مطبعة مصر، القاهرة، 1955م.

7- **الأنصاري أبو يوسف**: الخراج، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، طبعة جديدة مضبوطة محققة ومفهرسة، المكتبة الأزهرية للتراث، دون تاريخ.

8- **ابن الآبار**: الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م، الجزء الثاني.

9- **البرزلي أبو القاسم بن احمد القيرواني** : فتاوى البرزلي المعروف بجامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2002م.

10- **ابن بصال الطليطلي**: كتاب الفلاحة، ترجمة: مياس فاليكروسا خوسيه ماريا ، تعليق : محمد عزيمان، مطبعة كريمادس، تطوان المغرب، 1955 م.

11- **البلاذري أحمد بنيحي** ، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، 1988م.

12- **التادلي أبي يعقوب يوسف بن يحي**: التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق: علي عمر، الطبعة الأولى ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م .

13-**ابن تيمية تقي الدين أبو العباس**: القواعد النورانية الفقهية ، حققه وخرج أحاديثه أحمد بن محمد الخليل، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى، 2001م.

14-**الحميري شهاب الدين أبي عبد الله(627ه- 1229م)**، معجم البلدان، مجلد(5.4.3.2.1.)، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، 1977م.

15-**ابن حوقل**: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996م.

16-**ابن الخطيب لسان الدين** : الإحاطة في أخبار غرناطة،الجزء 3، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م.

17- **أبو الخير الشجار الأندلسي**، كتاب الفلاحة، نشره التهامي الناصري الجعفري، المطبعة الجديدة، فاس، المغرب، طبعة 1357هـ.

18-**الزجالي أبو يحي عبيد الله**: أمثال العوام في الأندلس، الجزء 2 ، تحقيق: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الثقافة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، فاس ،1975م.

19-**الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر**: كتاب الجغرافية ،مجلد 21، تحقيق: محمد حاج صادق، مجلة الدراسات الشرقية، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق، 1968م.

20-**ابن شكوال أبو القاسم**: كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1423ه-2003م.

22- **بن عمرو الشيباني أحمد أبو بكر** المعروف **بالخصاف**: كتاب أحكام الأوقاف، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1901م.

23 **ابن العوام أبي زكرياء يحيي بن محمد الاشبيلي**: الفلاحة الأندلسية ،الجزء1، تحقيق: أنور أبو سويلم وآخرون، الطبعة الثانية ، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ،1433ه-2012م.

24 **الفيروز أبادي مجد الدين**: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، أش، حمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، بيروت،2005م.

25-**الرقيق القيرواني**: قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسي، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

26 **ابن القطان المراكشي:** نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي ملكي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، ، بيروت، 1990م.

27 **ابن الكثير:** تفسير القرآن العظيم، الجزء 2،الطبعة الأولى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000م.

28 **الماوردي أبو الحسن:** الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الطبعة الأولى، تحقيق أحمد المبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م.

29 **المقدسي شمس الدين:** أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة ،الطبعة الثالثة ، مكتبة مدبولي، 1921م،

30 **المقدسي ابن قدامي :** المغني، الجزء 3، مكتبة القاهرة، 1968م.

31 **المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني:** نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، الجزء1، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

32 **المالكي:** رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم و أرصافهم، الجزء 2، تحقيق: بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.

33 **ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم:** لسان العرب ،تحقيق: يوسف خياط، المجلد 2، دار صادر، بيروت، 1956م.

34 **النابلسي عبد الغني النقشبندي:** علم الملاحة في علم الفلاحة، مطبعة نهج الصواب، دمشق، 1299م.

35-**ابن وحشية النبطي أحمد بن علي بن قيس:** الفلاحة النبطية، الجزء الأول، تحقيق: أحمد توفيق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق.

36 **ابن وحشية أبو بكر أحمد بن قيس الكزداني:** الفلاحة النبطية، تحقيق: توفيق المدني فهد، الجزء الثاني، منشورات المعهد العلمي للدراسات العربية، دمشق، 1993م.

37 **الوزان الحسن**: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، الجزء 2، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م.

38 **الونشريسي أبو العباس:** المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، الجزء 6، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ-1981م.

39 **عمر بن يوسف بن عمر بن رسول(1296م)**: ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، تحقيق: عبد الله محمد علي المجاهد، دار الفكر، دمشق، 1987م.

ج- قائمة المراجع:

1- **البكر محمود مفلح**: تقاليد الفلاحة في التراث الشعبي، منشورات الهيئة العامة السوري للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2013م.

2- **عبد الهادي البياض**: الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس، قرن(6-8هـ/12-14م)،الطبعة الأولى ، دار الطبيعية للنشر، بيروت، 2008م.

3- **جدله إبراهيم** :مدخل إلى دراسة السياسة المالية ببلاد المغرب من القرن الأول إلى القرن الخامس هجري، كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة ومجمع الأطرش لنشر وتوزيع الكتاب المشترك، تونس، 2009م.

4- **حساني مختار**: تاريخ الدولة الزيانية - الأحوال الاقتصادية والثقافية، الجزء 2،الطبعة الأولى ، دار الحضارة الجزائر، 2007م..

5- **خميس محمد**: جغرافية المياه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998م.

6-**الداودي أحمد نصر**: الأموال ، تحقيق رضا محمد سالم شحادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1429هـ-2008م.

17- **دنش عصمت عبد اللطيف**: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، عصر الطوائف الثاني ، الشركة المصرية للطباعة والنشر، الإسكندرية، بدون تاريخ.

18-دوزي لودر: اسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة: طارق فودة، مؤسسة فرانكلين للطباعة، القاهرة، 1965م.

19-**الدوري عبد العزيز**: نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية ، المجلد 20 ، مجلة المجتمع العلمي العراقي، بغداد، 1970م.

20-**الديوري عز الدين** :الجفاف في المغرب قرن من ملاحظات الأرصاد الجوية السياسية المائية والأمن الغذائي في أفق بداية القرن الواحد والعشرين، الدورة الخريفية، 2000 م، مطبوعات أكاديمية المملكة الغربية ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2001م.

21-**ذنون طه عبد الواحد**: الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، الطبعة الأولى، دار المدار الإسلامي، بنغازي، 2004م.

22- **رابطة الدين محمد**: مراكش زمن حكم الموحدين- جوانب من تاريخ المجال والإنسان، الجزء1، الطبعة الثانية ، المطبعة والوراقة الوطنية، المغرب، 2016م.

23-الرفاعي أنور: النظم الإسلامية، دار الفكر، بيروت،1973م.

24- **الزحيلي وهبة :** الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي، دار الفكر دمشق، ط2، 1417ه-1996م .

25- مصطفي أحمد الزقا: المدخل الفقهي العام، الجزء1، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، 1998م.

26-**الزوكة محمد خميس**: جغرافية المياه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، بط، 1998م.

27- **السائح الحسن:** الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة 2، 1986م.

28-**سامعي إسماعيل**: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

29- **سعودي محمد عبد الغني:** الوطن العربي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، بدون تاريخ.

30- **السويدي محمد**: بدو الطوارق بين الثبات والتغيير، دراسة سسيوأنتربولوجيا في التغيير الاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986م.

31- **شريف إبراهيم:** أوروبا، دراسة إقليمية لدول أشباه الجزر الجنوبية، الإسكندرية، 1960م.

د- البحوث والمجلات:

1- **بلهواري فاطمة**: النشاط الرعوي في بلاد المغرب خلال القرن 4ه- 10م، دورية كمان التاريخية، عدد8، يونيو 2010م.

2- **بوتشيش إبراهيم القادري**: تطور الفلاحة في مكناس، في مجلة المناهل، العدد 38، س 15، وزارة الشؤون الثقافية، المغرب، 1989 م.

3- **حسن محمد**: الماء والتعمير ببلاد المغرب في العهدين القديم والوسيط، الندوة الدولية الثالثة، المنعقدة بالمكتبة الوطنية بتونس، 2007م، تونس، 2009م.

4- **حسين عادل محمد علي**: علم الزراعة والنبات من خلال كتاب الفلاحة لأبن بصال، مجلة المورد، مج5، العدد4، بغداد، 1977م.

5- **ذياب الحفيظ عماد محمد**: مكافحة الآفات الزراعية عند العرب، بحث منشور ضمن الندوة الثانية لتاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، 1986م.

6- **الطنجي محمد**: نضرة التشريع الإسلامي في استغلال المراعي والمياه والغابات، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، العدد 7، السنة 3، شوال 1379هـ-1960م.

7- **شباب عبد الكريم**: النشاط الزراعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين 7و8 ه، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 3، المجلد 8، 2016م.

8- **مجلة العلوم الإنسانية**، الخراج والعشور وإمكانية تطبيقه، العدد 48، جامعة **محمد خيضر**، بسكرة.

9- **مجلة أنسنة:** النظام المالي للدولتين المرابطين والموحدين في المغرب الإسلامي، البحوث والدراسات، العدد 6، ديسمبر 2012م.

10- **عبدالعزيزالدوريوغيداءخزنةكاتبي:** الفتح والأرض في الأندلس في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 72، السنة 31، جوان 2007م.

11- **يخلف حاج عبد القادر:** ملكية الأراضي الزراعية في الغرب الإسلامي، مقال منشور في مجلة العصور الجديدة، مصنفة ج، المجلد 9، العدد 3، نوفمبر، 1441ه- 2019م .

ه- المذكرات:

1-عبد العزيز حاج كوله: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الأندلس من خلال نوازل فقهية في القرنين 5-6هـ، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2009م.

2- **بن عميرة محمد:** الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2004م_2005م.

3- موسي هواري: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين من القرن 1هـ- 7م إلى القرن 7هـ- 13م، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2016م_2017م.

اقتصرنا هنا على ذكر لائحة بعض المصادر والمراجع بينما أكتفينا بتثبيت المصادر والمراجع كاملة في الإحالات وهواش البحث . .